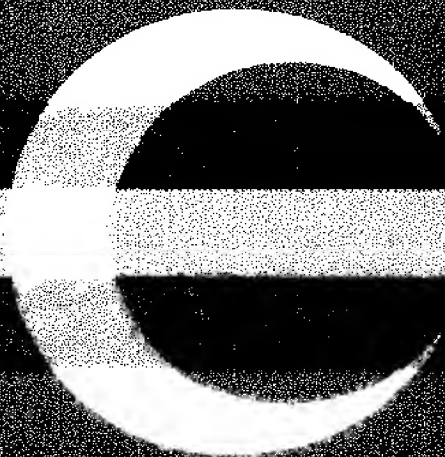
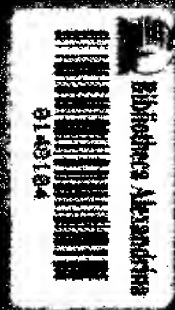


# دور الأزهرف السودان



محمد سليمان





# دَوْرُ الْأَنْدَلُسِ فِي السُّوْكَانِ

محمد سليمان



الهيئة العامة للكتاب

١٩٨٥

الاخراج الفنى : كادل اشعيا

---

تصميم الغلاف : أسامة سعيد

## تقديم

يرجع الفضل في كتابة هذه الدراسة التسجيلية الى الصديق  
الفاضل الدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف الاسبق في مصر وكنت  
آنذاك سفيرا لبلادي لديها وكان الحديث قد دار بيننا حول الأزهر الشريف  
ودوره البناء في نشر العلم والثقافة الاسلامية وتمنى الصديق العلامة أن  
يرى في كل قطر عربي دراسة عن دور الأزهر وأثره فيه .

وللحقيقة فإن للأزهر ومنتخبيه على السودان وغيره من البلاد دينيا  
في الأعناق ونحن في السودان نعتزف بذلك الفضل ونحفظ له ولمصر  
بكثير من الامتنان تلك اليد البيضاء والمائرة الحميدة . فمنه تخرج ذلك  
النفر الكريم من السودانيين الذين عملوا جنبا الى جنب مع اخوانهم العلماء  
المصريين في نشر التعليم الديني النظامي وشريعة الاسلام السمحاء ولسان  
العرب والحضارة العربية الاسلامية ووفاء وعرفانا لهؤلاء وأولئك العلماء  
الكرام نقدم ونهدي هذه الدراسة التسجيلية الموجزة .

انه من حق أبنائنا وأحفادنا ومن حق الأمة العربية والاسلامية  
التعرف الى هذا السجل لادراك ما قدمه أولئك النفر من العلماء وما أسدوه  
من جميل للسودان وللأمة العربية جمعا .

جزاهم الله عن أهل السودان قاطبة كل خير ، وطيب ثرى من رحلوا  
منهم الى الدار الباقية .

الغردوم في فبراير ١٩٨٤ م

الؤلف



## ● العرب ووادي النيل

من قديم وقيل ظهور الاسلام كان العرب على صلة بوادي النيل وكان البحر الاحمر قناة تلك الصلة في جنوبيه مينا، سواكن وفي شماله برزخ السويس ، وقد أنشأ العرب محطات تجارية هناك ومنهم من أقام وتزاوج مع السكان المحليين وبلغت هجرات العرب مداها في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بنحو سبعة قرون وكذلك نشطت حركة التجارة بين العرب وأفريقيا في زمن البطالة والرومان وتوالت هجراتهم نحو أفريقيا من جنوب شرق الجزيرة خاصة بني حمير في القرنين السابقين للميلاد . وقامت دولتنا الحبشة واكسوم نتاجا لتلك الهجرات وذلك التمازج واستمر العرب المهاجرون يتجهون نحو قلب القارة وتابع بعضهم نهر عطبرة احد روافد النيل الى أرض النوبة .

ولكن ظل طريق برزخ السويس هو الطريق الرئيسي الذي تدفقت عبره القبائل العربية نحو وادي النيل غير ان دخول العرب في السودان قبل الاسلام لم تترتب عليه آثار عميقة اذ انحصر وجودهم أغلب الظن في الجزء الشرقي ولم يضيغوا شيئا جديدا للحياة في تلك المنطقة لا من الناحية الثقافية ولا من حيث تغيير الخصائص الانثروبولوجية والاثنية على السكان المحليين .

ولكن بعد ظهور الاسلام وخاصة بعد فتح مصر تدفقت القبائل العربية نحو أفريقيا وأحدثت تغييرات هامة في وادي النيل وشمال أفريقيا على وجه الخصوص مما أدى الى ارتباط تاريخ تلك البقاع السياسي والفكري والاجتماعي منذ ذلك الوقت ببقية الوطن العربي .

كان فتح مصر يمثل إحدى طلائع الهجرات الكبرى التي اندلعت

من الجزيرة العربية الى أفريقيا عبر برزخ السويس وأخذت تهيّط أرض مصر الطيبة تحمل معها رسالتها الجديدة ولسانها العربي وتوالت وفادة القبائل العربية وتواترت هجراتهم لمصر بخرى تعزيز الجند أو الاستيطان وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد منع أولئك المهاجرين من الاشتغال بالزراعة وحرم عليهم تملك الأراضي وألا تعنى بغير السياسة والحكم والحرب .

اتخذ العرب من مصر قاعدة لمزيد من الفتوحات والتوسع جنوبا وغربا بل وشمالا عبر البحر الأبيض المتوسط فكانت الجيوش تخرج منها اما لتأمين حدودها وطرق تجارتها مثل تلك الحملات التي خرجت لفتح النوبة جنوبا وبرقة أو لغزو غرب أفريقيا في عهدي عثمان بن عفان ومعاوية .

لم تكن هذه الموجة العربية الكبرى التي جاءت مع الاسلام كسابق الموجات العربية التي خرجت لتشد أرضا جديدة وتستبدل بقعة بأخرى أو مدفوعة برداء الاحوال أو كثافة السكان أو هربا من خطر معين ولكنها كانت موجات تحمل مفاهيم وقيما وانماط للحياة جديدة والقرآن الكريم ينادى فيهم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وانما لم تكن موجات جزئية متقطعة كحال الهجرات العربية الاولى التي كانت تقتصر على جزء معين من وادي النيل أو ما بين النهرين أو على أطراف العراق والشام ولذلك كان أثرها عظيما على كل ما يسمى الآن بالوطن العربي حيث أضحت وحدة كاملة — لقد قضت الموجات العربية العارمة على الحضارات السابقة الهيلينية والرومانية التي كانت تسود في تلك المنطقة وصهرتها في بوتقة واحدة مما أدى الى انحسار ثم اندثار اللغات اليونانية واللاتينية والآرامية والسريانية تباعا والتي كان يتكلمها السكان هناك وأصبحت اللغة العربية لغة البلاد ليومنا هذا .

لقد دانت أجزاء كثيرة من أطراف البسيطة للعرب منذ عهد معاوية تخضعت لهم البلاد الواقعة من سواحل الأطلنطي غربا الى بلاد الصين شرقا ومن جبال القوقاز شمالا الى خط الاستواء جنوبا ودخلت الاسلام شعوب كثيرة مثل السريان والكلدان والفرس واليونان والتتار والترك والبربر وغيرهم ، ويلاحظ ان العرب كونوا آنذاك طبقة أرستقراطية ارادت ان تخضع تلك الشعوب المحكومة من أهمل الذمة بتوفير أسباب العيش والراحة ايا ورأى أولئك في الحكام العرب ملوكا لا خلفاء يسرون بهم على



نهج الاسلام بل اعدوا لهم نظام الحكم (١) التكرورى والقيصرى وقتل بعض خلفاء بنى أمية الحكم الى ملك عضوض كما يقول الجاحظ .

واستولى العباسيون على الحكم اثر ثورة عامة استجاب لها السكان وخاصة الموالى والمحرومين وكانت بالفعل ثورة ولم تكن مجرد تقويض حكم وزوال سيطرة أسرة واستبدالها بأخرى بل كانت نقطة تحول فى تاريخ الاسلام غير أن الدولة العباسية نفسها لم تغير من أحوال المسلمين والرعايا المحرومين شيئا يذكر فكانت بمثابة تغيير خليفة بخليفة ولهذا قامت الثورات هنا وهناك فى الامبراطورية الاسلامية فى مصر وفى المغرب العربى وكانت ثورة الزنج والقرامطة بل بدأت الثورة منذ قيام الدولة العباسية والتي كان على رأس ضحاياها أبو مسلم الخراسانى القائد الذى قاد العباسيين الى النصر .

لقد أسهم المسلمون (٢) من غير العرب مساهمة فاقمت مساهمة العرب فى بناء الامبراطورية الاسلامية واثراء الحضارة الاسلامية فقد نشر الأتراك أولوية الاسلام فى آسيا والهند والصين وفى أوروبا أيضا والبربر فى شمال أفريقيا والاندلس وكذلك فعل الفرس وغيرهم وكان الخلفاء العباسيون يستعينون بهم وخاصة الموالى منهم فى الدفاع عنهم والحفاظ على ملكهم غير أنه على أيديهم تقطعت أوصال الدولة الاسلامية حيث استقل الولاة بمقاطعاتهم وأقاموا دويلات لهم .

### الدولة الفاطمية :

على أن أقوى تلك الدويلات الاسلامية التى انسلخت من جسم الدولة العباسية وأخطرها أثرا هى الدولة الفاطمية ( نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء ) فى عام ٢٩٧ هـ - ٥٦٧ هـ الموافق ٩٦٩ م - ١١٧١ م ) فى المغرب على يد داعيتها ومؤسسها عبيد الله المهدى - جد المعز لدين الله .

كان قيام الدولة الفاطمية فى المغرب انتصارا لل دعوة السرية القرطبية التى تأثر دعااتها منذ قيام الدولة العباسية بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية فكانوا أول الدعاة للجمهورية الاسلامية والاشتراكية الاسلامية - لقد كانت دعوة فكرية وفلسفية اتخذت أسلوب الحلايا السرية وتجنيده من سموهم بالمحرومين والمظلومين ووجدوا فى سلوك العديد من

(١) الاسلام والحضارة - محمد كرد على صفحة ١٩٦ .

(٢) التمدن الاسلامى - الجزء الرابع - صفحة ٢٠٤ ماقبل - جرجى زيدان .

الحلفاء العباسيين مادة للتنديد بهم وإثارة الطبقات المحرومة من المسلمين ضدهم وكانت أعمال قادة الدعوة القرمطية ضد خلفاء بني العباس لا تخلو من العمل الإرهابي والاغتيالات الأمر الذي دفع الدعاة الثوريين على الخروج منهم والتبرؤ من أعمالهم مع التمسك بنهجهم الفلسفي في الحكم وإقامة العدالة الاجتماعية في إطار إسلامي ويقال إن الدعسوة الفاطمية انسلخت عن الدعوة القرمطية وكذلك نجد أن معظم الدعوات الفكرية الإسلامية ذات الطبيعة الفلسفية والصوفية قد نشأت وتفرعت من الدعوة القرمطية فظهرت الدعوة الشيعية بنهجها وأسلوبها وكذلك خرجت منهم الدعوة الصوفية الخ . . ودليلنا على ذلك وجود المراتب القيادية التي تكاد تكون واحدة بينهم كالإمام والسيد والشيخ والمقدم وحجة الإسلام والباب العالي الخ . .

لقد لقي دعاة تلك الدعوة السرية التي كانت تعمل في الحفاء قهرا وتنكيلا وصلبا زهاء القرنين من الزمان على يد الحكام الأمويين والعباسيين وخاصة في عهد المنصور والرشيد والمتوكل وأحمد بن طولون في مصر ( ٢٥٤ هـ ) ومع ذلك واصل أولئك الدعاة دعوتهم وتوجهوا شرقا وغربا إلى أطراف الدولة الإسلامية في صبر وأناة حتى كملت بالنجاح .

وفي عهد السلطان العزيز لدين الله الخليفة الرابع دخل جوهر الصقل عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م مصر منتزعا الحكم من الاختشيديين وكان يقود جيشا لجبا وصفه ابن هانئ الأندلسي الشاعر الشيعي الذي يضعونه في مرتبة المتنبئ في الشرق بقوله عند خروجه من القيروان : -

فقد صرعت حتى الرواسي لما رأت  
فكيف قلوب الانس والانس اجزع  
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر  
تخب المظايا فيه عشرا وتوضع  
تسير الجبال الجاهلات لسييره  
وتسجد من أدنى الخفيف وتركم  
إذا حل في أرض بناها مدائننا  
وإن سار عن أرض قوت وهي بلقع

واختط جوهر مدينة القاهرة لتصبح عاصمة ملكهم وخلافتهم وانتقل إليها العزيز لدين الله من المغرب بعد أربع سنوات من دخول قائده جوهر

وبعد أن اكتمل بناؤها وتوطدت دعائم حكمهم سار المعز في مركب صغير ليس كوال أو حاكم فقط وإنما كإمام ديني أيضا كعهد الشيعة ونظرتهم إلى الإمام -

وكان القائد جوهر قد وضع أساس مسجد كبير في القاهرة في اليوم الرابع عشر من رمضان عام ٢٥٩ هـ الموافق لعام ٩٧١ م واستغرق بناؤه زهاء العامين وأقيمت فيه الصلاة لأول مرة في السابع من شهر رمضان ٣٦٠ هـ الموافق الثاني والعشرين من يونيو عام ٩٧١ م وهو ما عرف بالجامع الأزهر الشريف . أن اهتمام الولاة المسلمين ببناء مساجد إنما يعود لأنها ليست أماكن للعبادة وحسب وإنما للدرس والتحصيل ولأسباب سياسية واجتماعية أيضا إذ ليس ثمة فصل في الإسلام بين السياسة والدين ، لقد كان هناك المسجد الحرام أو البيت العتيق والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ولما خرج المسلمون في فتوحاتهم المعروفة كتب الخليفة (١) عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في البصرة وإلى سعد ابن أبي وقاص في الكوفة وعمرو بن العاص في مصر بأن يبنوا مساجد يجتمع فيها المسلمون كما كتب إلى أمراء اجناد الشام أن يتخذوا في كل مدينة مسجدا .

كانت مصر تمثل مجتمعا رافيا متجدينا صقلته التجارب وعركته الأحداث الدينية والفكر وتمازجت فيه الحضارات وقد تسبأت مصر (٢) مركزا ممتازا في الدولة الإسلامية وكان الخلفاء المسلمون يولونها اهتمامهم الخاص فقامت حركات دينية واسعة كان مركزها جامع عمرو بن العاص وأصبحت الفسطاط لدى حقبة طويلة من الزمن قلبا للحركة الإسلامية في مصر حيث كانت تعقد فيها حلقات الدراسة والمناقشة وما يشبه الصالونات الأدبية اليوم وكان يسهم فيها العلماء المصريون والوافدون التي يقصدونها من البلاد العربية الأخرى .

لم يسرع الفاطميون بدفع الأزهر إلى غايته (٣) التي من أجلها أنشئ وهي الدعوة إلى الفقه الشيعي ومناقشة حلقات الدراسة الكبرى التي كانت تعقد في جامعي عمرو بن العاص وابن طولون بل اكتفوا بجعله مسجدا رسميا يقوم في عاصمة ملكهم الجديدة وتلقى من فوق منبره خطبة الجمعة

(١) الأزهر - تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ١١٦ .

(٢) مصر في فجر الإسلام - سيده كاشف صفحة ٢٢٧ .

(٣) الأزهر - تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ٢٠٨ .

التي كانت بمثابة برنامج الدولة الرسمي وقصروا دعايتهم والدعوة  
لذهبهم وغاياتهم السياسية في مجالس خاصة .

وبعد أن توطدت دعائم حكمهم واستتب لهم الأمر في مصر استأنز  
الأزهر برعاية الدولة حيث اهتم به الخلفاء الفاطميون اهتماما بالغاً وبعد  
أقل من عشرين عاماً وفي عهد الخليفة العزيز بالله فتحت أبواب الأزهر  
لدراسة العلوم الدينية والعقلية التي تقوم على أساس الفقه الشيعي  
واستجلبوا له خيرة فقهاء وعلماء الدعوة الشيعية وقضاها وأغدقوا عليهم  
المال والعطايا ونقلوا إلى الجامع الأزهر كثيراً (١) من الكتب من مختلف  
الخزائن وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى أسوة بالمصريين  
للاستحقاق به وكانوا بين الوقت والآخر يجرون توسعاً في مبانيه للدراسة  
وأروقة للطلاب ودورا لجماعة الاساتذة والفقهاء وخصصوا أموالاً ثابتة  
للاعتاق على الجامع الأزهر كما أسهم رجال الدولة والأمراء وأهل البر  
في تخصيص جزء من أموالهم لتنفق على الأزهر وعلى الطلاب ، ومنذ ذلك  
الوقت ونتيجة لذلك الاهتمام ارتبط اسم الأزهر برسالة العلم وأصبح  
منارة علمية كبرى وجامعة عظمى وظل يحافظ على رسالته هذه على مر  
السنين وإلى يومنا هذا - ويكفي الدولة الفاطمية فخراً أنها شيدت الأزهر  
وأنشأت دار الحكمة .

لقد أصبحت القاهرة بفضل الدولة الفاطمية قصبة للخلافة الإسلامية  
ومركزاً رئيسياً لها ومهما قيل عن ذلك العهد فقد كان عهده ازدهرت فيه  
العمارة والفنون وحفل بمجتمع علمي نبغ فيه أعلام وعلماء في الفقه  
والفلسفة واللغة والرياضيات والهندسة وغيرها ، حيث لقوا الاحترام ،  
والمعاملة الكريمة من قبل الحكام . لقد استطاع ذلك العهد تحقيق كل  
ذلك بفضل ما اتبعوه من سياسة داخلية اتسمت بالعدل والحسنة فقد  
فرضوا البيع بالتسعيرة وراقبوا استعمال الموازين في الأسواق وأدخلوا  
الحد الأدنى من الأجور للطبقات الفقيرة في الأسواق وفي أبنائها . وحددوا  
ملكية الأراضي وغيرها من التشريعات التي كانت في كثير من الأحيان  
لمصلحة المستضعفين من الناس .

وعندما دالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي ( ٥٦٧ هـ  
- ٦٤٨ هـ الموافق ١١٧١ م - ١٢٥٠ م ) عادت مصر للاتجاه السني وأخذ  
صلاح الدين على عاتقه إزالة كل مظهر من مظاهر التشيع ولم ير في

(١) القرطبي - خط ٢ ص ٢٧٣/٢٧٤ .

الجامع الأزهر الا منبرا للدعاية الفاطمية والدعوة الشيعيسية فاهملت الدراسة فيه وعطل نشاطه وتواضع شأنه ولم يكن كسابق عهده وبالرغم من ذلك ظلت أبوابه مفتوحة تدرس الفقه السننى على المذاهب الأربعة وفى آخر حكم الايوبيين كان الأزهر مسرحا لنشاط بعض اعلام الفكر والأدب .

لكن الأزهر بعث من جديد فى عهد المماليك ( ٦٤٨ هـ - ٩٢٢ هـ الموافق ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م ) والذي دام ما يقارب الثلاثمائة عام وعادت اليه منزلته العالمية وأصبح جامعة اسلامية عظمى وفى ذلك العهد انقض المغول على بغداد فى الشرق وأخذوا بها وبثرائها وكتبها ما هو معروف فى التاريخ وفى المغرب العربى كانت دويلات العرب تنهوى قلاعها وتسقط الاندلس وتركزت آمال المسلمين فى مصر وأصبحت قبلة للعلماء والفقهاء والتأزمين اليها وكعادتها أفسحت لهم صدرها وآوتهم فى حنان ورفق وأخذ أولئك العلماء الوافدون يتعاونون مع رصفائهم المصريين فى حمل رسالة العلم فى الأزهر المعمر وفى معاهد مصر الأخرى ، وقد وصف العلامة ابن خلدون ( ٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ - الموافق ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م ) مصر آنذاك وهو أحد العلماء العظام الذين وفدوا اليها وتولوا التدريس فى الأزهر بقوله : « لا أوفر (١) اليوم فى الحضارة من مصر فهى أم العالم واىوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع .. » .

ولكن بعد تلك الحقبة الغنية من النشاط الفكرى والروحى الذى حققه الأزهر ران عليه الجمود وأصابه العقم بمعد أن جنم الاتراك العثمانيون على صدر مصر ( ٩٢٢ هـ - ١٢٥٠ هـ الموافق ١٥١٧ م - ١٨٠٥ م ) فقد عمدوا الى اضعاف منزلة مصر ليجمعوا من مدينتهم اسطنبول قبلة للعالم الاسلامى وليسهل لهم حكم المسلمين فقبض السلطان العثمانى سليم على أكابر مصر وقضااتها ورجال المهن والفنون وبعث بهم الى اسطنبول وخرب مساجد مصر وانتزع نقائسها وكنوزها وما كانت تزخر به من كتب ومخطوطات وأرسلها لبسلاده - لقد كان احتلال العثمانيين (٢) لمصر والميلاد الاسلامية نكبة ومحنة بل وتقويضا للمدنية الاسلامية .

(١) ابن خلدون - المقدمة - صفحة ٤٨٦ .

(٢) م. عبد الله عنان - مصر الاسلامية ٢٠٩ .

نجح الأتراك العثمانيون في مهمتهم ولم تعد مصر كما كانت عليه عظمة الجاه سامقة المكانة حيث فقدت أهميتها السياسية والاجتماعية وأغفلت مدارس الفكر والعلم الأخرى ولكن بقي بصيص (١) من النور يشع من الأزهر الشريف استطاع به أن يحفظ اللغة العربية والعلوم الاسلامية وبذلك حمى هذا التراث العظيم في وجه المترصين به .

ولكن الأيام دول .

فقد دالت دولة الاتراك وولاتهم من المماليك وكذلك خرج نابليون وجيشه الغازي من مصر مذموما مدحورا بفضل تماسك المصريين ووقوفهم وراء زعماء الأزهر وتولى محمد علي باشا الحكم بعد أن اختاره شيوخ الأزهر واليا على مصر .

كان محمد علي باشا وأسرته من بعده ينظرون الى الأزهر كمؤسسة مصرية موهوبة الجانب وقد عاد عنصرها هاما في السياسة والشئون العامة وكانوا يسعون لاضعاف نفوذه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ولكنهم كانوا يضطرون لاجراء بعض الاصلاحات فيه رضوخا لم يكن في وسعهم تجنبها .

وظلت مصر كما كانت دائما ابدا كعبة العلماء والقصاص يهرعون اليها ليستظلوا بظليها الوارف ولينهلوا من نبعها الفياض وكان جمال الدين الافغاني قطب الرحي منذ أن حطت رحاله مصر عام ١٨٧١ والتفت حوله مجموعة من طلابه النابهن وقامت نهضة فكرية ميمونة ثم نفى جمال الدين وغادر مصر عام ١٨٧٩ ولكن الشعلة التي أوقدها ظلت تنقد حتى قامت الثورة العراقية وكان عرابي والبارودي ومحمد عبده وعبد الله النديم وقادة الثورة ومن قامت على اكتافهم نهضة مصر من متخرجي الأزهر .

لقد شهد الأزهر تطورا واصلاحا كبيرا منذ أواخر القرن التاسع عشر وهنا يقفز الى الذهن الامام محمد عبده فقد اقترن اسمه بما جرى للأزهر من اصلاح ونهضة في أداء رسالته ، كما ارتبط الأزهر باسماء نخبة كبرى من رجالات مصر أسهمت بدور كبير في تاريخ مصر انسياسي والثقافي وفي ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩ ممن يعرفهم الصغير والكبير .

---

(١) م . عبد الله عنان - تاريخ الجامع الأزهر ١٤٦ / ١٤٧ -

وبعد الحرب العالمية الثانية تطورت الأحداث العالمية ورفعت الشعوب تطالب بحق تقرير مصيرها وقامت ثورة يوليو في مصر عام ١٩٥٢ فتمثلت يدها الأزهر وأجرت فيه اصلاحات جسيمة من حيث تنظيم هيئاته (١) واقامة كليات للدراسات الاسلامية والعربية والطب والعلوم والتجارة والهندسة وأصبح الأزهر يعيش بالاسلام في واقع المجتمع ويبحث روح الدين في شتى مجالات العمل ويحيل مكانه في العالم كجامعة اسلامية مرموقة تأخذ بأسباب الدين والدنيا وحق للمفكر العربي الأستاذ (٢) عباس محمود العقاد ان يقر عينا في مرقده فيسبر المنادى باصلاح الأزهر بقوله :

« خير ما يطلب للأزهر هو أن يزداد نصيبه من الجامعة العلمية وان يزداد نصيبه من المشاركة في الأعمال الدنيوية وان يحال بينه وبين العزلة والانقطاع »

ونحن مؤمنون بماضى الأزهر العظيم ولكننا أشد أيمانا بمستقبله لأن وظيفته في الماضي كانت واحدة لا منازع فيها ولكنها في المستقبل وظيفتان ينهض بهما فيكون له شأنان متعادلان في حكمة العلم وحكمه الاسلام .

والجامع الأزهر أحق مكانة بأن يتدارك عيب العصر الحاضر الذي يتمثل في العزل بين عالم العقل وعالم الروح فيتعلم فيه الرجل وهو مؤمن ويؤمن فيه وهو عالم » .

---

(١) الأزهر تاريخه وتطوره - الأوقاف صفحة ٤٦٧ .

(٢) سنية قراغة - تاريخ الأزهر في ألف عام من ٢٨٩ .

## ● السودان وبداية انتشار الاسلام

يعرف شمال السودان في العصور الوسطى بالنوبة وكان أول من أطلق لفظة النوبة هو المؤرخ الاغريقى اراتوتينيس فى القرن الثانى قبل الميلاد على المنطقة الواقعة على جانبي النيل بين أسوان ودنقلا وهو تعبير جغرافى حرف أخيرا ليصبح اسما للقبائل المستعربة هناك .

دخلت المسيحية الى شمال السودان منذ القرن السادس الميلادى وقامت فيه ثلاث ممالك مسيحية وهى مملكة النوبات فى المنطقة الممتدة من الشلال الأول الى الشلال الثالث وعاصمتها فرس ( ٥٤٣ م ) وجنوبها مملكة المفرة وعاصمتها دنقلا حوالى ( ٥٦٩ م ) وامتدت هذه الدولة جنوبا حتى كبوشية الحالية والتي سماها العرب بالابواب ولكن دولتى النوبات والمفرة اندمجتا فى مملكة واحدة قوية للوقوف فى وجه الزحف العربى الاسلامى من مصر وبالفعل عاشت هذه الدولة الموحدة ما يقرب من سبعمائة عام . أما الدولة المسيحية الثالثة كانت تعرف بعلوة وعاصمتها سوبا ( ٥٨٠ م ) على بعد اثنى عشر ميلا جنوب الخرطوم على الضفة الشرقية للنيل الأزرق .

وما ان استتب الأمر لعمر بن العاص بعد فتح مصر عام ٦٤١ م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى سبر حملة جنوبا لغزو النوبة المسيحية وفتحها باسم الاسلام ولتأمين حدود مصر الجنوبية ولكنها قوبلت بمقاومة عنيفة ولم تستطع التوغل جنوبا لاداء مهمتها ويبدو أن عمرو بن العاص شغل بمشاكل الحكم فى مصر فترك النوبة وشأنهم



ولكن بعد أن تولى عبد الله بن سعد بن أبي السرح حكم مصر خلفا لعمر  
ابن العاص سير جيشا طبا لفتح النوبة عام ٦٥١ م بعد عشر سنوات  
من فتح مصر وتقاتل الطرفان قتالا شديدا وصفه الشاعر (١) بقوله :  
لم تر عيني مثل يوم دثقله      والخيل تعدو بانمروع مثقله

واتفق الطرفان على هدنة بينهم عرفت بالبطخ يفسرها المؤرخون  
بأنها معاهدة حسن جوار (٢) أو عدم اعتداء بتعبير حديث تحقق لمصر  
الإطمئنان على سلامة أراضيها من ناحية الجنوب والتبادل التجاري بين  
البلدين فتحصل مصر على الرقيق وسواعدهم القوية وعلى الماشية كما  
تحصل النوبة ( السودان اليوم ) على بعض الحبوب غير أن المعاهدة  
اشتراطت على النوبة المسيحية حفظ مصالح المسلمين وحريتهم الدينية  
فيها والعناية بجامع دثقلا ونظافته وإسراجه وكان هذا الجامع يجتمع  
فيه المسلمون الذين دخلوا الاسلام هناك إما بعد محاولة عمرو بن العاص  
غزو النوبة أو بفضل التجار والوافدين من مصر الاسلامية - لقد كانت  
تلك الاتفاقية تحظى بموافقة البلدين - مصر الاسلامية والسودان المسيحي  
- حاجة كل منهما لذلك التعاون والتبادل التجاري ولذلك ظلت سارية  
المفعول أكثر من ستمائة عام دون ما اختلال بنصوصها الا في حالات  
قليلة .

كذلك وفي عهد الخليفة العباسي المأمون خضع البجة في شرق  
السودان للحكم الاسلامي أى بعد حوالي ثلثمائة عام من غزو ابن أبي  
السررح للنوبة وأصبحت بذلك الأراضي الواقعة من جنوب أسسوان الى  
جنوب دهلك - مصروع جزءا من الدولة الاسلامية .

وبالرغم من بقاء مصر دولة اسلامية فقد ظل السودان ( النوبة )  
كما كان دولة مسيحية مئات السنين وكان ينظر الى ملوكها على قسمين  
المساواة مع ملوك مصر وبلاد الشرق الأدنى . وقد أرسل (٣) ملك النوبة  
المسيحي زكريا ابنه جورج المعروف بقيرقي في الوثائق العربية الى  
بغداد عام ( ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م ) في مهمة دبلوماسية لتسوية متأخرات  
الجزية التي فرضتها معاهدة البطخ وقد استقبله الخليفة العباسي

(١) ابن عبد الحكم فتوح مصر - نقلا عن المكتبة السودانية العربية مجموعة النصوص  
والوثائق للدكتور مصطفى مسعد .

(٢) د. يوسف فضل - دراسات في تاريخ السودان ج ١ - ص ٢٧ .

(٣) د. مصطفى مسعد - الاسلام القوية ص ١٧١ .

المتنصم استقبلا كريما في بغداد واستمع له ولشكواه من ان بعضا من المسلمين في أسوان أخذوا يشترون أراض من رعاياه المسيحيين وهي نفس الشكوى التي كان قد تقدم بها ملك النوبة للخليفة (١) المأمون عند زيارته لمصر وبالرغم من الاستقبال الحافل الذي لقيه جورج في بغداد واجابة بعض مطالبه الا أن شكواه بخصوص شراء المسلمين لأراضى النوبة ( السودان ) لم تقبل مع أن معاهدة البقظ لم تسمح للمسلمين بالاقامة في ارض السودان المسيحية .

ثم خضعت مصر لحكم الماليك في القرن التاسع الميلادى ولم يعد العرب كما كانوا حكاما بل رعايا ولم يكن لهم شأن في الدولة كما كانوا (٢) وشب الصراع بينهم وبين الحكام المسلمين غير العرب في مصر وأصبح ينظر اليهم كمتبردين وخارجين على القانون فازداد تدفق القبائل العربية تباعا لذلك على السودان الشمالى واختلطوا بالسكان المحليين وانتشر لسانهم ودينهم .

وكان الحكام الماليك وبالأذات الظاهر بيررس والمنصور قلاوون يرسلون حملات تأديبية على النوبة ( السودان الشمالى ) لامتناعهم عن دفع الجزية التي فرضتها معاهدة البقظ .

وأخيرا امام تكرار الهجرات العربية للنوبة ( شمال السودان ) وحالة الفوضى التي كانت عليها المنطقة وصراعات الملوك حول السنطنة وغزوات سلاطين مصر سقطت الدولة المسيحية فى دنقلا فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وانفتح الباب على مصراعيه للقبائل العربية فتدفقت جنوبا وأخذوا يكونون بيئاتهم ومجتمعاتهم القبليسة وكما قال ابن خلدون (٣) :

«وانتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها وعلاوها عبثا وقسادا وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم صاروا الى مصالحتهم بالمصاهرة » .

هكذا سقطت دولة الفترة المسيحية فى دنقلا وبقيت دولة ( علوة

---

(١) السعوى - مروج الذهب - نقل عن مصطفى مسعد المكتبة السودانية ص ٥٣ .

(٢) د . مصطفى مسعد - امتداد الاسلام والعروبة .

(٣) ابن خلدون - العبر وديوان المبدأ والخبر نقل عن المكتبة السودانية العربية مجرعة التمرس ص ٢٨٠ - د . مصطفى مسعد -

المسيحية في سوبا تنتظر مصيرها المحتوم والقبائل العربية تتجمع وتتوحد بعد فترة زمنية تقرب من القرنين وتقيم تحالفا مع أسرة سودانية حاكمة وتسقط الدولة المسيحية على يد ذلك التحالف عام ١٥٠٤ م .

كان قيام الدولة المسيحية في السودان ايذانا ببدء تقدم سياسي وثقافي بعد ما أصاب السودان من ضعف وتدهور بعد سقوط دولة مروي في منتصف القرن الرابع للميلاد .

لقد امتدت فترة العهد المسيحي في السودان ما يقرب من الألف عام مما أثر تأثيرا مباشرا سياسيا وثقافيا وروحيا وساعسده في تكييف الحضارة المميزة للسودان حيث كانت الطقوس الدينية تؤدي في الكنائس باللغة البرنانية قبل الفتح الاسلامي ثم باللغة القبطية وأخيرا باللغة النوبية نفسها فقد ترجم اليها الكتاب المقدس نفسه ، .

أضحى للسودان المسيحي اسم كبير في الشرق الأدنى وكان ملوكه يعاملون على قدم المساواة مع حكام مصر وبيزنطة والبلاد الأخرى في تلك المنطقة .

وكانت للسودان علاقة طيبة بمصر الاسلامية الا في فترات بسيطة وقد قويت العلاقة بينه وبين الدولة الفاطمية في مصر بصفة خاصة وقد أرسل القائد جوهر الصقلي عقب فتح مصر رسوله عبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني برسالة ودية لملك النوبة قيرقي ( جورج ) كان مما جاء فيها دعوته له لاعتناقه الاسلام .

كما أكثر الفاطميون من استنجالاب السودانيين وتجنيسهم في صفوف الجيش الفاطمي خاصة في عهد الخليفة المستنصر ، وقد كانت أمه سودانية ويروي أنهم بلغوا الخمسين ألفا وأصبحوا قوة كبرى في مصر مما اضطر صلاح الدين الأيوبي أن يحاربهم ويقضى عليهم ليقوم دولة الأيوبيين .

لقد كان السودان أول بلد زنجي غرست فيه بذور المسيحية وقامت فيه دولة مسيحية وشهد السودان قيام دولة عربية اسلامية عرفت بسلطنة سنار أو سلطنة الفونج نسبة الى الاسرة السودانية الحاكمة ثم تبعها دولة دارفور ومملكة تغلي في كردفان وكلها انضوت مؤخرا بعد فتح محمد علي باشا للسودان لتكون السودان اليوم في الجزء الشمالي الشرقي لأفريقيا دولة عربية أفريقية ذات سيادة كما قامت دول اسلامية

في أفريقيا الغربية وانتشر الاسلام من البحر الاحمر الى بحيرة تشاد ولم  
يبق في أفريقيا دولة مسيحية غير الحبشة .

ومن الطريف أن معظم القبائل العربية التي دخلت السودان مازالت  
تحتفظ بأسمائها العربية الى اليوم مثل كنانة وسليم وفزاره وجهينه ورفاعة  
ونائل وبني هليله وهلال وجزام والضباينه ( محرفة من ذبيان ) ( ١ )  
وغيرها .

---

(١) عبد الله عبد الرحمن - العربية في السودان طبعة بيروت .

## ● نواة التعليم الدينى المنتظم

كفلت اتفاقية البقظ التى أشرنا إليها آنفا والتى عقدها عبد الله ابن سعد بن أبى السرح حاكم مصر آنذاك مع الدولة النوبية المسيحية . كفلت للمسلمين حرية ممارسة شعائرهم الدينية فى تلك الدولة المسيحية فقد جاء فيها بالنص .

« وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ( يقصد دنقلا عاصمة دولة النوبة المسيحية ) ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاور فيه الى أن ينصرف عنه وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته » ١٠

كان ذلك أول إشارة تاريخية الى مسجد دنقلا العتيق الذى كان قائما قبل غزو ابن أبى السرح لأرض النوبة ( السودان الشمالى ) ربما بنسائه المسلمون الذين تخلقوا هناك بعد حملة عمرو بن العاص التى شنتها بعد عامين من توليه حكم مصر ( ٢٠ هـ = ٦٤١ م ) أو التجار أو الجنود أو الوافدون إليها من مصر .

لم تكن القبائل العربية الوافدة تهتم بنشر الاسلام ربما لانشغالها بمشاكل الرعى فى وطنها الجديد ولجهلها بأصوله خاصة بعد مصاهرتها للسكان المحليين الا فى حدود ضيقة حيث عكف بعض الرواد المسلمين ينشرون العقيدة الاسلامية فى بساطتها وسماحتها واتسع نشاط المبشرين الاسلاميين بعد سقوط الدولة المسيحية فى الشمال كمناسا ذكرنا آنفا وانفتح الطريق لكثير من العلماء المسلمين من مصر والحجاز

واليمين والمغرب للاقامة في السودان حيث أخذوا يدرسون للناس قواعد الاسلام وكان مسجد دقلا بمثابة جامع عمرو بن العاص في مصر آنذاك يؤمه ويصلي ويجاور فيه مسلمو تلك المنطقة .

لقد بقيت دولة علوه المسيحية في سوبا وحدها تقاوم النفوذ العربي الاسلامي الذي كان يحيط بها حتى سقطت في عام ١٥٠٤ وقامت دولة سنار كما ذكرنا سابقا .

لقد صاغت دولة سنار - أو ما تسمى أيضا بسلطنة الفونج - اساس السودان العربي الافريقي الذي تزاوجت فيه الحضارة النوبية والفرعونية والزنجية لتصب في رافد الحضارة الاسلامية التي ازدهرت في السودان بفضل العلماء الواندين اليه من البلاد العربية لا سيما مصر وبفضل العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الازهر وأتباعهم وتلاميذهم ويكفينا اذا ان نقول ان انتشار الاسلام في السودان تم على مرحلتين احدهما تلقائية وبواسطة طلائع المهاجرين والأخرى منظمة وعلى اساس علمية عن طريق الازهر أساسا .

أخذت الحياة الدينية الاسلامية تأخذ طابعها العلمي المنتظم في عهد الشيخ عجيبي بن الشيخ عبد الله جماع احد مؤسسي دولة سنار لقد ارسى ذلك المعامل الذي جلس على كرسي الحكم مدة طويلة ( ٩٧٠ - ١٠١٩ هـ / ١٥٦٣ - ١٦١٠ م ) أسس الحياة الدينية في السودان حيث بنى المساجد ودور العلم في انحاء البلاد وفي عهده الطويل اقبل كثير من العلماء المسلمين الى البلاد حيث لقوا من التكريم والقبول ما هم به حريون وهو الذي بنى رواقا في المدينة المنورة (١) لايواء السودانيين وآخر في مصر لطلاب العلم السودانيين في الازهر الشريف .

أقبل الودانيون على الدراسة والعلم في شغب ونهم وكانوا يهاجرون من شيخ الى شيخ في طلب المزيد منه ثم يولون وجههم شطر الازهر الشريف بالذات حيث صدق عليهم القول المأثور بأن للمسلمين قبلتين دينية وهي الكعبة الشريفة وعلمية وهي الازهر الشريف ، كانوا يسافرون الى الازهر وهم يحفظون القرآن وعلى دراية بعلوم اللغة والفقه .

---

(١) محمد محي الدين - مشيخة العبدلاب - ص ٢٦٢ .  
محمد غيف الله - الطبقات - ص ١١٧ نسخة ابراهيم صديق .

لقد ترك لنا أحد العلماء السودانيين وهو الشيخ عمار بن عبد الحفيظ وصفاً لرحلته الى مصر والحجاز كعبتي العلم والدين أقله ينصه :

« كان سفرنا من سنار لطلب العلم بالأزهر وللحج في يوم الجمعة بعد العصر خامس رمضان سنة سبعة وسبعين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ولم ندخل مصر الا في أول شهر صفر في سنة ثمان وسبعين وجلسنا بالأزهر الى شوال ثم سافرنا الى الحج وحججنا حجة الاسلام في تلك السنة أي سنة ثمان وسبعين وفي شهر صفر سنة تسع وسبعين جلسنا بالأزهر بعد عودتنا من الحج ومكثنا بقية صفر والربيعين والجماديين ورجب وشعبان ورمضان ثم سافرنا للحج أي حج التطوع في شهر شوال مع الحجيج المصري وحججنا في سنة تسع وسبعين ثم جلسنا بمكة مجاورين بيت الله الحرام ثم سافرنا الى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في شهر المحرم سنة ثمانين وجلسنا في المدينة ماشاء الله ان نجلس ثم رجعنا الى مكة شرفها الله مجاورين بيت الله الحرام الى ان حضرنا مولد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بمكة ودخلنا فيسه وصرتنا ان شاء الله من الأمنين ثم سافرنا من مكة يوم سابع عشر من ربيع الاول الى جدة ومنها الى مصر بالسلامة في البحر في شهر رمضان من سنة ثمانين والى ألف ثم ادركتنا سنة واحد وثمانين بمصر وسافرنا منها الى البلد وكان حجنا حجة الاسلام سنة ثمان وسبعين وحججة التطوع سنة تسع وسبعين وكان يوم عرفة يوم الجمعة والحمد لله رب العالمين . ويقول عنه المؤرخ السوداني محمد ضيف الله التوفى عام ١٢٢٤هـ . ١٨٠٩ م ضمن ما قال :

« ... ولد بسنار وسافر الى مصر والحجاز لطلب العلم والحج قرأ فيها العلوم الفقهية والنقلية والعقلية وعلم النحو واللغة والأصول والمنطق والتصوف وسائر الفنون بقرأ الكتاب ختمة وختمة وتحصل على أكثر الشروح فاحضر معه رجلين أو ثلاثة كتب ٠٠٠ وعكف على تدريس مواظنيه » .

هكذا كان السودانيون يسافرون الى الأزهر غير عابئين بمشاق السفر وعناثه وطوله وعناثه فقد كانت الرحلة من سنسار الى مصر تستغرق آنذاك خمسة شهور يتعرض المسافرون فيها للمخاطر والأهوال

التي كانت تتمثل في غارات النهب والسلب ومن جراء الحروب القبلية العنيفة التي شهدتها البلاد في آخر عهد دولة ستار .

وكما ترك لنا الشيخ عمار بن عبد الحفيظ وصفا لرحلته الى الازهر عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م كذلك سجل الشيخ محمده المبارك عبد الله شيخ علماء السودان رحلته الى الازهر عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م أي بعد مائتين وخمسة وستين عاما من رحلة الشيخ عمار - ويلاحظ ان السفر للازهر كان أملا عظيما وهدفا كبيرا لدى طالبى العلم على بعد الزمان مع اختلاف في الظروف والمعوقات .

يقول الشيخ محمد المبارك عبد الله :

« ويتتابع الزمن اياما واسابيع وشهورا ، واسمع عن الازهر الشريف ، واعلم علو شأنه في جامعات العالم واصالته في التعليم الديني وأن ما سواه رافد من روافده وتبع له في ذلك ، وأنه منتهى مقاصد العلماء يقدون اليه من كل فج صديق ، وغاية غايات طلاب العالم الاسلامي يهرعون اليه من كل حذب وصوب ، وأنه كما قال شوقي في عليائه :

واخشع عليا واقض حق أئمة	طلعوا به زهرا وما جسوا أبجرا
كانوا أجل من الملوك جسلالة	وأعز سلطانا وأفخر مظهرنا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم الأسمان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر في الشريعة زاهر	وبيركه الحسنى العظيم غصنفسرا

★ ★ ★

حتى ظنننا الشاسعي ومالكا وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا

فارغب مع الزمن في السفر الى مصر للاتحاق بالازهر طلبا للعلم على اعلى مستوى ، واذكر مفتش مصلحة المعارف المصري ، الذي كان يمر في زيه الأزهرى الفاخر بالخلوى يتعرف نظمها وعدد طلابها ونتائجها ليقوم بتقويمها ويكتب عنها تقريراً يقدمه للمستولين في مصلحة المعارف تمهيدا لاعانة فقهاءها كما أخبرنا بذلك الفكي جدران مسرورا عندما مر بطلوتنا وقدمنى اليه الفكي فتناول لوحى ونظر خطى فاعجبه واخذ يسألنى وأجيب فيستحسن أجوبتى كيف كان وقورا حسنا الهندام رفيع المقام جليل الشان يقوم الناس على اختلاف مكاناتهم اجلالا له ليتلقوه بالتكريم والتبجيل فى كاكولته الأزهرية الخضراء وعمامته ناصعة البياض على طربوشه الاحمر القانى .



ويجيء الشيخ حمد أدريس من اهالى جزيرة توتي وكان قد سافر الى الأزهر وحصل على أهلية الغرباء ومعه مؤلفه فى العروض الذى سماه ( التذكرة التوتية ) فيحدثنا عن التعليم فى الأزهر ووزارة علم علمائه وعقرياتهم وقدراتهم الفسافة على كشف الشبهات وحل المشكلات وتوضيح المضلات ، وعن سر الالتحاق بالأزهر وعن روائى السنارية ( داخلية السودانيين ) ونزلهم هناك وبعيى بعض السودانيين من الأزهر غير الشيخ حمد الشيخ أدريس يحملون مختلف الشهادات الأزهرية على تفاوتهم فى التحصيل واختلاف مراتبهم فى الملكات العلمية فتفتح لبعض منهم أبواب وظائف الحكومة فى القضاء والتدريس وتكون لهم المكانة الاجتماعية المرموقة فيزيد كل ذلك من رغبتى ، غسبر أن رغبتى كلما قوى تـ تصلـم بصخرة صلبة أقوى منها ، هى توقع عدم موافقة والدى على سفرى وخوفى من أن يكون والدى كسا يحب العلم يحب اقامتى بجانبه وأن تكون اقامتى بجانبه أحب اليه من العلم فأسف لذلك كثيرا ، وأعانى منه كثيرا .

ويختلف الليل والنهار وننتفل من السنة الدراسية الثانية الى السنة الدراسية الثالثة وتشجعنى الاولى فى نتيجة الامتحان ، وتدخل دوافع أخرى تحملنى على السفر غير مجرد الرغبة فيه ، فهذا زميل وأحد منافسى فى السنة الدراسية يسافر الى الأزهر ويلتحق به شاردا من غير اذن والده ، وهامهم اولاء جماعة من طلاب كلية غردون يابقون لطلب العلم بمصر ويساعدهم على هذا الاباقى اعضاء جمعية اللواء الأبيض وكم ندغبرهم من الطلاب كما يند البعير والتحق بالأزهر متحملا مشقة السفر مع المواشى فى مربات الحيوانات بقطارات البضاعة فحسن حاله وصار له شأن فالفاية شريفة والسفر فى طاعة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، وربما يكون صاحبى قد افتنى لنفسه من هنا بجواز ذلك .

ولكن اليس فى المعهد من العلم ما يكفى طلاب الفقه فى الدين ؟ والمنهج واحد والكتب المقررة هنا هى الكتب المقررة هناك ، وقد اقتبس الشيخ أبو القاسم هذا النظام من نظام الأزهر بواسطة الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر الذى كان قاضيا للقضاة بالسودان كما سمعنا ذلك من مشايخنا أكثر من مرة فى معرض الحديث عن نشأة المعهد والثناء

عليه ، على كل حال طلب الزيادة على العلم الواجب ان لم يكن واجبا عينيا فهو واجب كفائي أو مندوب اليه ، وقد كان الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم يرحلون طلبا لتفسير آية من كتاب الله أو رواية حديث من أحاديث رسوله الى أقاصي البلاد فضلا عن انه لا يمكن ان يكون المعهد - كالآزهر - وهذه الكتب المقررة كلها أو أكثرها من تأليف علماء الأزهر ، والمسألة ليست مسألة مماثلة في المقررات والكتب ، وإنما هي مسألة رجال يشرحون هذه الكتب ويبيثون ما غمض منها ، ومشايخنا وإن كانوا علماء كيلة إلا انه ما من كمال الا وعند الله ما هو أكمل منه ، وفوق كل ذي علم عليم ومن قصد البحر استقل السواقيا .

وهكذا تندفع الافكار المتقاطعة وتتوارد الخواطر . والموازنات والمعادلات في ذهني فتعاود الحديث مع والذي بشئ من الصراحة : اني أريد أن أسافر الى مصر السنة الآتية بعد أداء الامتحان وانتهاء العام الدراسي الحالي أن شاء الله وأريد أن أسافر وأنت راض عنى لا كما فعل فلان وفلان ، وما دمت سأقضى اثنتى عشرة سنة في طلب العلم بالمعهد هنا لأحصل على العالمية فخير لي ان أقضى هذه السنة بالأزهر وأحصل على العالمية من هناك .

ولكن ليس رضا والذي وحده هو كل شيء في عدة السفر الى مصر للتعليم ، وليس كل ما قام به نحوي من اعداد وزاد يكفى لسفري مالم يأذن السكرتير الإداري أو مكتب المخابرات في ذلك الوقت أو دون ان احصل على تأشيرة الخروج كما يسمونها الآن . ومن لي بأن يأذن السكرتير الإداري بسفري الى مصر للتعليم في تلك الظروف التي نشيطت فيها الحركة الوطنية ضد المستعمرين ، وتواطأت في مصر والسودان ، واتحدت أهدافها ، وتجاوب القائلون بها ، وأخذ أعضاء جمعية اللواء الأبيض يهربون طلاب كلية غردون الوطنيين الى مصر لإكمال دراستهم في المدارس الثانوية ، وجامعة القاهرة ، وأعدادهم للنضال ، كما تهرب المنتمين ، فالجأ الى الوساطة الكريمة في هذا أيضا .

وتنتهى الوساطة الى البوزياشي عبد الخالق حسن هامور مركز أم درعان حينذاك ، غير أن وساطة عبد الخالق بك تزيد الأمر تعقيدا فيما يبدو من غير قصد ، وتثير منافسة في موضوع سفري بين عبد الخالق بك ومكتب السكرتير الإداري : يسر عبد الخالق الرجل المصري الوطني المسلم ، ان أسافر لأطلب العلم بالأزهر الشريف ، وأن يشجع مثل هذه الهجرة الى مصر في طلب العلم بالأزهر بين طلاب

المعهد ، كما تشجيع الهجرة الى مصر طلبا للعلم في مسندارس وزارة المعارف المصرية بين طلاب كلية غردون ، ويخشي مكتب السكرتير الادارى ان اذن لى ان يفتح باب السفر الى مصر لطلب العلم امام طلاب المعهد فينهالوا عليه ، وهو ما لا تريده حكومة السودان ويعتبر في سياستها لتوهين العلاقات الثقافية بين مصر والسودان اخطر شيء ، ويسألني كبير الموظفين في مكتب السكرتير الادارى لماذا لا ألتحق بقسم القضاء الشرعى في كلية غردون أو اطلب التعمين في المحاكم الشرعية في الوظيفة التي تناسب معلوماتي ان كنت لا أريد مواصلة الدراسة بالمعهد ؟ ولماذا أعرض نفسي بالسفر الى مصر في هذه الظروف للحرمان من العودة الى بلدى ، والالتحاق بوظائف الحكومة محاولا صرفي عن السفر بالترغيب تارة ، والترهيب أخرى ، غير أنى أصر على طلب الاذن بالسفر مهما كلفني ، ومهما كان من نتائجها القريبة والبعيدة وأظفر بعد اللبثا والتي كما يقولون بجواز السفر المطبوع والممد للسفر بين مصر والسودان في تلك الأيام . وهو ورقة واحدة بها بيان حال المسافر وأوصافه وعنوانه هنا وهناك والضامن على صفحة باللغة العربية ، وعلى الاخرى باللغة الانجليزية مقابل خمسة قروش ، ولا اذكر الآن انى فرحت منذ ولدت ووعيت الى ذلك التاريخ بشيء فرحى بالحصول على هذه الزوجة التي تسمح لي بالسفر الى غاييتي \* (١) .

لقد حصل الشيخ محمد المبارك عبد الله على الشهادة الابتدائية النظامية في نفس العام الذي التحق فيه بالازهر وكان يحمل شهادة النقل من السنة الثالثة الى السنة الرابعة الابتدائية من معهد أم درمان العلمي الذي انشئ عام ١٩١٢ م على غرار الازهر كما سترى فيما بعد .

ولعله من المفارقات الغريبة ان المواطنين وعلى رأسهم سلاطين وحكام سنار كانوا يحتفلون بالطلاب السودانيين القاصدين الازهر ويودعونهم وداعا حارا على النقيض مما كان يجري للطلاب بعد ثلثمائة سنة ابان الحكم البريطاني على السودان اذ كان أولئك الطلاب يتخفون في زى رعاة البقر الذين يرافقون الأبقار والماشية التي يصدرها أصحابها الى مصر لبيعها هناك .

---

(١) محمد المبارك عبد الله مذكرات وذكريات من ٢٥ .

## ● الرواد السودانيون من متخرجي الأزهر

سلطنة سنار ( ١٥٠٤ - ١٨٢١ م )

اول من وفد الى مصر من السودان للدراسة في الأزهر كما تسجله  
وثائق التاريخ هو الشيخ محمود أحمد المركي الذي تنلمذ على الشيوخ  
شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللقاني في ما بين ٩٢٥/٩٢٠ هـ -  
الموافق ١٥٣٩/١٥٣٤ م وهما من شيوخ المالكية المعروفين .

وعندما عاد الشيخ محمود انشأ خمس عشرة مدرسة على النمط  
الابيض في منطقة الكوة ( اليس ) على بعد ١٣٠ ميلا جنوب الخرطوم  
ولنا أن نعرف مبالغ الجهد والدور الكبير الذي قام به إذ لم تشتهر  
قبله في البلاد مدرسة علم ولا قرآن وعدد المواطنين الذين درسوا عليه  
وانتشروا يحملون رسالة النور لمواطنيهم الآخرين فوق التقدير .

وهناك أولاد جابر الأربعة وهم ينحدرون من أسرة دينية معروفة  
كان عميدها العالم غلام الله بن عابد الذي وفد السودان من اليمن في  
آخر القرن الخامس عشر الميلادي . كان أكبرهم ابراهيم جابر وقد  
درس في الأزهر على الشيخ محمد البتورقي وغيره من اعلام المالكية  
في مصر الفقه المالكي وأصول الفقه والتجويد وعاد الى بلاده ويقال انه  
أول من درس مختصر خليل بن اسحق المالكي ورسالة ابن أبي زيد  
القيرواني في السودان . ويعرف الشيخ ابراهيم بالولاد (١) ورواه

(١) وه شيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق - ص ٦

هذا اللقب قصة اذ يقال ان رجلا أقسم أن يدخل بيته جميع ما خلقه الله فأفاته الشيخ ابراهيم بوضع المصحف على سريره مستدلا بقوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ولما سمع الشيخ البنوفى تلك الفتوى قال لتلميذه ابراهيم « انت بولاد البر » ويقصد بالبر السودان كما كان بعضهم يسميه . ويروى أن الشيخ ابراهيم قد تعلم عليه أربعون رجلا أصبحوا أقطابا في الدين واعتبر ذلك العدد المناسب الذي يتولاه الشيخ بالتدريس والباقيون من الطلاب يتولى تدريسهم حواريون للشيخ ويعرف الواحد منهم بالعرف كما هو معروف في مصر وأصبح ذلك تقليدا سار عليه العلماء اذ يتخرج على يد كل منهم أربعون قطبا في الدين وهم بدورهم ينتشرون في أنحاء البلاد ليعلموا الناس أيضا .

وكان من تلاميذ الشيخ ابراهيم أخوه عبد الرحمن (١) وقد ذهب أيضا لمصر للاستزادة من العلم في الأزهر على الشيخ البنوفى وقد أظهر نبوغا كأخيه ابراهيم وعاد الى بلاده وتولى التدريس بعد وفاة أخيه ابراهيم وأنشأ ثلاثة مساجد أحدها في دار الشايقية والثاني في كورنى والثالث في الدفار وكان يدرس في كل مسجد أربعة شهور مقتديا في ذلك التنقل بين المساجد بأستاذه الشيخ محمد البنوفى الذى كان يمضى أربعة شهور في القاهرة ومثلها في الاسكندرية ثم الأربعة شهور الأخيرة يقضيها في الحجاز حيث اعتاد أن يصبح سنويا الى بيت الله الحرام ويروى أن الشيخ عبد الرحمن بن جابر درس مختصر خليل المالكي في تلك المساجد أربعين مرة .

ومن الشيوخ العلماء الذين درسوا على الشيخ عبد الرحمن ابن جابر الشيخ عبد الله بن دفع (٢) الله العركى الذى عاد الى اقليم الجزيرة في أواسط السودان وأخذ ينشر العلم هناك في تلك البروغ مترسما خطى استأذنه في العلم وتولى مهمة القضاء أيضا . وقد ذهب الشيخ عبد الله العركى الى الحجاز وتولى تدريس الناس هناك في مقام الامام مالك ثم عاد الى بلاده رغم الحاج آهالى مكة للبقاء معهم ومواصلة تدريسه لهم .

وممن درسوا على الشيخ عبد الرحمن بن جابر الشيخ

(١) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١١ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٢ .

ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد لينشر العلم بموره  
في ربوع البلاد .

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي على ود (١) عشيبي الذي درس  
على الشيخ البنوفري وولى القضاء والشيخ محمد جمال الدين (٢) المعروف  
بحلاوى والذي كانت له دراية بالفتاوى والأحكام نوردهم على سبيل المثال  
لا الحصر . .

عاد أولئك الرواد الى بلادهم بعد ان اخذوا عن اساتذتهم في  
الازهر ما تيسر لهم من العلم وما اهلهم للتدريس والفتيا في بلادهم عادوا  
وكل منهم يحمل اجازة علمية من استاذة او اساتذته كما جرت العادة  
آنذاك ولم تكن تلك الاجازات تمنح الا لتوايح الطلاب فما كان الأستاذ يقبل  
لنفسه ان يمنح اجازة لغير مستحقها اذ يرتبط اسمه بهذه الاجازة  
مثل ما جاء في الاجازة التي منحها العلامة ابن الملقن للعالم القلقشندي  
اذ تنتهي الاجازة بقوله :

« . . واجزت له مع ذلك ان يروى عني من التأليف ومنها جامع  
الجوامع اعانه الله على اكماله وكذا شرح « صحيح الامام أبى عبد الله  
محمد بن اسماعيل البخارى » ومنها « البدر المنير في تخرريج الاحاديث  
والاثر الواقعة في الشرح الكبير للامام أبى القاسم الرافعى » وبه تكتمل  
معرفة الفقيه ويصير محدثا فقيها .

واجزت له مع ذلك ماجاز لى وعنى روايته بشرطه عند أهله زاده  
الله واياى من فضله ومنها الكتب السنة - البخارى ومسلم وابو داود  
والترمذى والنسائى وابن ماجه والمسائيد - مسند أحمد ومسند الشافعى  
وغير ذلك » .

لقد أصبح أولئك الرواد والوافدون من علماء الازهر المصريين  
وتلامذتهم نواة المجتمع ودعامته فأقبل عليهم الطلاب من كل فج وخدوا  
يتلقون العلم عليهم ونسوق مثالا لذلك ما ذكره مؤرخ دولة سننار  
( ١٥٠٤ - ١٨٢١م ) عن أحد العلماء السودانيين الذين علا صيتهم  
وهو الشيخ الزين بن صغيرون وكان قد درس على والده الشيخ صغيرون  
الذى درس على الشيخ محمد البنوفري في الازهر فقد قيل أن الشيخ

(١) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٤ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ٧١ .

عن هذه الاسرة - اسرة اولاد جابر - يقول احسن المؤرخين  
السودانيين (١) ( انهم وضعوا أساسا قويا للحياة الاسلامية في السودان  
فقد نشروا العلوم الاسلامية ووضعوها منهاجاً لدراستها وتضاعف  
مجهودهم على مدى السنين عن طريق الطلاب الذين تلقوا العلم عليهم  
ثم نشروه بدورهم في أرجاء مختلفة من السودان كما قام هؤلاء الطلاب  
بتطوير رسالة مشايخهم اولاد جابر وذلك بادخال مواد اسلامية في  
مخالوهم ومساجدهم كما اتصفوا بالاجتهاد الذي تدل عليه الكتب المختلفة  
التي ألفوها في شتى ضروب المعرفة الاسلامية .

ولم يكن نشاط تلاميذ اولاد جابر يقتصر على التدريس أو التمرس  
بالتصوف بل مارسوا أيضاً القضاء الشرعى وبرهنوا من خلال ممارسته  
على تمكنهم من العلم والمقام واسع عميق به ومثلما كان لأولاد جابر  
منهج في التعليم فقد كان لهم أيضاً منهج في التربية تمثل في نظرهم  
الحياة ومفاهيمهم للحياة الدينية » .

ومن العلماء السودانيين الذين واصلوا تعليمهم في الأزهر الشيخ  
عبد الرحمن (٢) حمدتو الخطيب الذي تتلمذ على الشيخ البنوفرى وعاد  
للسودان ليقيم بتدريس مواطنيه وقد تخرج على يديه عدد من العلماء  
نذكر منهم الشيخ عبد الله الاقبش عميد أسرة الاقبش والذي قدم أهله من  
دنقلا في الشمال ولد في بربر جنوبها وأنشأ فيها مسجداً مازالت شعلة  
العلم تنقد فيه منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا .

من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن حمدتو الشيخ ابراهيم (٣) بن  
عبودى المعروف بالفرضى وسمى كذلك لطول بابه في علم الفرائض  
الذى ألف فيه حاشية عرفت بالفرضية وظل عاكفا على تدريس الناس  
في منطقة النيل الابيض الى أن توفاه الله .

ومن الذين تخرجوا في الأزهر كذلك في تلك الفترة من الزمن الشيخ  
عبد الرحمن (٤) بن ابراهيم بن أبى ملاح الكنانى والد الشيخ خوجلى  
العالم المشهور في توتى . درس الشيخ عبده الرحمن مختصر خليل

---

(١) د. سر الغنم عثمان = اولاد جابر - ص ٢٥ .

(٢) محمد شيف الله - الطبقات - ص ١١٥ .

(٣) محمد شيف الله - الطبقات - ص ٢٢ .

(٤) محمد شيف الله - الطبقات - ص ١١٥ .

ومنظومته في التوحيد على الشيخ على الأجهوري وعاد لينشر العلم بدوره  
في ربوع البلاد .

وهناك كثيرون غيرهم أمثال القاضي على ود (١) عشيبي الذي درس  
على الشيخ البنوفري وولى القضاء والشيخ محمد جمال الدين (٢) المعروف  
بجلالوى والذي كانت له دراية بالفتاوى والأحكام نوردهم على سبيل المثال  
لا الحصر . .

عاد أولئك الرواد الى بلادهم بعد ان أخذوا عن اساتذتهم في  
الازهر ما تيسر لهم من العلم وما أملم لهم للتدريس والفتيا في بلادهم عادوا  
وكل منهم يحمل اجازة علمية من استاذ او اساتذته كما جرت العادة  
آنذاك ولم تكن تلك الاجازات تمنح الا لنوابغ الطلاب فما كان الأستاذ يقبل  
لنفسه ان يمنح اجازة لغير مستحقها اذ يرتبط اسمه بهذه الاجازة  
مثل ما جاء في الاجازة التي منحها العلامة ابن الملحق للعالم القلقشندي  
اذ تنتهى الاجازة بقوله :

« . . واجزت له مع ذلك أن يروى عني من التأليف ومنها جامع  
الجوامع أعانه الله على أكماله وكذا شرح « صحيح الإمام أبي عبد الله  
محمد بن إسماعيل البخاري » ومنها « البدر المنير في تخريج الأحاديث  
والأثار الواقعة في الشرح الكبير للإمام أبي القاسم الرافعي » وبه تكتمل  
معرفة الفقيه ويصير محدثا فقيها .

واجزت له مع ذلك ما جاز لي وعني روايته بشرطه عند أهله زاده  
الله وإياي من فضله ومنها الكتب الستة - البخاري ومسلم وأبو داود  
والترمذي والنسائي وابن ماجه والمسانيد - مسند أحمد ومسند الشافعي  
وغير ذلك » .

لقد أصبح أولئك الرواد والوافدون من علماء الازهر المصريين  
وتلامذتهم نواة المجتمع ودعامته فأقبل عليهم الطلاب من كل فج وأخذوا  
يتلقون العلم عليهم ونسوق مثالا لذلك ما ذكره مؤرخ دولة سنيار  
( ١٥٠٤ - ١٨٢١م ) عن أحد العلمساء السودانيين الذين علا صيتهم  
وهو الشيخ الزين بن صفرون وكان قد درس على والده الشيخ صفرون  
الذي درس على الشيخ محمد البنوفري في الازهر فقد قيل أن الشيخ

(١) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١١٤ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ٧١ .



الزین » جلس فی حلقة أبيه من بعده وشدت اليه الرجال وضربت آباط  
الأبلى وطال عمره واشتهر ذكره وأخذت عليه الأبناء والآباء والأحفاد  
والاجداد وبلغ تدريسه خمسين ختمة وبلغت حلقاته ألف طالب وتلامذته  
أصبحوا شيوخ الإسلام » .

وهكذا نشأت المدن والقرى حول أولئك العلماء وتولت بيوت  
دينية يعينها تأسيس المدارس وإيواء الطلاب ونشر العلم في البلاد  
منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا كمدارس الشافعية في دنقلا والفيش في  
بربر والمجازيب في الدامر وقوز العلم في شندي وتومي والعليفون  
وكترايج وأبي حراز وأم ضوايان وكثير غيرها .

## ● العلماء المصريون الأزهريون في السودان

ولم يكن العلماء السودانيون الذين تخرجوا في الأزهر هم وحدهم حملة رسالته في السودان في ذلك العهد فقد كان هناك نفر من علمائه المصريين الذين اسهموا بقسط واخر في نشر العلم في ربوع بلادنا نذكر منهم :

### الشيخ محمد (١) المصرى القناوى :

واصله من مدينة ادفو بصعيد مصر درس على الشيوخين سالم السنهورى مفتى المالكية ويوسف الزرقانى والد الشيخ عبد الباقي شارج مختصر خليل وكان زميلا للشيخ ابي الحسن الشاذلى المصرى - قدم السودان في منتصف القرن العاشر الهجرى الموافق القرن السادس عشر الميلادى وتنقل بين مدنه واستقر في مدينة بربر القديمة المعروفة آنذاك بالخريف بعد أن طالب له المقام فيها لجودة مناخها .

كان دافع الشيخ المصرى القناوى لزيارة السودان والاقامة فيه نشر العلم بين ابناءه اجتهاء وجه الله واحتسابا فبادر بتشبيد مسجده بالخريف واقبل عليه طلاب العلم من كل صوب وحذب كما ترك مؤلفات في الشرح على عقيدة السنوسى الصغرى وكتاب العشماوية ورسالة في البسطة وشرح على التسمية في علم المنطق وتبوا منصب القضاء

---

(١) محمد شريف الله - الطبقات - ص ٣٩ .

الذى يشره بتزاهة وعدل وعرف بالتقوى والورع وكان قد عمر طويلا .

وقد تتلمذ عليه الشيخ محمد (١) بن عيسى بن صالح المعروف بسوار الذهب الذى قرأ عليه العقائد والمنطق وعلوم القرآن وأصبح فيما بعد من أجل علماء السودان .

ومن تخرج على الشيخ المصرى القناوى حفيده الشيخ محمد المضوى (٢) وطفيده هذا مؤلفات منها شرح القصيدة المنظومة فى فن التوحيد وهو شرح مطول يكثر فيه من النقل عن كتب لها مكانتها فى فن التوحيد ويعتبر هذا الشرح أوسع من شرح الشيخ سعد الدين التفتازانى على العقائد التنسية . ومن تلاميذ الشيخ محمد المضوى الشيخ خوجلى عبد الرحمن أبو الجائر المعروف بأزرق توتى ومنهم أيضا أولاد سوار الذهب الذين قدموا اليه من دقلا وهم بدورهم رجعوا لمنطقتهم يدرسون العلم هناك .

ثم انتقل الشيخ المضوى الى شندى جنوبا وأقام فيها هناك يدرس للناس الفقه المالكى - المختصر وشرح المختصر والرسالة وعلوم اللغة والبلاغة والتفسير والحديث وقد بلغ عدد طلبته ثلثمائة طالب .

**الشيخ محمد بن على (٣) بن قوم الكيمانى :**

وهو من العلماء المصريين - قدم البلاد حوالى ٩٧٠ هـ / ١٥٦٣ وزار اريجي فى منطقة الجزيرة وسنار ثم بربر حيث استقر بها ويقال أنه أول من درس المذهب الشافعى فى السودان وقد تتلمذ عليه كثيرون منهم الشيخ عبد الله العركى والقاضى دشين الملقب بقاضى العدالة والشيخ ابراهيم القرصى .

وكان الشيخ بن قوم قد درس فى مصر على الشيخ محمد الخطيب الشربيني أحد اعلام الشافعية هناك .

---

(١) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١٦٥ .

(٢) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١٤٢ .

(٣) محمد ضيف الله - الطبقات - ص ١٦٩ .

## ● مؤلفات العلماء السودانيين

لقد عني بعض أولئك العلماء السودانيين بتأليف الكتب الدينية (١) والتفوية أسوة برصفائهم في مصر والشام والمغرب والبلاد الإسلامية الأخرى نذكر منهم الشيخ ارباب بن عون المعروف باباب العقائد المتوفى عام ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م مؤلف كتاب الجواهر في أركان الإيمان ووصف الكتاب بأنه كان ذا نفع عظيم وقد علمت أن نسخة منه موجودة اليوم في المغرب ضمن مخطوطات أخرى كثيرة وأرباب هذا درس الفقه على الشيخ الزين بن صغيرون الذي درس على أبيه صغيرون وهو الذي قرأ على أخواله أولاد جابر وعلى الشيخ محمد البنوفري في مصر كما درس ارباب العقائد علم التوحيد على الشيخ علي ودبري المتوفى عام ١٠٧٣ هـ / ١٦٦٣ م / والذي درس على الشيخ صغيرون الذي ورد اسمه آنفا .

كذلك ألف الشيخ إبراهيم بن عبودي المعروف بالفرضي كتابا في علم القرائن وقد درس على الشيخ عبد الرحمن بن حمدو الذي درس في الأزهر على الشيخ البنوفري - غير أن أولئك العلماء أكثروا من شرح بعض الكتب التي كانوا يدرسونها طلابهم لتناسب المستوى العلمي أو المرحلي لطلابهم إذ أن بعض الشروح المجلوبة كانت مصقاة العبارة وغريبة المبنى فبسطوها بما يلائم بينهم وفي ذلك ما يدل على طول بأهم في المعرفة وإصالة التفكير التربوي ومدى انشباطهم في سبيل البحث العلمي .

ومن بعض تصانيف أولئك الفقهاء وإثني جاء ذكرها في كتاب الطبقات :

(١) راجع يوسف فضل - دراسات في تاريخ السودان ج ١ ص ١١١ إلى ١١٨ .

- شرح مختصر خليل لكل من ضيف الله بن علي ومختار بن جوده الله .
- حاشية على مختصر خليل لمحمد بن عبد الله بن حمد الاغبش .
- حاشية على خليل لعموده التنقار .
- رسالة في الفتاوى والاحكام لعبد الرحمن بن جابر .
- شرح الرسالة لمكي النحوي الرباطي .

#### في علم التوحيد :

- شرح أم البراهين الصغرى والكبرى لعلي بن برى وقيل انها سار بذكرتها الركبان .
- الحاشية على أم البراهين - الوسطى والصغرى والعمدة لمحمد بن المضوى كما كتب شرحا في بدء الأمل لسراج الدين بن عثمان الاوشى وتوجد نسخة من هذا المخطوط في مكتبة المعهد العلمى بام درمان كانت ملكا للعالم السودانى الشيخ يوسف الطريفى المعروف بأبى شرا المتوفى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ م / وقد وصف صاحب الطبقات هذه الشروح والحواشى بقوله « شأنها ان تكتب بماء الذهب » .
- وقد شرح عقيدة رسالة ابن أبى زيد القيروانى كل من محمد المضوى ومكي النحوى الرباطي .

كما شرح مقدمة السنوسى كل من علي حموده الكاهلي ( شرفان ) وشانم أبو شبال وعبد القادر البكاى ومحمد بن عدلان الشايقى ( شرفان ) ومكي النحوى الرباطي الذى شرحها فى أربعين كراسا ونظم عبد الله ابن دفع الله العركى نظمين على كبرى السنوسية ومقدمات الأشعرية .

وآلف مالك بن عبد الرحمن ولد حمدته ثلاث حواشى على الميراث كبرى ووسطى وصغرى وقد وصفت بأنهن كن فى غاية الإبداع .

وقد قام بشرح الجزرية وهى منظومة مشهورة فى التجويد لشمس الدين أبى الخير بن ياسين الدمشقى القرشى الجزرى من أئمة الحفاظ وعلماء القراءات المتوفى عام ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م كل من المضوى محمد المضوى وعبد الرحمن بن حمد الاغبش .

وحقيقة لقد سار أولئك العلماء على نهج أساتذتهم ومن سبقوهم من فقهاء المسلمين في الاكتثار من الشروح منذ سقوط بغداد في أيدي الغول وعهد المساليك ( ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م ) والحسك العثماني في مصر ( ١٥١٧ هـ - ١٨٠٥ م ) إذ نجد العلماء أكثروا من الشروح بل وشرح الشروح واختصارها والتحشية عليها وتهميشها والتنبيه على ما فات واضعيتها .

لقد عاش العلماء السودانيون في فترة كان الحكم العثماني يجثم على صدر الأمة الإسلامية وبالدات مصر وهو عصر يمكن ان نسميه دون مبالغة عصر انحطاط وضعف الثقافة الإسلامية واللغة العربية وإذا رجعتا الى علماء الأزهر في تلك الفترة لا نجد منهم من بلغ شهرة وشأوا بالمقارنة مع مجموع العلماء الافذاذ الذين قادوا الفكر الاسلامي في مختلف فروعه كالنوبختي والنويري والسبكي والعمري وابن عقيل والباقيني وابن خلدون والفتنشدني والمقريزي والحافظ بن حجر والعيني والسيوطي وابن اياس وغيرهم .

لقد كانت مكتبات أولئك العلماء تمتلئ بالنفيس من الكتب إقتنوها وجمعوها بعد جهد ومشقة ودفعوا ثمنها لها كل ما كانوا يملكون وكان جلها ان لم تكن كلها تأتيهم من مصر على يد الراحلين في طلب العلم فكانت مصر مهبط كثير من هؤلاء الطلبة كما كانت مصدرا هاما للهجرات العربية وللرواد من العلماء الذين وضعوا الأساس الثقافي لهذه البلاد ومن طريف ما يروي ان الفقيه حامد الدين بن سليمان باع عبدا ليشتري بتمنه كتاب الشبراخيتي على خليل وكان أول من أحضر شرح عبد الباقي على خليل الى السودان وعبد الباقي هذا هو عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي والذي كان يدرس في الأزهر وشهد له بالتمهر في العلم والفقه وقد توفي عام ١٠٩٩ هـ / ١٦٨٨ م .

ويروي أيضا عن الشيخ عبد الرحمن بن صالح بن بان النقا المتوفى عام ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م اهتمامه باقتناء الكتب المتنوعة ولما فرغ من نسخ كل ما عثر عليه في داخل البلاد أرسل الى مصر والنجاز ليشتري غيرها فتكونت له مكتبة ذات ست خزانات كما أحضر العالم عمار بن عبد الحفيظ الخطيب الذي ورد ذكره في غير هذا المكان رحلين أو ثلاثة من الكتب من مصر وكذلك كان للشيخ إبراهيم العودي خطيب سنار ومدرستها على مذهب الشافعي خزانة كتب موقوفة على طلبة العلم .

لقد ترك لنا أحد فقهاء السودان دراسة عن سير ثلاثين وسبعين من علماء السودان في ذلك العهد ( ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م إلى ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م ) تدل على سعة معارفهم ونبوغهم في مختلف صنوف العلم ويقول مثلاً عن الشيخ حجازي انه كان طبيباً ماهراً كانه ابن سينا في حكمته وشاعراً حاذقاً كانه كعب بن زهير في شعره وله معرفة بالخط الحسن كانه ابن مقله في خطه ويعرف جميع الأقلام العبرانية والسريانية واليونانية وله معرفة بصناعة الكيمياء كانه جابر في صناعته وهذا الوصف وان كانت تشويه المبالغة الا انه يلقي ضوءاً على نبوغ الشيخ حجازي كما يدل على ان قراء ذلك العهد يعرفون شيئاً عن الاعلام الذين ورد ذكرهم .

وهذا المعجم الذي نحن بصددده هو كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان للفقير العالم محمد ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي المولود بجلغاية الملوك عام ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧ م والمتوفى عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م وهو يتحدث عن سيرة علماء وفقهاء ومتصوفة ذلك العصر والمنهل الثقافي والفكري الذي استقروا منه وهو بطبيعة الحال سجل هام لحياة السودانيين الدينية والثقافية والأدبية والاجتماعية والسياسية في دولة سنار .

ويستهل المؤلف معجمه بمقدمة جاء فيها « ... وبعد فقد سألني جماعة من الاخوان أفاض الله علينا وعليهم سحائب الاحسان واسكننا وإياهم أعلى فرديس الجنان بحرمة سيد ولد عدنان فأجبت سؤالهم بعد الاستشارة الواردة في السنة وبعد الالتسام مع انه لم يكن لأسلافنا وأسلافهم وضع في هذا الشأن الا أن اخبارهم متواترة عند الخاص والعام منها ما بلغ حد التواتر عندهم فأجبت ان أذكر ما تواتر واشتهر من تلك الاخبار وذلك لأن الخبر المتواتر عند الأصوليين من الأقسام اليقينية التي تفيد العلم بالشئ وتنفي عنه الشك والظن والوهم وقد اقتديت بجماعة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين فانهم ألفوا في التاريخ والمناقب كالامام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور والجلال السيوطي في كتساب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة والحافظ بن حجر ألف كتاباً في علماء عصره سماه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والشيخ أحمد المقرئ ألف كتاباً سماه نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب واخبار وزيرها لسان الدين بن الخطيب ... » .

اهتم علماء المسلمين بعد ان وقعت البلاد الاسلامية في يد التتار بالتأليف وخاصة كتب التاريخ وتراجم الاعلام كما هو معروف وربما أخذ

مقدمته تلك من كتاب حسن المخاضرة للسيوطي الذي يذكر انه اقتدى في كتابه ببعض من تقدمه ممن ترجموا لأنفسهم ومنهم عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور وياقوت الحموي في معجم الأدياء ولسان الدين الخطيب في تاريخ غرناطة والحاقل تقي الدين الفارسي في تاريخ مكة وابن حجر العسقلاني في قضاة مصر وأبو شامة في الروضتين - ولكن يبدو انه تأثر في منهج الكتاب بالشميخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه : -

( الطبقات الكبرى ) .

ونحن لا نود ان نقف موقف الناقد للكتاب فهو على أى حال سفر عظيم عن فترة هامة في تاريخ الثقافة والفكر في السودان . لا غنى لأى باحث عنه . لقد وضعه مؤلفه باللغة السودانية الدارجة وحققه العالم السوداني دكتور يوسف فضل وعلق عليه وكتب عنه مقدمة مستفيضة لا غنى لأى باحث في تاريخ تلك الحقبة عنها .

كان ملوك سنار وسلاطينها يعظمون العلماء ويجلونهم وينزلونهم مكانة كبرى في نفوسهم وقد كان أولئك الملوك على قدر كبير من العلم والفقه ويرى ان الملك السناري (١) ناصر بن بادى الذى حكم من ١١٧٥ هـ / ١٧٦٩ م الى ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م قتل وكان المصحف على يمينه ولوطا كتاب الامام مالك على شماله .

كان سلاطين سنار يسرون وفدا محملا بالمال والذهب الى الأزهر بعد الحصاد من كل عام كما كان بعضهم يرسل علماء الأزهر ويجزل لهم العطاء كما سجل ذلك العالم الأزهرى عمر (٢) المغربى فى قصيدة بعث بها الى السلطان بادى بن رباط المعروف بأبى دقن - والذى حكم ثمانية وثلاثين عاما ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٥ م يمدحه ويشكره على هداياه له نذكر منها فى وصف سنار عاصمة الملك .

أيا راكباً يسرى على متن خسامر ويطوى اليه شقة البعد والنوى ويتنفس من مصر وشاطئ نيلها لك الخير ان وافيت سنارقف بها والق عصا التسيار في سوح أنسها	الى صاحب العلياء والجود والبر ويقتحم الاعمار في المهمة القفر وازهرها المعمور بالعلم والذكر وقوف محب وانتهر فرصة الدهر تجد كل ما تهوى النفوس من الأمر
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) نعم شخير - جغرافية وتاريخ السودان - طبعة دار الثقافة بيروت - ص ٣٩٨ .  
(٢) احمد بن الحاج - كاتب الشونة - ص ١١ تحقيق الشاطر بصلي



وعندما دالت دولة سنار بكى عليها شاعرها ونعماها بتقصيدة  
تأمل مرثية أبي البقاء صالح الرندي المشهورة منذ سقوط مدن الأندلس  
والتي جاء فيها :

لكن شيء إذا ما تم نقصان	فلا يضر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول	من سره زمن ساءته ازمان
أين الملوثة ذوو التيجان من يمين	واين فيهم الكليل وتيجان
واين ما شاهده شمسداد من آدم	واين ما ساءه في الفرس ساسان
واين ما حازه قارون من ذهب	واين عساد وشمسداد وقبطان
اتى على الكل امر لا مرد له	حتى قضوا وكان القوم ما كانوا
دها الجزيرة امر لا عزاء له	هوى له احساد وانهاد نهلان
يبكى الحنيئة اليغصاء من	اسف كما بكى لفرار الاف هيمان
على ديار من الانسلاخ خالصة	فسد افقرت ولهيا بالكفر عمران
بالامس كانوا ملوكا في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبادان

قال الشاعر السوداني يبكى (١) على سنار ويصف مشاعر اللوعة  
والحزن ويرسل احكاما عامة وزوال النعم وان الدنيا دار رحيل لا تدوم ،  
الى غير ذلك .

ارى لدهرى اقبالا وادبارا	فكل حين يرى للمرء اخبارا
يوما يريه من الافراح اكملها	يوما يريه من الاحزان اكدارا
والدهر هذا فلا تبقى محاسنه	فيبدل المرء احسانا واضرا
فاين عاد وشمسداد وما ملكوا	واين فرعون والنمرود اذجارا
واين كسرى واين الوالي وقيصره	واين جمعهم فقد صار اخبارا
اه على زمن قد كان في طرب	كنا بجمع من الاحباب سمارا
اه على بلد الخيرات منشينا	اعنى بذلك دار الفونج سسارا
فاوحشت بعد ذاك الانس وارنحلت	عنها الامائل بدونا وحضارا
وصار عمرانها المحسون مشدرا	يصيح يوم به في الليل حرارا
وابدلت دولة الاعزاز من همج	كانهم لم يكونوا الدهر اوزارا
فمنصب الملك والتعظيم منظمس	كانه لم يزل بالفخر اظهسارا
بالجد كانوا كرام الناس منقبة	بسيرة كاملي الفضل احرارا
فلو رايت بهم ما حل من ضرر	اجريت دمعا اعلانا واسارا

(١) احمد بن الحاج كاتب الشونة - مخطوطة - تحقيق الشاعر بوصيل ، ص ٨١ .

أثمة الدين يا هذا لهم شرف  
تبكى مساجد أهل الله خادمة  
فابشروا بفصل الله ساداتنا  
تبكى محاكمهم تبكى مدائسهم  
ففيهم حكموا الرصاص والنارا  
ترمى عليهم دموع الحزن اقطارا  
فقد حظيتهم بخير النزل اجهارا  
تبكى مفاخرهم تنبئك أخبارا

ويلاحظ ضعف القصيدة والاختاء بها فهي من نوع الشعر الضعيف  
الذى سبق نهضة الشعر في العالم العربي ولكنها تمتاز بحرارة عاطفتها  
وهي تطلع من أرقى أشعار ذلك العهد .

وبعد أكثر من مائة عام بكى سنار الشاعر السوداني محمد سعيد  
العباس بقوله :

زوت سنار والجوانح أسرى  
أن محال الدهر حسنتها فنقصد  
لهف نفسي فقصدت يا قبلة الخير  
كنت مثوى للأكرمين وميدانا  
ورحبا قد زينت وقبابا  
عاش ما عاش وهسو جسد أبى  
ارخصوا في هواك كل عزيز  
فرقتهم يد الزمان ناديسد  
قد شقينا من بعدكم فنوردنا  
زفرات هدت قوى الصبر هذا  
كانت مرادا للمتعفين وخلصدا  
كهسولا حموا حماك ومردا  
رخيا خيلهم ومنسدى  
فإن ارجاءها عليك مفدى  
لم يعثر لغير مسواه خسدا  
فتباروا في الحرب والسلام جندا  
ومسا خلفوا لعمرى ندا  
يا كرام الحمى من الهول وردا

## ● الأثر والقضاء والفتاوى فى سلطنة سنار

انتظم القضاء والفصل فى النزاعات المدنية والأحوال الشخصية عند قيام سلطنة سنار . فى عهد الشيخ عجيب ( ١٥٦٣ - ١٦١٠ م ) زعيم القبائل العربية المتحدة آنذاك وأحد حكام دولة سنار على أسس الشريعة الإسلامية أسوة بما كان يجرى فى مصر والشام والحجاز فى القرن العاشر الهجرى هذا مع تطبيق لبعض القوانين العرفية .

كان هناك قاض يحكم فى (١) جميع المنازعات بالقانون السماوى - القرآن الكريم ولم يكن موزعا الى مدنى وجنائى وأحوال شخصية وكان يشترط على القاضى أن يكون : -

حافظا للقرآن الكريم عارفا لأحكامه مجودا له وإن يكون قد ألم بطرف غير يسير من علم الكلام أى التوحيد . وإن يكون متبحرا فى علوم الفقه وإن تكون دراسته على مذهب الإمام مالك إذ هو السائد فى السودان منذئذ وإلى اليوم . كما يشترط بعضهم أن يكون القاضى سالكا للطريق الصوفى وهو فى الأغلب الطريقة القادرية ومشتقاتها . كما يتعين عليه أن يعرف اللغة العربية ويلم بها اللما كافيا .

وقد يلجأ أحد المتقاضين إذا لم يكن راضيا عن حكم صدر عليه من أحد القضاة لقاض آخر ويعرض عليه قضيته فيما يشبه الاستئناف وهنا قد تجرى مناظرات ومحاورات بين القضاة يكون الحكم فيها على ما استقر عليه رأى القضاة وفى بعض الأحيان يحتكمون إلى علماء مصر فيما تشأ

(١) محمد محبى الدين - مشيخة العبدلاب ص ٤٢٨

بينهم من خلاف (١) . كما حدث في قضية حكم فيها القاضى السودانى عبد الرحمن بن شبيب التويرى متخرج الأزهر على امرأة تبرعت بثلت مالها قاصدة بذلك ضرر زوجها حكم برد المبلغ ونازعه فقها زمانه وكاتبها الشيخ الاجهورى العالم المالكي فى الأزهر فاجابهم بصحة الحكم مراعاة للمعرف والمصلحة .

كذلك عندما دخل التميخ فى مصر وبدأ انتشاره فى العالم العربى ومنه السودان فى نهاية القرن العاشر الهجرى اختلف العلماء السودانيون فيما بينهم فمنهم من اياهه ومنهم من حرمة تباعا مثل ما جرى فى مصر وقد وقف الشيخ (٢) ادريس الارباب العالم والمتصوف السودانى معارضا الشيخ عليا الاجهورى الذى أفتى بإباحته ومؤيدا الشيخ ابراهيم اللقانى صاحب جوهره التوحيد فى حرمة . أما العسالم السودانى الشيخ عبد الرهاب رجل أم سنبل ، فقد عارض الشيخ ادريس وأيد الشيخ اللقانى محرما استعمال التميخ وجرت مناظرات عدة بين العالمين السودانيين فى ذلك ثم أرسل الشيخ ادريس رسالة خاصة الى الشيخ الاجهورى حملها رسول منه هو حمد ولد أبى عقرب يعارضه فيها ويورد له حجته فى تحريم التميخ وكانت بينهما مراسلات ودية من قبل . كذلك كانت هناك صلات ورسائل مودة بين بعض علماء السودان وعلماء الأزهر منها ما كان بين الشيخ محمد الحراشى امام المالكية فى مصر وأول امام للأزهر وبين العالم السودانى الشيخ ابراهيم صفيرون وقد أهدى العالم السودانى جارية الى الشيخ الحراشى الذى بعث له بدوره نسخة من شرحه الكبير على مختصر خليل فى مذهب مالك الذى عم النفع به شرقا وغربا كما يقول المؤرخ السودانى محمد ضيف الله المتوفى عام ١٢٢٤ هـ / ١٨١٣ م .

وتوجد الآن بعض الأحكام التى صدرت فى العهد السنارى ( ١٥٠٥ هـ - ١٨٢١ م ) فى نزاعات حول الأرض ما زال أصحابها يحتفظون بها ويتخذونها وثائق لاثبات ملكيتهم للأرض وقد قدمت للقضاء السودانى فى الحكم البريطانى وسجلت لهم أراضيهم بمقتضى تلك الأحكام وهى تدل على ما كان عليه القضاء آنذاك من نزاهة وفهم للمسائل العلمية (٣) .

(١) ود شيف الله - الطبقات - ص ٩١٤ .

(٢) ود شيف الله - الطبقات - ص ٩٠ .

(٣) القاضى يوسف ابراهيم التور - صفحة من تاريخ السودان القديم - القضاء -

مقال فى مجلة النور السودانية مارس ١٩٣٧ .

كان جل الفقهاء الذين تولوا القضاء في سلطنة سنار من متخرجي الأزهر أو ممن درسوا على متخرجيه ولم تكن تصرف لهم مرتبات بل السلاطين يجزلونهم المعطاء ويمنعونهم أراض يعيشون منها وكانت أموالهم معفاة من الضرائب والمشور ، كما لم يكن الحاكم يتدخل في أحكام القضاء لأنها كانت قائمة على القانون السماوي ولم يكن أحد يخالفها وبالذات فيما يختص بالأحوال الشخصية إذ يعتبر فسوقا وخروجاً عن حكم الشريعة .

## ● سلطنة دارفور والأزهر

أسس هذه السلطنة الإسلامية السلطان سليمان صولون عام ١٦٤٠ وب لغت النهضة الإسلامية في هذه السلطنة أوجها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي وقد اتسعت رقعتها حتى شملت إقليم دارفور بأكمله وجزءا من كردفان ثم سقطت في فترة الحكم التركي على السودان عام ١٨٧٤ وأصبحت جزءا منه .

لقد عمل سلاطين دارفور منذ عهد مؤسس الدولة الإسلامية سليمان صولون ( ١٦٤٠ ) م على تشجيع العلماء من مصر وسنار وتونس ودعوتهم للإقامة في بلادهم لتدريس أهلها أصول الدين الإسلامي كما شجعوا مواطنيهم للسفر الى مصر طلبا للعلم في الأزهر وأقاموا لهم رواقا هو رواق دارفور . وكانوا هم أنفسهم يمثلون القدوة الحسنة لمواطنيهم فلم يكن يتولى الحسكم أى منهم الا اذا كان حافظا للقرآن . لقد أقام أولئك السلاطين مساجد عديدة يكاد يكون في كل بلدة مسجد أو أكثر يتعلم فيه الصبية الكتابة والقرآن ومع كل مسجد زوايا ومساكن للمجاورين لدراسة العلوم الشرعية ومن أشهر تلك المؤسسات العلمية خلاوى طره وشوبا والطينة وجوامع الفاشر وكوبى وجديد السيل وكان فقهاء تلك الدور العلمية من الأئمة المتفقهين في الإسلام .

وكان السلاطين يهبون العلماء القطاعات من الارض يعيشون عليها من ريعها هم وتلاميذهم .

لقد انتقل الى دارفور من سنار علماء سودانيون تخرجوا في الأزهر أو درسوا على علماء من متخريجي الأزهر أخادت منهم البلاد هناك ولقوا

خطوة عنده سلاطينها نذكر منهم الشيخ أبا سرور الفضلي الجملي وكذلك الشيخ أبا زيد بن الشيخ عبد القادر والشيخ حسن ولد عماري \*

ومن أشهر ملوك دارفور الذين أشجعوا هجرة العلماء لدارفور هو السلطان عبد الرحمن الرشيد ( ١٢٠١ - ١٢١٥ هـ / ١٧٨٧ - ١٨٠١ م ) لما عرف عنه من علمه وحبه للعلماء وقد وفد عليه عدد كبير نذكر منهم من قبيل المثال الشيخ عمر التونسي الذي تخرج في الأزهر وكان قد قدم سنار أولا ثم دارفور حيث لقي هناك رهطا من علماء دارفور اجتمعوا به وأكرموه منهم الفقيه مالك الذي وصفه محمد بن التونسي بأنه أعظم الوزراء العرب ومنهم الفقيه محمد كريتم والشريف سرور بن أبي الجود وعبد الكريم بن الفقيه حسن ود وعوضه وأحزابهم ومنهم الشيخ عز الدين الجامعي وحسين ود عماري وهما من متخرجي الأزهر والشيخ غرباوي وغيرهم \*

لقد قويت شوكة الاسلام في دارفور في عهد هذا السلطان وأولئك العلماء ويقال ان السلطان بنى تسعة وتسعين جامعا في سلطنته اضحت مؤثلا لطلاب العلم والدرس \*

وبعد وفاة السلطان عبد الرحمن الرشيد خلفه ابنه محمد الفضل ( ١٢١٥ - ١٢٥٤ هـ / ١٨٠١ - ١٨٣٩ م ) الذي تولى تربيته وتعليمه هو وأولاده الفقيه الأزهرى حسين ولد عماري ولعله من المناسب ان ننقل نص الكتاب (١) الذي رد به السلطان محمد الفضل على رسالة محمد علي باشا عام ١٨٣٠ يدعو فيها للتسليم والخضوع له أمرة ببقية بلاد السودان وقد حرر ذلك الكتاب العالم الأزهرى ود عماري :

« الحمد لله الذي حكم بين عباده بالحق قطعا سبحانه يجزى كل نفس بما تسعى واليه المعاد والرجعى وهو حسبي وكفى \* من حضرة من أمن الله به البلاد وجعل ملكه مسموعا من كل أحد وصيره في قلوب الأعداء نارا تستعمر وحجرا يتوقد وجعل الله على يده ضرب من طغي وتبذر ومن ضل وتعتد وهو شاب صغير السن ولو صار كهلا تخضعت له الانس والجن وقد اشتهر بالكرم والجود وسال بعواضه انجم السعود وان قامت الهيجا بنفسه يجود ويصل الى الأعداء بقواطع الهندود ويتنصر بعون الله على كل موجود \*

---

(١) نعوم شقير - جغرافية وتاريخ السودان طبعة دار الثقافة بيروت ص ٤٦٣ -

هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبيد الرحمن الرشيد اعزه الله .  
« الى حضرة الكوكب العالى والنير المتلالى بهجة الانام وقدة الليالى  
صاحب العز والافتخار اخينا العزيز محمد على باشا سلمكم الله تعالى من  
المحذورات واستعملكم بالباقيات الصالحات يمنه وكرمه » .

أما بعد :

فسلام عليكم ورحمته وبركاته لديكم قد وصلنا جوابكم أوصدكم  
الله الى رضوانه وفهمنا خطايكم وبمقتضى جوابكم وكل كلمة من المرقوم  
يستحق جوابها المفهوم ولكن يكفى من ذلك كلمة الى القيوم حيث قال  
( له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كيلا يفسد  
كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ) . .  
« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

انكم طالبون دولتنا وانقيادنا لكم هل بلغكم انفسا كفار وجب لكم  
قتالنا وابيح ضرب الجزية علينا أو غركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية  
فنحن السلاطين وهم الرعية ؟ أورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك أم  
ورد لك حديث من رسول الله تجد فيه تمليك أم خطر لك خاطر من عقلك  
بأن لك ربا قويا ولنا رب صغير الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون  
ولا مبتدعون ندين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نؤدى الفرائض ونترك المحرمات ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر  
والذى لم يصل تأمره بالصلاة والذى لم يترك نأخذ منه الزكاة ونضعها  
فى بيت المال ولا ندخرها ونرد الأمانات الى أهلها ونعطى كل ذى حق  
حقه حتى دانت لنا القبائل العظام ومن أنى دولتنا يرجع مكرما بأذن الله  
تعالى ولو اشتدت به الريح فى يوم عاصف ألم تر الى قوله صلعم « لو  
بقي جبل على جبل لك الباقى » أما علمت ان دارفور محروسة محمية  
بسيوف قطع هندية وخيول جرد اذهمية وعليها كهولة وشبان يسرعون  
الى البيضا بكرة وعشمية . أما علمت ان عندنا العباد والزهاد والافطاب  
والاولياء والصالحين من ظهرت لهم الكرامات فى وقتنا هذا هم بيننا  
يدفعون شر تاركهم فتصير رمادا ويرجع الملك الى أهله ويكفى من بعد ذلك  
والله يكفى شر الظالمين » .

استلم محمد على باشا الرسالة ولم يشأ ان يجازف ويرسل قواته  
لغزو دارفور وانتهى بذلك الأمر الى ان سقطت عام ١٨٧٤ على يد القائد



السوداني الزبير رحمة باشا وضمها للسودان في عهد الحكم التركي والكتاب يصور في ايجاز ما كان عليه الحال والحكم في دارفور من عمل بالسنة والكتاب وأثر العلماء والفقهاء في المجتمع الديني بطبيعة الحال .

وفي عهد السلطان محمد الفضل أتى العلامة الأزهرى محمد عمر التونسي الى دارفور عام ١٨٠٣ ليلحق بوالده هناك والذي ورد ذكره آنفا عندما هم والده بالعودة الى بلاده تونس طلب منه السلطان محمد الفضل ان يبقى معه في دارفور بدلا عن أبيه - أقام محمد التونسي في دارفور سبع سنوات ألف بعد عودته لمصر كتاب « تشييد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » والكتاب يعتبر مرجعا هاما عن دارفور في تلك الفترة . تحدث عن القبائل هناك وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقدات بعضهم وكل ما يتصل بمجتمعاتهم وبالرغم مما حواه الكتاب من مبالغات وتحامل على المرأة السودانية الأمر الذي لفت النظر اليه المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم الا انه أسدى خدمة جليلة للعلماء ومؤرخي ذلك العهد في دارفور .

يعتبر محمد عمر التونسي أحد رجال الأزهر الذين نهضت الصحافة والتأليف الأدبي على أكتافهم وهو المحقق الخوى والعارف بالمصطلحات العلمية ومؤلف الثمور الذهبية في الألفاظ الطيبة .

كما زار السودان العالم التونسي الأزهرى محمد زين الدين (١) وأضى فيه عشر سنوات كان يعلم الناس ويصبرهم بشئون دينهم وينقل في ربوع البلاد في سنار وكردفان ودارفور ووداي وكتب مخطوطا عن رحلاته هذه ولكنها فقدت ونشرت ترجمة لها باللغة التركية في اسطنبول عام ١٨٤٦ وصف فيها حضارتي دارفور ووداي وأنظمتها الاجتماعية وأورد بيانات مفصلة عن حياة القبائل هناك وتقاليدها وتجاريتها ويعتبر ذلك الكتاب تنمة قيمة لكتاب التونسي عن دارفور الذي سماه تشييد الأذهان .

كان زين الدين هذا على اتصال وثيق بالعلماء الأوربيين الذين أقاموا في مصر في عهد محمد علي باشا .

لقد كانت في دارفور فعلا نهضة دينية مرموقة وكانت البنت هناك تتعلم قبل الولد بل كان شرطا أساسيا للزواج ان يكون الزوجان متعلمين ولذلك ليس غريبا ان نجد معظم نساء دارفور من كبار السن يعرفن

(١) الأصول التاريخية للعلاقات العربية من ١٦٦٣ - ١٥٠٠ كمال زكريا قاسم - المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم - معهد البحوث .

القراءة والكتابة ويحفظن القرآن وكان مما أخذ على القسائد السوداني الزبير باشا رحمة أنه حارب وقضى على دولة تدين بالاسلام وتمسك به ويحرصن نساؤهما على حفظ القرآن كرجالهم بالفعل .

كان في دارفور آنذاك علماء وفقهاء معروفون قبل سقوطها على يد الزبير رحمة عام ١٨٧٤ وكانوا يحظون بمكانة رفيعة في بلادهم وقد وصفهم الزبير رحمة بأنهم اجل علماء دارفور وكان قد كتب اليهم راجيا التوسط بينه وبين السلطان ابراهيم حتى لا تقع حرب بينهما حقنا لدماء المسلمين ، هؤلاء الفقهاء هم سلامة بن الفقيه مالك وفخر الدين بن الفقيه محمد سالم والفقيه سالم والامام الضو بن الامام المصري امام السلطان ابراهيم ولعلمهم من متخرجي الازهر كما علمت . وعندما ضمت دارفور للسودان في عهد الحكم التركي كما ذكرنا توافد اليها وعمل فيها فقهاء ازهريون نذكر منهم العلامة أحمد محمد الجداوي الذي عمل في القضاء ثم نقل مدرسا لمدرسة الخرطوم وكذلك العالم السوداني محمد البدوي متخرج الازهر وتلميذ الشيخ عليمش والذي أصبح قيما بعد شيخ علماء السودان والشيخ عبد القادر اسماعيل الكردفاني وقد ورد ذكرهم آنفا .

كانت لدارفور محاكم شرعية تحكم على كتاب الله وسنة رسوله صلعم ويقضى فيها علماء على مذهب الامام مالك وكان جل قضائهم من (١) متخرجي الازهر كما كانت لها محاكم عرفية تقوم على أساس العسرف السائد آنذاك .

وليس من السهل تحديد العلماء النابيين الذين لعبوا دورا محمودا في نهضة دارفور في العصر الحديث الا أننا نذكر منهم الشريف محمد الامين كرار والشيخ محمد أحمد آدم تيراب والاستاذ محمد أحمد سسوار والشيخ يعقوب حسين .

---

(١) القاضي حسين سيد أحمد المفتي - نظور القضاء في السودان ص ٥٩ .

## ● الحكم التركي في السودان

( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )

نادى الشعب المصرى بمحمد على باشا واليا على مصر بعد ثورة كبرى فى مايو عام ١٨٠٥ م الموافق لصفر سنة ١٢٢٠ هـ وما ان دانت له البلاد حتى بدأ يصفى الثورة شيئا فشيئا ويقهر زعماءها وينفيهم ويسخر طاقات الشعب المصرى تحقيقا لمصالحه ومآربه . وقد تورط فى حروب لا حاجة له بها وكان أشدها ابلاما تلك التى شنّها على الثورة الوهابية فى الجزيرة العربية والتى كانت تنادى ببيعة اسلامية وبتحرير الشعوب من الاستبداد التركى .

— كان الرجل يرنو ببصره الى السودان كغيره من حكام مصر منذ فجر التاريخ فأرسل وفدا الى ملك سنار ( السودان ) كمظهر لمودته ومدخلا لصداقته وملتمسا منه طرد المماليك الذين لجأوا الى السودان بعد أن قتل بهم فى مصر وقطع أوصالهم ولكن مهمة الوفد الحقيقية كانت التعرف على أحوال البلاد وتقدير ما يلزمه من جيوش وعتاد لغزوها وعاد الوفد موضحا حالة الانقسام والتفكك الذى اعترى جسم دولة سنار وقد شجعه احد زعماء القبائل السودانية وهو الملك نصر الدين زعيم قبيلة الميرقاب فدعاه لغزو البلاد .

وكانت الفرصة مواتية لمحمد على لتحقيق مخططة فيادر باستصدار فتوى تسوغ له فتح السودان حيث ان الشرع الاسلامى لا يبيح حرب المسلم للمسلم كما اتصل بسلطان تركيا ولعله السلطان محمود الثانى يستأذنه فى فتح السودان وضمه الى مصر وقد وافق السلطان على ان يكون الفتح باسم خليفة المسلمين .

واسرع محمد علي باشا فسير في عام ١٨٢٠ جيشا بقيادة ابنه اسماعيل باشا لفتح البلاد واظهارا لحسن نواياه واستغلالا لعواطف الناس الدينية ارسل مع الجيش الفاتح ثلاثة من نخبة علماء الازهر يمثلون المذاهب الدينية وهم القاضي محمد الاسيوطي الحنفي والسيد احمد البقلي الشافعي والشيخ احمد السلاوي المغربي المالكي وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الاستسلام والطاعة دون حرب بحجة أنهم مسلمون وإن الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين وخليفة رسول المسلمين واجب ديني وقد سهل هؤلاء له مهمته لما عرف عن أهل السودان من نزعة دينية مضافا إلى حالة التفكك القبلي الذي كانت تعانيه البلاد وأصبح السودان أو كما كان يعرف بستانار خاضعا لمحمد علي وعرف ذلك العهد الذي امتد من عام ١٨٢١ إلى ١٨٨٥ م بالحكم التركي -

## ● اغتيال اسماعيل باشا (١)

بعد أن تم لاسماعيل باشا بن محمد علي باشا فتح السودان قفل راجعا الى مصر وفي طريقه اليها وعند مدينة شندي « ترك الباشا خيالاته في مكان يبعد نحو عشرين ميلا جنوب شندي وأسرع مع نفر من مماليكه الخواص وطبيبه وخازن داره الى شندي وما ان دخلها حتى استدعى الملكين نمر والمساعد ملكي قبيلة الجعليين وطلب منهما أن يحضروا من النقيود والماشية والجمال ما يقدر بنحو عشرين ألف جنيه حسب بعض الروايات أو على وجه العموم مبلغا تقصر مواردهم عن أدائه .

كان اسماعيل يرهب والده ويخافه وقد عرف من الخطابات التي بعث بها اليه ان ما وصل مصر لم يكن بالشيء المنتظر من بلاد عرفت بخيراتها الوفيرة فهو يريد أن يقدم لوالده هدايا قيمة من اقليمه الذي فتحه وان ينال الرضاء والتقدير وهو لم يسر من الملكين نمر والمساعد منذ ان قابلهما لأول مرة ولم يرض الا بتسليم الملك نمر نفسه حسين بعث هذا بائنه لمرافقته وجيشه الغازي في طريقه لسنار ثم انه لم ينعم عليهما بسيف علامة الحلف والمعانة ولم يأنس لهما حين غادر شندي جنوبا بل أخذهما في ركابه تحت المراقبة وأوكل بحراستهما المسلح شاوليش ملك الانشايقية وخيالاته .

---

(١) د - على شبيكة - السودان في قرن - كذلك راجع محمد عبد الرحيم النداء في دفع الاغتراب ص ١٠٢ .

دهش نمر لهذه المطالب وابتدى اعتراضه في لغة وقوة لم يرض عنها الباشا وما كان لنمر أن يخاطب بغير هذه اللغة لأنه نشأ على أن يأمر وتعود الخضوع والطاعة مع التقدير من شعبه وما كان للملك وملك الجمعيين خاصة أن يراوغ في كلامه أو أن يتحدث بلغة الدبلوماسية وكانت لحظة حاسمة ، هذا اسماعيل يبلغ سبعة وعشرين عاما في عتفوان شبابه وابن عزيز مصر وفاتح مملكة سنار والقاضى على حكمها وهذا نمر عامل أولاد جعل أعز القبائل في السودان والمنحدرة من سلالة العباس عم النبي ( صلعم ) ولا مجال للتحقيق في صحة نسبتهم أو شسورهم بالتسامي والتفوق لأنهم نشأوا على هذه العقيدة ويستجيبيون للمؤثرات ويتفاعلون مع الحوادث على هذه الأفكار والآراء وإذا اضطرت الاقدار - القاسية نمرًا لأن يجلس أمام الباشا في ذل وانكسار فإن لهجة الأمر التي كان اسماعيل يخاطبه بها وتقل المطالب زادت نار الثورة المخبوءة بين الجوانح تاججا واشتعالا ومارد الباشا على اعتراض نمر بكلمة قد تحتمل مهما كان وقعها ولكنه صفع الملك على وجهه يغليونه الطويل .

طبيعي لثل نمر وهو كما وصفناه عزة وقبيلة أن يرد الاسساءة التي لحقته في الحال وفعلًا كما روى قد هم بسحب سيفه غير أن المساعد قد غمره بيده في رواية وتحدث معه بلغة اليشاريين في رواية أخرى بأن يرجى الانتقام للفرصة أخرى ولو عرف اسماعيل طباع الشعب الذي أخضعه لم يرتكب هذه الغلطة ولكن مد في عمره أياما أخرى وانقذ البلاد مما أعقبه مقتلته من خراب ودمار ولكن هكذا أرادت مشيئة الخالق .

دبرت المؤامرة منذ تلك اللحظة بأن تغيرت سحنة نمر وأظهر القبول وتسليم المطلوب غدا وجهزت الدلوكة ( الطبل ) لتضرب احتفاء بالباشا وأسكر القوم حتى ناموا وأثناء السرور والانشراف وضع القصب الجاف حول مقام الباشا وأشعلت النار في بهيم الليل ووقب الجمعيون بسيوفهم يقضون على من يخترق النيران ويخرج الى الفضاء ويقال أن المماليك أظهروا اخلاصا لسيدهم بأن ترامسوا عليه فمات بالاختناق لا بالاحتراق في ليلة ١٧ صفر ١٢٣٩ هـ ( أكتوبر ١٨٢٢ م ) هكذا تروى القصة بتفاصيلها وقد تختلف في بعض أجزاءها من رواة آخرين ولكنها في جوهرها تقول بأن الأسباب هي مطالب باهظة مصحوبة بامانة بالغة وإن الرد كان اغتياالا دبر وأحكم تدبيره والوثائق الرسمية لا تنير الطريق في هذه المسألة فهي تتركنا واسماعيل قد غادر ود مدني الى الشمال في طريق عودته لمصر .

وسرعان ما انتشر خبر مقتل اسماعيل باشا وتحركت البلاد في ثورة كانت تحتبس في الصدور زهاء عامين من الزمان فقد دخل اسماعيل باشا السودان فاتحا له باسم خليفة المسلمين ولم يجد مقاومة تذكر بل سارت حملة الفتح كما وصفها مؤرخ سوداني كبير السائح لأكسير الفاتح ولكن في مدى العامين ظهر الحكم على حقيقته وغلظته وكشر عن ثابه .

ولم تحتل حاميات الحكم الجديد الهجوم عليها من قبل الثوار في كررى والحلفاية والخرطوم والعليفون والكاملين وأخطرت المحروسة ( مصر ) .

وكان محمد خسرو الدوملي والمعروف بالدفتردار في كردفان بعد ان أخضعه للحكم الجديد وهو صهر محمد علي باشا زوج ابنته بازل هاشم وتولى قيادة الجيش الفاتح بعد مقتل اسماعيل باشا وطلب منه أن يقمع الثورة الناشئة آنذاك فهب من حينه متوجها الى الأبيض يقتبس ويسفك ويحرق القرى واحتدمت القبائل بالجزر على النيل وتوجه شمالا فقتل أهلها ولم تسلم منه حتى بيوت الله فخر بها وحرق من احتموا بها وهزم الملكين نمر والمساعد وتعقبهما حتى دخلا حدود الحبشة . وقتل في الممتة (١) من الأسرى ثلاثة آلاف اذ حاول واحد منهم تسديد ضربة له بالحربة ، أحرق الممتة وشقدي وكبوشية والدامر في الشمال واستمر شهورا يعجوب البلاد وشياطين الدمار والخراب تسير في ركابه ناشرا الدعر والرعب في نفوس المواطنين حيث فتك وقتل سكان الحلفايسه وتوتى والعليفون .

لقد جمع الأسرى عشرات الآلاف رجالا ونساء في زرائب وجعل يدخل لهم الماء بالجداول وفيهم أبناء الملوك وذراى الائمة الاعلام فمنهم من مات في الحبشة ومنهم من أرسل الى مصر بما فيهم عدد من نساء الملك نمر وبناته وخالاته وعساته ليبيعوا هناك في سوق الرقيق .

ولم ينج من سيف الدفتردار أحد حتى العلماء فقد قتل في الممتة الشيخ الريح السنهوري العالم وأكثر من مائة طالب أمامه كانوا يدرسون عليه الفقه المالكي وقتل العالم قمر الدين حفيد الشيخ مجذوب وحرق

---

(١) راجع كتاب الثورة - مخطوطة - تحقيق الناظر بصيل من ٩٢ - ٩٧ وصرار صالح خرار وتاريخ السودان الحديث -

مسجد الدامر كذلك قتل بالمدفع الشيخ ارباب الكامل خليفة ارباب العقائد مؤسس مدينة الخرطوم كما قتل الشيخ صالح ولد بانقا العالم الذي ورد ذكره آنفا وقبض على العلامة الفقيه ابراهيم عيسى مؤسس المسجد المعروف وضرب ضربا مبرحا .

لقد قدر مجموع من قتلوا في حملة الدفتردار الانتقامية بثلاثين ألفا وانتهت بذلك صفحة دموية لم تشهد السودان مثلها تركت جرحا غائرا في نفوس المواطنين سنوات عديدة وفر منهم من فر الى حدود البلاد الشرقية وتركوا المدن والقرى خالية خاوية ويروى أن من ضمن الأسباب التي دفعت محمد علي باشا الى زيارة السودان عام ١٨٣٩ م محاولته لرأب ما صدعه (١) الدفتردار ولم يدع سبيلا لارضاء السودانيين الا سله .

---

(١) ابراهيم فوزى - السودان بين يدي غردون وكفشنر .



## ● الطلاب السودانيون يقبلون على الأزهر

لقد توفي القاضي محمد الأسيرطى الحنفى فى مدينة ود مدنى بعد عام من فتح البلاد أما الشيخان أحمد البقلى وأحمد السلاوى المالكي فقد رجعا الى مصر .

وبذلك شهد السودان عهدا ارتبط بمصر ارتباطا وثيقا فى كل المجالات بعد أن قامت لأول مرة فى البلاد حكومة مركزية وانتظمت فيها كل أسباب السلام وازداد اقبال السودانيين على مصر للاستزادة من العلم فى رحاب الأزهر وهاجر الكثيرون بما لا يتسع المجال لذكرهم هنا وأقام بعضهم بمصر واستقر بها وعاد الآخرون الى بلادهم للعمل فى نشر العلم وتبصير الناس بشئون دينهم .

ويرى أن سودانيا اسمه محمد على وداعة قد حضر الى مصر طلبا للعلم فى الأزهر ووجد هناك ستة من الطلاب السودانين وبعد خمس سنوات من مواصلة دراسته فى الأزهر تقدم نيابة عنهم لوالى مصر بإنشاء (١) رواق خاص بهم وقد وافق محمد على باشا على طلبه وأنشئ الرواق عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م وقد حمل اسم رواق السنارية نسبة الى سنار الاسم الذى يطلق على السودان وكان الشيخ عجيب أحد ولاة دولة سنار ( ١٥٠٥ - ١٨٢١ م ) قد أنشأ رواقا لهم توقف عنه العدد منذ آخر دولة سنار .

(١) عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان - ج ٢ ص ١٦ -

كان الطلاب السودانيون من أبي محمد ( المناصير ) فجنوبا وشرقا هم الذين يلتحقون بالرواق ثم انشئ فيما بعد رواقان - رواق دارفور وكانت دارفور سلطنة منفصلة عن سنار ورواق (١) البرابرة وهو خاص بالطلاب التوبيين السودانيين وقد تغير اسمه الى رواق شمال السودان بناء على رغبة ايداعها السيد عبد الرحمن المهدي للشيخ مصطفى المراغي شيخ الازهر عند زيارته له في الازهر في مطلع الثلاثينيات .

اهتم محمد علي باشا وحفيده اسماعيل باشا بالتعليم الديني في السودان فخصصا المنح والاعانات المالية للعلماء والفقهاء كما شيدت وعمرت في عهديهما كثير من المساجد والخلاوى والزوايا التي كانت بحق مراكز للاشباع العلمي والديني . في طول البلاد وعرضها كما شجعا انتحاق السودانيين بالازهر وقد كان هناك من حكام السودان في ذلك العهد من أبدى اهتماما بالفا ياقاد السودانيين للازهر لمواصلة تعليمهم مثل الحكمدار جعفر مظهر ( ١٨٦٦ م - ١٨٧١ م ) المصري الجنسية والذي كان ذا ثقافة واسعة وعلم نافع وقد وصفه الرحالة الفرنسي ف . لافاركو بأنه « رجل كتاب ومسجد » (٢) وكان يقرب اليه العلماء السودانيون مما جعلهم يلتفون حوله وكانت تربطه صداقة بالشيخ الأمين الضريير صميز علماء السودان .

كتب الحكمدار جعفر مظهر لمصر يطلب الموافقة على ارسسال بعثات من الطلاب السودانيين حفظه القرآن ومن حصلوا على بعض مبادئ النحو والفقه بغية الاكتساب للازهر لفترة ثلاث سنوات يعودون بعدها لأهلهم رسل ثقافة دينية سليمة ودعاة دين قويم ولعل مما حدا به لذلك خشيته من اتساع نفوذ رجال التصوف الذين انتشروا في ربوع البلاد بعد أن سمت مكانتهم وأصبح لهم أثر كبير وسط المواطنين .

وقد صاحب معه طلابين سودانيين من كسلا (٣) عندما غادر البلاد ليراسلا تعليمهما في الازهر وقام بتقديمهما بنفسه للشيخ مصطفى العروسي شيخ الازهر حينذاك وأوصاه بهما خيرا .

(١) هذه الرواية لصفا على الشيخ محمد التبارك عبد الله شيخ علماء السودان الاسود .

(٢) د . شوقي الجمل - تاريخ سودان وادي النيل ج ٢ ص ١٤٦ .

(٣) د . عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان ج ٢ ص ٦١ .

وخلاصة القول شهد ذلك العهد هجرات متلاحقة ومتصلة للازهر  
وتوسعا ملحوظا في التعليم الدينى وانتظام العلماء السودانيين فى سلك  
التدريس والقضاء الشرعى .

ثم ادخل التعليم المدنى الحديث وعرفت البلاد لأول مرة مدارس  
فى بعض مدنها على غرار ما كان يجرى فى مصر وكانت تدرس فيها اللغة  
التركية وبعضها الفرنسية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ كما كان  
يدرس فيها علماء من الازهر علوم اللغة والدين كشرح الكفراوى وشرح  
الشيخ خالد أو شرح الازهرية وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك  
ويمكننا من ذلك أن ندرك المستوى العلمى الرفيع الذى بلغته تلك  
المدارس .

● متخرجو الأزهر السودانيون  
فى العهد التركى  
( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )

ومن الرعيل الأول من السودانين الذين تخرجوا فى الأزهر وعادوا لينشروا العلم فى بلادهم أسرة عيسى بشارة الانصارى : وعيسى بشارة هذا هو أحد أمة الدين والعلماء العاملين ولد فى المدينة المنورة فى أوائل القرن العاشر الهجرى وفيها حفظ القرآن ثم سافر الى مصر فى طلب العلم وتفقده فى الأزهر على شيوخ الاسلام - الشيخ زكريا (١) الانصارى الشافعى الذى وصفه ابن اياس فى بدائعنه بأنه « الامام العالم العامل شيخ الاسلام والمسلمين مفتى الانام فى العالمين بقية السلف وعمدة الخلف عالم الوجود على الاطلاق ومن ذكره شاع فى الافاق » المتوفى عام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م وكذلك على الشيخين محمسه البنوفرى المالكى وبرهان الدين بن أبى شريف قدم الشيخ عيسى السودان وتزوج بنت ملك الجموعية وأنشأ مسجدا فى قرية كترايج التى تقع فى الضفة اليمنى للنيل الأزرق على بعد ٣٦ ميلا جنوب الخرطوم وقد اقبل الناس على الشيخ عيسى وأبنائه وأحفاده يثلقون عليهم العلم وكان الشيخ عيسى بارعا فى المذهبين المالكى والشافعى وناظرا فى العلوم المعقولة والمنقولة .

يعتبر مسجد كترايج أول معهد علمى فى السودان الاوسط ومازال يؤدى رسالته الى اليوم أى ما يقرب من خمسة قرون وقسده الحق به مسجداً آخران بعد أن ضاقت مساحته بوفود الطلاب والدارسين والمهاجرين .

---

(١) عز الدين الأمين - قرية كترايج وأثرها العلمى على السودان .

أقبل بعض من أفراد أسرة الشيخ عيسى على الدراسة في الأزهر وتلقوا العلم على أيدي نفر من أساتذته النابهين حيث منحوهم إجازات علمية تشهد بعلومهم في العلوم الشرعية والفناني على المذاهب الثلاثة - المالكي والشافعي والحنفي .

لقد كان فضل هذه الأسرة على السودان كبيرا فقد وهبت البسلام أكثر من أربعين عالما وفقهيا عملوا في نشر التعليم في مختلف العهود إبان سلطنة سنار وإثناء الحكم التركي وفي فترة الحسك البريطاني على السودان وبالطبع فقد تفاوتت منازل هؤلاء العلماء من حيث حصيلتهم الدينية ومن حيث عطائهم ولكنهم أسهموا جميعا في بناء ذلك الصرح الديني العتيق الذي كان أول مركز إسلامي يشيد في السودان الأوسط .

من علماء هذه الأسرة البارزين الشيخ أحمد بن عيسى المتوفي في سنار عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م وكان قد حفظ القرآن في كترانج ثم سافر إلى مصر ودرس على شيوخ الإسلام أحمد الدردير ومحمد الامير الشريف مرتضى الزبيدي وغيرهم ثم عاد واشتغل بالتدريس في مسجد جده عيسى بن بشارة ويعتبر وبحق أعظم علماء السودان في عصره وأكثرهم حذقا للعلم وكان لا يكتفي بالتدريس في مسجد كترانج بل ينتقل إلى سنار قسبة البلاد آنذاك حيث كانت حلقة درسه يؤمها طلاب العلم من كل ربوع السودان ومن الاقطار المجاورة .

وعند وفاة الشيخ أحمد ود عيسى رثاه الشيخ أحمد السلاوي العالم المالكي والذي قدم السودان مع الجيش التركي الفاتح وقصد عين قاضي لقضاة السودان بقصيدة طويلة وتحدث عنه بقوله : -

« ..... وبالجسلة فما وجدت في بلاد السودان عالما أعلم ولا أروع منه ومن تلامذته ولا وجدت عندهم علما انظف ولا اصفى من علمه ..... وتلامذته عندي مقدمون على ساير علماء السودان حتى وليتهم جميعا نياية القضاء والافناء والتدريس في اماكنهم في الجزيرة ..... » وكذلك نعاه الشيخ أحمد كاتب الشونه في مخطوطته تاريخ (١) مدينة سنار بقوله : -

« توفي في تلك السنة شيخ الإسلام العالم العامل مرشد الطالبين ومحبي شريعة المرسلين من افنى عمره في طاعة الله واصلاح المسلمين

(١) أحمد بن الحاج كاتب الشونة . مخطوطة . تحقيق الشاطر بصيلى ص ١٠٢ .

الفقيه أحمد بن عيسى وذلك في آخر السنة في شهر الحجة الحرام - رحمه الله آمين وله مناقب كثيرة وفضائل شهيرة ويكفي منها بذله للعلم وصبره على الأذى وذلك أجل مناقب الكرام . »

تلقى العلم على الشيخ أحمد عيسى نخبة من خيرة العلماء والفقهاء نذكر منهم ابنه الشيخ إبراهيم والشيخ محمد بن بدر المعروف بالعبيد منشيء مدينة أم ضوا بان العلمية والتي تخرج فيها ومازال آلاف من طلاب العلم . وظلت نار القرآن (١) موقدة فيها لم ينطفئ أبدا منذ انشاء المدينة العلمية أي منذ أكثر من مائة وستين عاما ومنهم أيضا الشيخ بدوي أبو صفية البديري المدفون في مدينة الأبيض عاصمة إقليم كردفان وهو صاحب الأثر المحمود في نشر الاسلام في جبال النوبة في غرب السودان وكان يأتي بالنوبة من جبالهم ويعلمهم القرآن والحد الأدنى والضروري من الفقه والتوحيد ثم يعيدهم الى مناطقهم لينشروا الدين بين قبائلهم ومن العلماء الذين درسوا عليه العلامة الاديب والمؤرخ إبراهيم عبد الدافع أول من تقلد منصب الافتاء في العهد التركي ومنهم الفقيه والكاتب حسين ود عماري من دارفور ومنهم الفقيه محمد الجبيل نسيه الى موطنه جبيل أم على في شمال السودان والاديب الفقيه الشيخ قرح ود تكتوك في سنار .

ولكي نلقى مزيدا من الضوء على أثر أسرة الشيخ عيسى الانصاري نذكر كبار من تخرجوا في مساجدها من العلماء والفقهاء في مختلف الاوقات .

كان الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عيسى قد حل محل ابيه بعد وفاته بل وقبل ذلك عندما رحل الشيخ أحمد الى سنار ليعلم الناس هناك . لقد بنى الشيخ إبراهيم المسجد المعروف الى اليوم « مسجد ود عيسى » بعد ان تكاثرت عدد الطلاب في كترانج وكذلك بنى الشيخ محمد أحمد البندوي مسجدا ثالثا في قرية السعدوية بالقرب من كترانج ومسجد هنا يعني مركزا اسلاميا أو مدينة بعوث بلغة اليوم بكل ما تحمل الكلمة من معنى وكان محمد علي باشا عند زيارته للسودان عام ١٨٣٨ قد أمر بتجديد بناء المسجد بالطوب المحروق الاحمر وأصبحت الدولة تقسوم بالصرف عليه .

(١) المقصود هنا ان الطلاب يدرسون في الليل في العراء على ضوء نار يوقدون بها حطب يجمعونه بأنفسهم وهذا تقليد تسير عليه خلافا للقرآن منذ عدة قرون والى يومنا هذا .

ومن درسوا في مساجد كترانج على أسرة عيسى ود بشارة الاتصاري  
الامام محمد احمد المهدي قائد الثورة المهدية ومحرر السودان فقد تلقى  
عنهم بعض علوم اللغة والدين ككتابي « قطر الندى وبل الصدى » وشذور  
الذهب في معرفة كلام العرب « للعلامة النحوي المصري ابن هشام »  
( ١٣٠٨ - ١٣٦٠ م ) الذي كان يقارن بسبيويه وفي الدين رسالة أبي  
زيد القيرواني وجوهر التوحيد وبعدها ارتحل الامام المهدي ليوال  
دراسته على الاستاذ محمد الخير في بربر وكان الامام (١) المهدي نفسه  
ينوي السفر لمصر للدراسة في الازهر .

لقد تخرج في الازهر أيضا في ذلك العهد علماء نذكر منهم :

#### الشريف محمد الامين الهندي :

وهو عميد أسرة الهندي المعروفة في السودان ومؤسس الطريقة  
الهندية واصل الشريف محمد الامين دراسته في الازهر حيث قرأ القرآن  
بالتجويد وحفظ الشاطبية واتقن فهمها كما قرأ كتاب غيث النفع في  
القرآت السبع ثم عاد وفتح مسجدا بقرية نواره على نهر الزهد أحد  
روافد النيل الأزرق فأمه الطلاب من جميع الجهات يحفظون فيه القرآن  
ويقراءون علم التجويد والقرآت بالكتابين المذكورين وتوفي في الزهد  
عام ١٨٨٣ م .

#### الشيخ الشير ود نعمة :

وقد تخرج في الازهر ودرس أيضا على جمال الدين الافغانى وكان  
زميلا للشيخ محمد عبده وكان نابغا في الفلسفة وعاد ليدرس مواطنيه  
في مدينة رفاعة على النيل الأزرق غير أن مدرسته اغلقت كغيرها من  
المدارس في عهد الثورة المهدية .

#### الشيخ احمد الازهرى :

وهو ابن الشيخ اسماعيل الولي الكردفاني وقد تلقى الشيخ احمد  
علومه في الازهر حوالي عام ١٨٣٠/٤٠ م وأصبح مدرسا فيه ثم عاد الى  
الابيض عاصمة كردفان وبني فيها جامعا ومنازل لاقامة الطنسلاب الذين

---

(١) جهاد في سبيل الله - اعداد عبد الله محمد احمد ص ٤ -

وفدوا من كل البقاع للدراسة عليه وكانوا يتلقون في تلك المنشآت العلمية القرآن واللغة والفقه والتوحيد وغيرها وعمل قاضيا في غرب السودان وقد قتله انصار المهدي في أحد المعارك عام ١٨٨٢ م وعُرف بالازهرى وقد سار هذا اللقب على أسرته من بعده ومنهم حفيده اسماعيل الازهرى أحد قادة الحركة الوطنية وأول رئيس وزراء في السودان .

وبجانب هؤلاء العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الازهر في العهد التركي ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م ) هناك علماء ازهريون ادركوا الثورة المهدية وانخرطوا في صفوفها وشغلوا مناصب فيها سيبرد ذكرهم فيما بعد .



## ● مدرسة الخرطوم الابتدائية

أولى تلك المدارس وأصبها على الاطلاق مدرسة الخرطوم التي فتحت في عهد الخديوي عباس ويجدر بنا أن نتحدث عنها ببعض الاسباب . . . اختيار لتلك المدرسة العلامة المصري الأزهرى رفاعة رافع الطهطاوى وهو من اعلام النهضة المصرية ان لم يكن شيخهم وكان قد عاد من أول بعثة بعثها محمد علي باشا الى فرنسا وهو الذى أسس مدرسة الألسن في مصر والتي اضطلعت بترجمة كثير من الكتب الافرنجية وقد بلغ مجموع ما ترجمه رفاعة وطلابه ألفى كتاب وكتيبات في مختلف المواضيع ونستطيع ان نقول ان رفاعة رافع هو صاحب الفضل في نقل الثقافة الغربية وتبسيطها وتعريفها في اذهان المصريين اذ لم تكن معروفة لديهم من قبل وكان على حظ كبير من العلم والمعرفة وتأثر بفولتير وروسو وألف كتباً كثيرة أهمها تخليص الابريز في تلخيص باريز الذى يوضح انطباعاته في فرنسا ويحوى آراء ومبادئ ديمقراطية لم يكن يرضى عنها الحاكم المستبد ويقال انه ارسل الى السودان منفياً بسبب ذلك ولا غرابة فعباس باشا الذى أغلق المدارس في مصر وعطل دور العلم فيها لم يكن حريصاً على فتحها في السودان بطبيعة الحال .

عهد لرفاعة باختيار المعلمين ليفتح المدرسة ( طبق الترتيبات الجارية بالمدارس المصرية ولا سيما الأصول الجارية بمدرستى المتديسان والتجهيزية ) اختار رفاعة أحد عشر معلماً وطبيباً هم :

( ١ ) القائم مقام محمد بيومي أفندي (١) :

وهو من تلامذة البعثة الأولى ولما عاد من فرنسا عين مدرسا بمدرسة المهندسخانة ببولاق وكان أستاذا ومرجعا لكثير من نوابغ المهندسين المصريين وصار كبير الأساتذة بمدرسة المهندسخانة في عهد نظارة لامبير بك ثم انتقل من التدريس إلى قلم الترجمة بديسوان المدارس اشترك مع رفاة بك رافع في العمل واشتغل بترجمة الكتب في الفن الذي اتقنه وعين في عهد عباس باشا مدرسا للحساب في مدرسة الخرطوم الابتدائية وتوفي في الخرطوم عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م .

ومة يلي بعض الكتب التي ترجمها :

- ١ - ثمرة الاكتساب في علم الحساب عن الفرنسية طبع عام ١٢٥٦ هـ .
- ٢ - كتابي الجبر والمقابلة طبع عام ١٢٥٦ هـ .
- ٣ - ثمرة الاكتساب في علم الحساب جزآن في مجلد واحد طبع عام ١٢٦٣ هـ .
- ٤ - الهندسة الوصفية ( مجلدان ) طبع عام ١٢٦٣ هـ .
- ٥ - جامع الثمرات في حساب المثلثات ترجم بأمر مدير المدارس وهو يشمل حساب المثلثات المستقيمة والكروية طبع عام ١٢٦٤ هـ .
- ٦ - مثلثات مستوية وكروية - ترجم بالاشتراك مع أحمد طاويل .
- ٧ - ميكانيكية أي علم جز الأثقال ترجمة بالاشتراك مع أحمد طاويل .

( ٢ ) الصاغ أحمد طائل أو طاويل (١) :

تلقى العلم بمدراس مصر وألحق بالبعثة المصرية وعين إثر عودته من فرنسا بمدرسة المهندسخانة مساعد مدرس ومعيدا لدروس الأستاذ محمد بيومي إلى أن صار مدرسا للعلوم الميكانيكية . اشترك مع بيومي

(١) جاك تاجر - حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر من ٦٣ .

فى ترجمة مؤلفين وترجم كتابا اسمه ( تركيب آلات ) وقد أخذ منه أكثر من مهندس فى ذلك العهد :

- |                                                   |   |                                    |
|---------------------------------------------------|---|------------------------------------|
| يرجع أنهم<br>من تلاميذ رفاعه<br>فى مدرسة الألسن . | { | ٣ - الملازم أول على محمد أفندى (١) |
|                                                   |   | ٤ - الملازم ثان على عثمان أفندى    |
|                                                   |   | ٥ - الملازم ثان ابراهيم محمد أفندى |
|                                                   |   | ٦ - الملازم ثان محمد عرسى أفندى    |
|                                                   |   | ٧ - الملازم ثان أمير أفندى         |
| كانوا عاملين بالأزهر                              | { | ٨ - الملازم ثانى الشيخ رجب         |
|                                                   |   | ٩ - الملازم ثانى الشيخ مكاوى       |
|                                                   |   | ١٠ - الملازم ثان سليمان السيوطى    |
- .. طبيب .

هؤلاء هم هيئة التدريس التى راقت رفاعه للعمل فى مدرسة الخرطوم وهم يمثلون نخبة من الأساتذة الذين أسهموا بنصيب وافر فى تاريخ التعليم فى مصر آنذاك ويلاحظ أنهم كانوا يمنحون رتباً عسكرية وكذلك الطلاب كانوا يسبرون على النهج العسكرية غير أن المدرسة لم تفتح الا فى عام ١٨٥٣ م أى بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من قدوم رفاعه ومعاونيه الى البلاد وقد أنهى أحمد المؤرخين المصريين باللائمة على رفاعه بل اتهمه بالتراخي والبطء فى القيام بما كلف به طيلة هذه المدة وقد أغلقت المدرسة بعد عام من افتتاحها بسبب عدم اهتمام الخديوى سعيد الذى خلف عباساً أو من جراء تدمير أو شكاوى رفاعه .

وحقيقة لم يكن رفاعه متحمساً للعمل فى السودان إذ كان ظنه انه بعث اليه متفياً وكان يجار بالشكوى وينظم الشعر واصفاً سوء حاله فى السودان بقوله (٢) :

وما السودان قط مقصام مثل ولا سلمى فيه ولا سعادى  
وقسد فارقت أطفالاً صغاراً بطهلاً دون عسودى واعتيادى  
أفكر فيهم سرا وجوراً ولا سهوى يطيب ولا رقادى

(١) عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان ج ٢ ص ٢٨ .  
(٢) عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان ج ٢ نقلا عن متاعج الالباب .

مع انه هو نفسه القاتل على لسان مصر والسودان :

نحن غصنان ضمننا عاطف الوجد جميعا في الحب ضم النطاق  
في جبين الزمان منك وهنى غمرة كوكبية الانفلاق

كانت سن القبول في المدرسة تتراوح بين السابعة والثانية عشرة وكان المأمول أن تطور وترقى على غرار مثيلاتها من المدارس في مصر غير أن أغلب طلابها كانوا من أبناء الأتراك والمصريين العاملين والمقيمين في السودان وذلك لعزوف السودانيين عن ارسال أبنائهم لهذا النوع من التعليم النظامي الحديث الذي لم يعهده من قبل وكانوا يفضلون عليه التعليم الدينى . كان الطالب المسودانى آنذاك يلتحق بالحلوة لحفظ القرآن أساسا والعمليات الأربع ( الجمع والطرح والضرب والقسمة ) .

وفى مدة بقائه بالخرطوم ترجم رفاعة من الفرنسية كتاب « مواقع الافلاك فى اختيار تليماك » وهو كتاب لقى كان مربيا لطيفيد لويس الرابع عشر استقاء من الميثولوجية اليونانية ليقرأه الأمير الشاب فتنبو فضائله ويقوم اعوجاجه وكذلك شرع فى تأليف كتابه القيم « مياهج الالباب المصرية ومناهج الآداب العصرية » وقد سجل فيه رأيه عن السودانيين بقوله (١) ان لهم « قابلية للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم فان أكثرهم قبائل عربية لا سيما الجعليين والشايقية وغيرهم واشتغالهم بما ألفوه من العلوم الشرعية عن رغبة واجتهاد ولهم تأثير عظيم فى حسن التعليم والتعلم حتى ان البلدة اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجسم الفقير فيعيثه أهل بلده على ذلك بتوزيع المجاورين ( أى الطلبة ) على البيوت بحسب الاستطاعة فكل واحد من الأهالى يخصه الواحد أو الاثنان فيقومون بشئونهم مدة التعليم والتعلم » .

ويروى أحد (٢) الكتاب السودانيين الذين درسوا فى مدرسة الخرطوم عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م انه سمع من بعض فضلاء السودانيين وكذلك من على باشا رفاعة بن رفاعة ووكيل نظارة المعارف آنذاك ومن عامر بك سعد وهو من أعظم المدرسين من معاصرى رفاعة ان رفاعة شرع فى

(١) رفاعة رافع الطهطاوى . مناهج الالباب . ص ٢٦٢ .

(٢) من مقال لسليمان كشه عن مدينة الخرطوم فى جريدة الثورة بتاريخ ١٩٦٤/٧/٢٨ ونشر اليه هنا هو المواطن محمود القباني .

تخمس البردة للبوصيرى التى مدح فيها النبى ( صلعم ) وعندما فرغ منها أقام حفلا كبيرا دعا له كبار السودانيين وعلماء حيث سهرت الخرطوم ليلة من أهدج لياليها وقبل أن يطلع الفجر رأى رفاة النبى ( صلعم ) بين اليقظة والنوم مصافحا ومخاطبا له :

« قبلت هذا التخمس وأجزيت عليه بالعودة الى القاهرة وسيسلك الأمر بتاريخ هذا اليوم » وبعد أربعة أسابيع وصل البريد والأمر مؤرخا بتاريخ اليوم وقد قرأه الناس بعد أن سمعوا بحديث الرؤية صبيحة يوم الحفل .

عاد رفاة الى مصر وتوفي فيها عام ١٨٧٣ م .

هذا وقد أصدر الخديوى اسماعيل ( ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ) أموره الى مدير ديوان المدارس بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٨٢ هـ ( ١٨٦٧م ) بانه « بناء على التماس حكمدار السودان يكلف رفاة بك بترجمة الباقي من كتابه ملطبرون ( الجترافى ) ويهد اليه أيضا أمر ترجمة كتاب الريان اسبيك الانجليزى المرسل منه نسخة فرنسية والباحث فى شئون سكان وادى النيل من منيحه الى مصبه لترسل بعد طبعه خمسون نسخة عربية منه لتدريس تلاميذ المدارس السودانية وتوزيعها على الضباط والمواطنين الملكيين » .

ومهما يكن من أمر فقد حظى السودان بوجود ذلك العالم بين ظيوائه زهاء الأربع سنوات على رأس تلك المدرسة التى هى الأولى من نوعها إذ كانت تسير على النهج النظامى الحديث كما أفاد المواطنون من معاونيه إذ قرر رفاة فى كتابه . . « قد تعلم فقهاء الخرطوم ممن همى من المشايخ القراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك » .

وفى عام ١٨٦٣ فى عهد الخديوى اسماعيل أعيد فتح مدرسة الخرطوم كما فتحت مدارس أخرى فى عواصم المديرية فى بربر ودنقلا والأبيض وكسلا . ويقول أحد تلامذة مدرسة الخرطوم وهو الشيخ (١) محمود أقباني الذى ولد عام ١٨٧٣ وقد التحق بها عام ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م :

(١) عبد العزيز عبد المجيد - التربية فى السودان ج ٢ ص ٢٦ .

« كان ناظر المدرسة آنذاك اليوزباشى الحسن طه أفندى خليل من مديرية البحيرة وهو من أسرة فتح الله بركات باشا وكان من بين مدرسيها العلامة أحمد محمد الجداوى الاسوانى متخرج الأزهر وكسان يعمل قبل ذلك قاضيا على عموم دارفور فى غرب السودان وقد خلفه الشيخ حسين مجدى الدمياطى الأزهسرى والشيخ محمد ابراهيم عبد الدافع بن ابراهيم عبد الدافع أول سودانى تولى منصب المفتى وكان مدرسا للحساب والشيخ على الشمورجى مدرس الخط وهو من أصل مصرى مولود فى الخرطوم ومن تلاميذ رفاعسة مثل محمد ابراهيم عبد الدافع ومدرس الفرنسية السيد أفندى نعيم الذى أصبح بعد ذلك السيد بك نعيم وهو اسكندرى تخرج من مدارس باريس وكان صيدليا لعموم السودان وهناك مدرسون آخرون لم أقرأ عليهم » .

وكان يتبع هذه المدرسة خلوة من فصلين لتعليم القرآن وكان الاولاد داخلية وبها مدرس الفصل الأول الشيخ على طلبة المعروف فى السودان بأنه فقيه مصرى وكان له صوت جميل وفى الفصل الثانى الشيخ بكرى الجرجاوى والشيخ محمد عبد القادر التربى من نسل مصرى ومولود فى الخرطوم .

كان فى المدرسة قسمان قسم برانى ( خارجى ) يدفع مصاريف وأنا من القسم البرانى وقسم داخلى عدده مائتان ونظامه عسكري ويصرف للتلاميذ أكلا وملابس ومرتبات عسكرية وكانت أعمارهم تتفاوت من ١٢ الى أكثر من عشرين وكانوا يتعلمون فيها .

وكان الداخلى والبرانى يتعلمون معا فى فصول واحدة ويتلقون نفس المواد الا الفرنسية فانها كانت اختيارية للقسم البرانى وكنت أنا ممن يتلقون اللغة الفرنسية وكانت بجانبى بنت المدرس وهى البنت الوحيدة التى كانت تحضر الدروس ودروس والدها السيد نعيم وهذه البنت اسمها فاطمة ونقلت من الخرطوم قبل حصار المهدى للخرطوم وأتمت دروسها فى أوروبا وتزوجها المرحوم محمد بك مسعود المؤرخ .

كان عدد التلاميذ البرانى أكثر من ٣٠٠ وكان معى فى درس الفرنسية تلميذ من اولاد البرانى هو محمود سامى بن أحمد قهيم الصيدلى الثانى مع السيد نعيم .

وكان كل التلاميذ الداخلية ٢٠٠ والبرانى ٣٠٠ فى وقت الدرس

يجلسون على الأرض ويكونون أربعة فصول أما في درس الفرنسية .  
فجلس على تخت ومكاتب أمامنا .

كما تتعلم الحساب واللغة العربية والفرنسية للمبعض والتركية  
وكانوا يعتنون جدا بالخط الفارسي ( وكان يسقط في الامتحان من  
يسقط في الخط ) .

كانت مصاريق البراني في الشهر ريال مجيدى أى ١٦ قرشا .  
وكان التلاميذ الداخلية يلبسون لبسا عسكريا أما البراني فكانوا  
أحرارا يلبسون كما يشاءون .

كان في الخرطوم فقهاء يقرأون القرآن باللغة المصرية وتراهم بين  
أسود ومسلخ وهم لم يجيئوا من مصر ولكنهم تعلموا على يد شيخ  
مصريين في الخرطوم وكان يوجد في الخرطوم شيخ للفقهاء كما في مصر  
يعطى راتبا ويعلم الناس التجويد ومنهم الشيخ محمد السقا الذى قتل  
في سقوط الخرطوم .

وكذلك يوجد نساء مقرئات للقرآن كما في مصر يعملن بنات  
الأكابر في بيوتهن القرآن والدين والخط .

## ● احتفال مدرسة الخرطوم في الوقائع المصرية

كانت مجلة الوقائع المصرية تنشر حفل امتحان المدرسة السنوى  
واننى انقل هنا بعض ما جاء في عدد رقم ١١٩٤ بتاريخ ٢٣ رمضان  
١٢٩٨ هـ الموافق ١٨ أغسطس ١٨٨١ م عن حفل الامتحان عن تلك  
السنة .

فى يوم الاثنين المبارك ٣١ شعبان المعظم سنة ١٢٩٨ هـ احتفل  
فى هذه المدرسة لامتحان تلاميذها كما جرت به العادة المألوفة فى كل  
عام فكان هذا الاحتفال جميل الهيئة جليل المنظر حضره جمع غفير من  
رؤساء الحكومة الكرام ووجوه العلماء الاعلام وعدد كثير من الشذوات  
الفخام وتحلى جيد هذا المحفل بواسطة هذا المعقد النضيد سعادة محمد  
رعوف باشا حاكم السودان ولما أن تم الاحتفال على هذا الوجه  
الفائق افتتح التلميذ الأول طه أفندى زكى الامتحان بتلاوة خطبة رائعة  
وقصيدة فائقة وهى من انشاء حضرة الفاضل أحمد أفندى جـداوى  
الاسوانى أول خوجات المدرسة ثم بعد أن فرغ من تلاوتها قام هو  
والتلميذ الثانى حسن أفندى صبرى فابردا بديع تخيلات الحريرى الى  
حين الوجود وأرقيا صنيع مخترعات مقساماته الى مقام الشهود فبينما  
ما فى اللقمة الفقهية من عجائب وكشفا ما أحرزته فتواها من  
الغرائب فكان أحدهما سائلا والثانى مجيبا وكلاهما موفق ومصيب وقد  
استهيج سرورا بذكائهما جميع الحاضرين وشهدوا لهما بأنهما من انجب  
المشتغلين ثم سئلا فى علم العربية عن جملة أبيات من شواهدهما وعن  
كثير من قواعدهما ثم فى اللغة الفرنسية والفنون الحسابية فاجابا فى



كل ذلك بما دل على انهما من البارعين وصدحت لهما الموسيقى بنغمات الفرح والاعجاب ثم قام بعدهما بقية التلاميذ وسئلوا واحدا واحدا فيما حصلوه من العلوم واللغات فكانت اجساية الجميع بما تقر العين وتسر الفؤاد وتدل على ان مستقبل هذه المدرسة سيكون لى في نيا عظيم وكان الفراغ من اختيار جميع الطلبة في الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء فقام كل الحاضرين فرحين مسرورين بما شاهدوه من براعة هؤلاء التلامذة مثنين على معلمهم واساتذتهم وحضرة الناظر بالشناء الجميل على ما بذلوه من الهمة والنشاط في التعليم داعين للجناب الخديوى المعظم ولرجال حكومته الكرام بان ينفع بعنايتهم الوطن وان يديم شمس وجودهم في آفاق البلاد فيتحقق لابنائها الراحة والاسعاد وان يمتنع جنابه الكريم ببقاء انجاله ما لاح بدر الكمال وفاح مسك الختام .

لقد أدت هذه المدارس النظامية خدمات (١) للإدارة التركية فمدتها بالكتاب والمحاسبين وعمال التلغراف وأحدثت نهوضا في الثقافة والأدب في ربوع البلاد جنبا الى جنب مع خلاوى القرآن ومجالس العلوم الشرعية .

كما لم يتوقف اقبال العلماء الأزهريين الى السودان ولم ينل من عزمهم على مواصلة اداء رسالتهم في مرفقى التدريس والقضاء . وقد ظلوا على ذلك الحال الى نهاية الحكم التركي على البلاد عام ١٨٨٥ - لقد كانت نخبة ممتازة تذكر منها على سبيل المثال الشيخ حسين المجدي والشيخ شاكرا المفتي والشيخ محمد موسى مفتي المحاكم الشرعية والشيخ محمد السقا شيخ القراء وهؤلاء قتلوا جميعهم عندما فتح المهدي الخرطوم صباح ٢٦ يناير عام ١٨٨٥ م ونذكر أيضا من هؤلاء العلماء الشيخ أحمد محمد الجداوى الأسواني الذى كان يعمل قاضيا في دارفور ثم نقل كيدا لمدرسى مدرسة الخرطوم والشريف المعروفي الشاذلى وكانوا يدرسون بالاضافة الى أعمالهم الرسمية الاخرى في جامع الخرطوم العتيق مع اقراهم العلماء السودانيين .

(١) د - مكي شببكة - السودان في برز ص ١٢ .

## ● القضاء في العهد التركي

عكفت الإدارة الجديدة في السودان على تنظيم القضاء مع غيره من مرافق الدولة فانشأت المحاكم الشرعية في المراكز والمدريات وعينت قاضيا سمي بقاضي عموم السودان ليختار القضاء الشرعيين ويكون المسئول الأول عن القضاء في البلاد وكان قاضي عموم السودان ومفتي مجلس الاستئناف وشيخ العلماء يعينون بأمر خديوي مصر أما غيرهم من القضاة يرشحهم قاضي عموم السودان ويعينهم حاكم دار البلاد .

كان أول من شغل منصب قاضي عموم السودان هو (١) الشيخ محمد الأسبوطي الذي كان أحد الأئمة الثلاثة الذين رافقوا حملة الفتاح كما أشرنا الى ذلك سابقا وكان من علماء الحنفية المعروفين في مصر وتوفي في ود مدني عام ١٨٢٣ .

ثم أسند هذا المنصب الى مسوداني هو الشيخ ادريس من أسرة اليعقوبات المعروفة في السودان وتوفي عام ١٨٢٦ م .

ثم تولى هذا المنصب الشيخ أحمد السلاوي المالكي الذي كان ثالث الثلاثة الفقهاء الذين رافقوا حملة الفتاح وقد عاد من مصر عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م وقد شدد ألواي محمد علي باشا على حاكم دار السودان خورشيد باشا ألا يقطع أمرا دون مشاورة الشيخ السلاوي .

---

(١) القاضي حسين سيد أحمد القلي - تطور القضاء في السودان ص ٨٩ .

كانت بعض القضايا تحول في يادى الأمر الى ديوان الافتاء في مصر وكانت أحكام أولئك القضاة توضح ما كان للقضاء من قوة في ذلك العهد وفى نفس الوقت تثبت للعلماء السودانيين مقدرة في العلم والبحث يصح الافتخار بها (١) .

كان الشيخ أحمد السلاوى عالما وشاعرا ويوصف بأن له عارضة قوية في المسائل العلمية ويقال ان له تأليفا سماه المحاكمة حكم فيه بين المفتى والصبان في حاشيتهما على الاشمونى على الخلاصة وهذا طريق شائك لا يخوضه الا متبحر في العلم (٢) .

ثم تولى منصب قاضى عموم السودان الشيخ ابراهيم الهيتى عام ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م وكان من كبار علماء المذهب المالكي في الازهر .

ثم خلفه الشيخ مصطفى السلاوى نجل الشيخ أحمد السلاوى المغربى وقد ولد في الخرطوم وكان شاعرا وأديبا ولكنه عزل من منصبه وأودع سجن طره في مصر وتوفى عام ١٨٨٧ م .

وكان آخر من اسند اليه منصب قاضى عموم السودان المواطن العلامة الشيخ محمد خوجلي حنك عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م وهو من متخرجى الازهر وظل في هذا المنصب حتى نهاية الحكم التركى حيث قتل مع من قتل عندما فتح المهدي الخرطوم عام ١٨٨٥ م .

ومن أشهر قضاة المديريات آنذاك العلامة البهوى القرافى (٣) الذى عين قاضيا لمديرية دنقلا ويروى انه رفض ان يأخذ مرتبسا على منصبه واشترط الا يقيد نفسه باللوائح والمنشورات بل يقضى بكتاب الله وسنة رسوله وكذلك الشيخ عربى الهوارى قاضى مديرية كردفان وكان عالما وشاعرا والشيخ عبد الفتى السلاوى وهو مغربى الاصل سودانى المولد وكان أيضا شاعرا مرموقا والشيخ أحمد الازهرى قاض على كردفان .

كان جميع قضاة المديريات من المواطنين السودانيين عدا مديريتى سنار فقد كان قاضيهما الشيخ مكى حسن الاصولى وبربر حيث جلس

---

(٢،١) من مقال للقاضى يوسف ابراهيم النور - مجلة الفجر السودانية العدد الاول مارس ١٩٣٧ عن صحيفة من تاريخ السودان القديم القضاء .

(٣) حسنى سيد احمد الفتى - تطور القضاء في السودان ص (١٠٩) .

للقضاء فيها الاستاذ الشيخ حسن الخطيب المصرى وهما بطبيعة الحال من متخرجى الازهر .

#### الإقتضاء :

كانت الصلة قائمة بين علماء مصر والسودان منذ عهد سلطنة سنار ودارفور كما أوردنا سابقا وكان علماء السودان يرفعون اليهم ويحاورونهم فى بعض الحوادث والقضايا التى تعرض عليهم وفى فترة الحكم التركى على السودان توثقت الصلة وخاصة مع الشيخ العلامة ابنى عبد الله الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الملقب بعليش الذى تقلد مشيخة المالكية ووظيفة الافتاء فى مصر وكان لفتاوى الشيخ عليش (١) عظيم الأثر الدينى فى السودان فقد كان مرجع الشعب والحكومة فى الافتاء . لقد درس كثير من السودانيين على الشيخ عليش المتوفى عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م ومنهم شيخ علماء السودان محمد ولد البدوى .

كان أول من عين مفتيا للسودان آنذاك الشيخ محمد السليدى عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م وكان من علماء مصر العاملين وتوفى عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ وخلفه فى هذا المنصب الشيخ ابراهيم عبد الدافع الذى ورد ذكره آنفا والمتوفى عام ١٨٥٤ م .

ثم جعلت الادارة التركية مفتيا لكل مديرية لأنه (٢) اتضح لها عمليا صعوبة الإكتفاء بمفت عام لكل البلاد ومن هؤلاء فذكر الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتى على كردفان والشيخ عبد الحى الطرابلسى على مديرية بربر والشيخ عمر حامد البديرى على دنقلا والاستاذ الشيخ زروق الخلفنى على مديرية النكا والاستاذ السيد أحمد الشنقيطى على محافظة سواكن وكلهم من متخرجى الازهر .

وكانت مسئولية مفتى المديرية اختار أهل مديريته فى العبادات والمعاملات كما كان من اختصاصه النظر فى استئناف أحكام قضاة مديريته وكان مدير المديرية لا يقدم على عمل يتعلق بالاسلام والمسلمين الا اذا اتصل بمفتى مديريته وتحصل على فتوى منه .

---

(٢٠١) القاضي حسين سيد أحمد المفتى - تطوار القضاء فى السودان ص (١٠٩) .

## ● علماء سودانيون نوابغ درسوا على متخرجي الأزهر

هذا وقد نبغ في المعهد التركي ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م ) في السودان عدد من العلماء الذين درسوا على متخرجي الأزهر نذكر منهم الشيخ الأمين الضرير العالم والأديب وعاهل الأسرة الدينية والاجتماعية المعروفة في السودان وهو ينحدر من قبيلة المحسن التي لها فضل لا ينكر في نشر العلم في البلاد .

تلقى الشيخ الأمين (١) الضرير تعليمه على الشيخ إبراهيم بن عيسى حفيد الشيخ عيسى بشارة الأنصاري في كترانج وقد تنازل الشيخ إبراهيم للشيخ الأمين الضرير عن شهادته العلمية التي تلقاها من والده العالم الجليل الشيخ أحمد بن عيسى ومنحها له تقديرا لعلمه ونبوغه .

كان الشيخ الأمين الضرير بحق نابغة عصره وزمانه في بلاده ولقب بشيخ الاسلام ورئيس ومميز علماء السودان وكانت له مدارس في توتي ورفاعة والخرطوم وكان ينتقل اليها ويدرس في كل منها الفقه المالكي والتوحيد وتفسير القرآن والأحاديث النبوية والفقه بن مالك في النحو وقد تتلمذ عليه كثيرون نذكر منهم علي سبيل المثال الشيخ محمد عمر البنسا والشيخ يوسف ولد نعمة والفكي أحمد عوض الله وأحمد نور السرورابي والشيخ محمد ود الجريف وكلهم عرفوا فيما بعد علماء وفقهاء أدوا واجبا كبيرا في نشر الدين والعلم في مختلف بقاع السودان .

---

(١) إبراهيم عبد الرزاق - شيخ الاسلام الفكي الأمين الضرير .

كان للشيخ الأمين مؤلفات فى علم الفرائض والحيراث وبحوث دينية أخرى أدبية وتاريخية نشر بعضها فى مجلة الجوائب فى مصر لصاحبها أحمد فارس الشدياق ومجلة الوقائع المصرية وروضة المدارس .

وعندما قام الامام محمد أحمد المهدي بالثورة ونادى بأنه المهدي المنتظر أصدر بعض من علماء السودان آنذاك رسائل تكذيب وبطلان فى دعوة المهدي وطالبوا المواطنين بالا يتبعوه من بين أولئك العلماء كان الشيخ الأمين الضير وكانت رسالته بعنوان « هدى المستهدى الى بيسان المهدي والمتهدى » ورد عليهم الامام المهدي بنشره وسماه بعلماء السوء وذكر أسماءهم ما عدا الشيخ الأمين اذ قال :

« ... فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقد يدخر للمتأخرين ما عسر على المتقدمين لا تفتروا بالخطب التي ألفها في ذمنا وتكذيبنا علماء السوء كاحمد بن اسماعيل الولي وحسين مجدي والمفتي شاكر ومحمد ود حتيك وود الدليل وأمثالهم من وقع في عرضنا فهؤلاء ممن أدخل الله في قلوبهم النفاق بحب المال والجاه ... »

وعندما سقطت الخرطوم عاصمة الحكم التركي فى السودان فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ بيد المهدي قتل العلماء الذين سماهم المهدي بعلماء السوء ما عدا الشيخ أحمد بن اسماعيل المعروف بأحمد الأزهرى الذى كان قد قتل فى معركة ضد قوات المهدي فى كردفان عام ١٨٨٣ .

توفي الشيخ الأمين الضير عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ ودفن فى أم درمان وقد صلى عليه الامام المهدي .

كان الشيخ الأمير الضير شاعرا أيضا وقد فاز بالمرتبة الثانية فى مسابقة نظمها مجلة الجوائب وعند إعلان النتيجة علق صاحبها أحمد فارس الشدياق على فوز الشيخ الضير بقوله :

« ... من الغريب أن يكون من أبناء حام من يتفوق على أبناء سام »  
ولما علم الشيخ الضير بهذا التعليق رد عليه ببحث مستفيض عن عروبة السودان . وللشيخ الضير قصيدة معروفة مدح فيها الخديوى حينما أسس الخديوى جمعية معارف مصرية للتصاون على نشر العلوم برعاية نجله - الأمير توفيق - وتزويد البلاد بالكتب القيمة وقد أشار الشيخ الضير فى تلك القصيدة مثنيا على صديقه حكمدار السودان جعفر مظهر الذى كان يكرم العلماء والأدباء ووصف بأنه رجل كتاب ومسجد .

نشرت هذه القصيدة في مجلة الوقائع المصرية وقدم لها الشيخ  
الأمين الضرير بقوله :

« لما اطلعت في نمرة ٣٠١ من الوقائع المصرية المتكلفة بنشر المنافع  
العصرية على ما صورته من جميل الآثار التي حلت بها هذه الأعصار  
وتجملت بها مصر بين الأمصار في ظل الحضرة العلية الخديوية الاسماعيلية  
انه تأسست جمعية مصارف مصرية للتعاون على نشر العلوم كمرغوب  
الحضرة الدورية تحت حماية حضرة العزيز الأصيل والخميس الجليل  
دولتو محمد توفيق باشا أكبر أئجال الخديوى الاكرم وولى عهد جنابه  
أبقاهم الله رمزا للمعارف وهما لكل عارف انشا لسان المقال قاضيا لسان  
الحال وتاليا ما يقتضى تأكيداً لحب الحال مبتدئا بعد بث أحوال الزمان  
بها لتلك الجمعية من الأوصاف الحسان مترقيا الى منح ولادة ذلك الاحسان  
لا سيما صاحب تلك الحماية والتفضيل بهاتيك الرعاية ثم ختمت ذلك  
بتاريخ غاية فى الثمام به حسن الختام « . »  
وهذه بعض من أبياتها :

الود مآذبه والصديق اخوان  
والصادقون لدى الآداب اخوان  
اشعارهم ذات اشعار يحالهم  
فهى الشعار هطوا بالوصل أو بانوا  
خان الاخلاء حتى قال واصفهم  
ما للأمين بهذا الدهر خلان  
فقلت لاح لى والله ذو كبرم  
وجعفر الفيض بالخيرات ملائ  
حسن التخلص فى أهل الزمان زين  
تضمنوا النفع كى يرتاد ظمآن  
فيا أولى الجمع أهل العلم انكروا  
فى نشر ما يرتضيه الله اخوان  
ومصرهم مصر والتوفيق حافظكم  
والمعتنى عارف والوقت ايمان  
الم تروزع عليكم كذلك كتب  
فى العلم نافعة بالطبع تزدان

الم يكن جمعكم اذعى بصحتها  
الم تيسر على التدرج اتمان  
الم يسبح لكم فيها تنسابكم  
اذ ليس يمتع لها رام انسان  
فحاصل القول ان العلم قد سهلت  
اسبابه اذ بدت للغير اعوان

والطريف ان مجلة الوقائع المصرية علقت في عددها ٢٢٠ المؤرخ  
الحميس جماد الاول ١٢٨٦ بقولها :

« كثيرا ما نشرت مقالات واردة من السودان بعضها لحضرة حكمدارها  
المجيد وبعضها لحضرة نجله النجيب السعيد وبعضها لمن يستدل بكلامهم  
على تمدن تلك الجهات وتنوير قلوبهم بالمعارف وتحليهم بجميل الصفات  
في هذا العصر المبارك والعيد الذي لا يشارك من بعد ان كان لا ينصرف  
عند الاطلاق لفظ السودان الا لما حوى أمة متبربرة كأنها ليست من نوع  
الانسان بغيرهم عن العلماء لما بين الارض والسماء وعدم اشتغالهم الا بما  
تسعه عليه الوجدانيات كالجوع والعطش واشباه ذلك من الضروريات على  
خلاف ما هم عليه الآن من الاجتهاد والتشبيث بالعرفان الدالة عليه مقالاتهم  
الواردة المشتملة على كل شارة ، ومن ذلك ما بحث به هذه المرة حضرة  
ذلك الحكمدار الذي هو في وجه بلادهم غرة وتسيه الى حضرة عالمهم الشهير  
الشيخ الامين الضيرير يريد به زيادة بيان فضله وبراعته من أمثاله ونباه  
والدرجة التي وصلت اليها هاتيك البلاد والملاق علمائهم بعاماء المدن في  
الاستعداد وفرحهم بطبع الكتب واستسهاال ما به يحصلونها من المصارف  
وشكرهم بكل لسان جميل جمعية المعارف واجتهادهم في العلوم الادبية  
ومحاولتها كغيرها من العلوم العصرية بالانشاء والتأليف والاملاء  
والتصنيف حتى حصلوا حسب الطائفة القدر الوافر وخرجوا من ورطة  
الطبع المتناقر ولعمري ان كل ذي لب يستكثر من أولئك ذلك ونشره  
للقوف على حقيقة الدرجة الى هناك والتشويق الى الزيادة من الافادة  
والاستفادة ولقد تردد علينا اناس منهم مشتغلون بالعلم بالازهر المعمر  
هم في غاية التهذيب والنجابة والاستقامة في كل الامور تحسبهم أولا  
انهم كلهم خيلان وخطط الانصار لا السودان بالجملة فالواجب نشر  
مآثرهم بلغت ما بلغت شكرا على تناسي بربريتهم التي لفت في هذه



الاقوات الحالية بالمهمة الهندوية الحالية وهذا لفظ ما ورد للشيخ الامين.  
الموعود به قبل في التبيين .

وقد لاحظ احد (١) المؤرخين السودانيين ان تعليق مجلة الوقائع  
على مقدمة وقصيدة الشيخ الامين الضرير كان ركيكا مما يوضح الفرق  
الهائل بينه وبين اسلوب القصيدة ومقدمتها .

### الشيخ ابراهيم عبد الدافع :

وهو احد علماء السودان النابهين - كان فقيها وشاعرا ومؤرخا روى  
القضاء وعين مفتيا للسودان في حوالي ( ١٨٤٠ - ١٨٥٤ م ) ويقال انه  
اشترك في تنقيح مخطوطة الشيخ احمد كاتب الشونة في تاريخ السودان  
مع الشيخ الامين الضرير والربيع عبد القادر الزين المعروف بالزبير ود ضوه  
وتعتبر تلك المخطوطة مصدرا رئيسيا في تاريخ السودان في عهد سلطنة  
سفار والفتح التركي للبلاد وقد طبعت اليوم وحققها العالمان الدكتور  
مكي شببكة السوداني والشاطر البصيلي المصري .

ومن شعر الشيخ ابراهيم عبد الدافع قصيدته في رثاء العالم محمد  
نور ضيف الله صاحب كتاب الطبقات التي جاء فيها .

دع الصين تيسكي دهرها يتوجد  
على شمس بهر كان بالعلم مزبدا  
هو الخبر نجسل الخبر ضيف الهنا  
لقد كان فقرا في الانام وسوددا  
هو العالم المشهور والنام والذي  
يرشد الهادي الى مسبل الهدي  
كريم طباع ثم سموه شمسائل  
باسم الله القادرين في ذلك اقتدى

كذلك قصيدته في رثاء الشيخ احمد الطيب البشير قطب الطريقة  
السمانية المتوفى عام ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٤ .

ومطلعها : -

(١) محمد عبد الرحيم - لغات اليراع ص ٨٠ .

عرج بركبك حادى الاطمان  
واحفظ رجالك مبتقى العرفان  
وله قصيدة أخرى فى رثاء كبار العلماء ويبكى على سنار وعهدهما  
حيث بدأها بقوله :

اليوم أصبح ركن الدين منهلما  
بموت اخواننا فى الله والعلما  
ديسارنا بعدما كانت معمرة  
منهم غدت مسكن الطاعين والفلما  
كنا زمانا يجيبنا الركب من بعد  
الى العلوم وللقرآن والحكما  
صرنا طعنا بلا ملج يلد به  
تعافه أعين الرائي ومن طعما  
كائنا قط ما كان ببلدتنسا  
نقرر العلم جهرا ليس منكتما  
والدهر فى غفلة عنا ويجسدنا  
على الذى عندنا الجران والخصما  
فمن الى العلم فى الأفاق ينشره  
ومن يقوم بحكم الشرع ملتزما

#### الشيخ يحيى السلاوى :

ولد فى الخرطوم عام ١٨٤٦ وهو حفيد الشيخ أحمد السلاوى  
العالم المالكي الذى رافق اسماعيل باشا عندما فتح السودان عام ١٨٢١  
وعين الشيخ أحمد قاضيا لقضاة السودان كما ذكرنا .

سافر الشيخ يحيى لمصر واشترك فى الثورة العراقية وله قصيدة  
يناصر فيها الثورة ويقال ان عرابي نفسه طلب من الشاعر أن ينظم قصيدة  
تطبع وتنتشر فى القطر المصرى فعلا نظمها بائية من ٩٩ بيتا وقد لقيت  
تلك القصيدة التى طبعت بماء الذهب رواجاً عظيماً فى مصر وبيعت كل  
نسخة منها فى شوارع القاهرة بجنيه ذهبى .

والقصيدة تدعو لمناصرة الثورة مستثيرة همم المصريين وحميتهم

ومثنية على كل من ناصر الثورة من رجال العلم وشيوخ الطرق الصوفية والتجار وغيرهم وقتل ان تجد أدبياً سودانيا لا يحفظ مطلقاً .

تقول أبيات القصيدة :

شغل العلى بتشتت الأحزاب  
والله ناصرتنا بسيف عسراي  
والقطر فيه من الرجال كفاءة  
للحادثات فهم اولو الالباب  
وحمة الاسلام تافى بالونا  
حتمنا على كل امرى اواب  
هيا بنا يا اهل مصر الى الرضا  
والاوز لى العقبى بغير حساب  
انتم اولو الوهم التى يسهامها  
كم من عدو آب شر ايساب  
انتم ولاية المجد اربساب النهى  
والجر يظهر عند صلم مصاب  
لانشغلنكم الحيسة فانها  
ذال كن يرضى بهتك جناب

لقد درجت الجوانب والوقائع المصرية على النيسل من السودان لتثبت ما أصابه السودان من تقدم يعزى الى سياسة محمد على باشا وأسرتة فقد جاء فى افتتاحية الوقائع فى عددها الثانى عشر ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٩ م تصف أهل السودان بانهم « خالون من العلم والعمل عارون من معرفة النفع والضر يضارعون الوحوش حالة » .

● متخرجو الأزهر  
في الثورة المهدية  
( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م )

ونتمسب الى قائدها الامام محمد احمد المهدي وكان عالما سودانيا فقيها صوفيا متأثرا بالمتصوف الكبير محي الدين بن عربي وكان في فترة شبابه ينوي الذهاب الى مصر لمواصلة الدراسة في الأزهر .

تفرد الامام المهدي بمذهب اجتهدى خاص فابطل العمل بالمذاهب الاربعة وامر باحراق كل الكتب الدينية ولم يبق غير القرآن والصحيحين واحياء علوم الدين للامام الغزالي وقال عن الائمة الاربعة : -

« جزاهم الله خيرا فهم رجال ونحن رجال لو أدركونا لاتبعونا ، ان مذهبنا الكتاب والسنة » .

كان القانون الذي تارت عليه دولة المهدي هو الكتاب والسنة والمنشورات الدورية التي كان يصدرها الامام المهدي والتي كانت تعالج مسائل قانونية وقضائية .

كانت منشورات الامام المهدي وخطبه تهاجم ما سماهم بالترك والمقصود بها الاوروبيون والاجانب الذين يحكمون بغير الشريعة الاسلامية ولم يقصد بها المصريين اطلاقا كما لم تكن ثورته وحروباته نزاعا بين السودانيين والمصريين بل كانت بين من آمن بمهديته ومن انكرها واتبع حكومة الترك وكانت اعدائه هي تخليص الشعبين السوداني والمصري من ظلم الترك والافرنج الذين حكموا السودان ومصر .

كان المهدي كثيره من قادة المسلمين في ذلك العصر - ابن عبد الوهاب ومحمد السنوسي وجمال الدين الافغانى كان يرمى الى ايجساد

عالم اسلامى بعد أن يقضى على ما سمي بالجاشية السوداء التى رانت عليه .  
ولذلك لم تكن دعوة المهدي تقتصر على تحرير السودان بل مصر والبلاد  
الاسلامية من حكم الترك والعودة الى حكم الكتاب والسنة .

لقد جاءت دعوة المهدي مخالفة لما كان سايرا فى السودان ومصر  
وخطورتها على الخلافة العثمانية والاستعمار فى مصر اصدر السلطان  
العثماني نشرة رسمية كذب فيها المهدي ونشرها فى جميع البلاد الاسلامية  
كذلك رجال الدين فى مصر والسودان فقد اصدر الازهر فتوى ببطلان  
الدعوة ، هذا الى جانب نشرات ورسائل لبعض علماء الاسلام فى السودان  
اشرت اليها آنفا .

لم يكن هناك والحالة هذه اتصال بين السودان والازهر فى مدى  
الثلاثة عشر عاما من حكم المهدي ومع ذلك انضم الى الثورة المهدي فقهاء  
وعلماء سوانيون من متخرجي الازهر واسهموا فى نجاحها وشغلوا  
مناصب هامة خاصة فى القضاء الشرعى نذكر منهم :

#### القاضي احمد جبارة :

وهو من متخرجي الازهر بايع الامام المهدي قائد الثورة السودانية  
ضد الحكم التركي ( ١٨٨٢ - ١٨٩٨ م ) وعين قاضيا للاسلام وهو اكبر  
منصب قضائي آنذاك قتل عام ١٨٨٢ عند حصار الامام المهدي لمدينة  
الابيض فى غرب السودان .

#### الشيخ الحسين ابراهيم الزهراء :

ولد عام ١٨٣٣ .

وهو من متخرجي الازهر الذين يشعار اليهم بالينان وكان عالما  
فقيها وشاعرا ويقال انه كان ندا للامام محمد عبده - عاد الى بلاده وأنشأ  
مدرسة فى قريته أم عضام فى الجزيرة ثم التحق بالامام محمد المهدي قائد  
الثورة المهدي وولى القضاء ثم أصبح قاضيا للاسلام فى السودان ولكنه  
عزل من منصبه ومات سجيناً عام ١٨٩٢م . وله قصيدة معروفة من مائة  
واثنى عشر بيتا يمدح فيها المهدي ويناشده ليولى مناصب الحكم للعلماء  
جاء فيها : -

بحر الغفصا ما الحق فيه خفاء  
وتوالت الايات والأنبياء

جهل الولا مات دين محمد  
 واهلوه قد ماتوا وهم احياء  
 وتراكمت ظلماتهم بين الوري  
 لما اظلمت لهم ودام ولا  
 ما بي استهانوا بل يشرع محمد  
 فعليه من اثر الدمار حياه  
 فتناولته من اللثام واعطه  
 صنف الكرام قاهله العامه  
 واشرف عليهم ما اردت من الهدى  
 يعطوا العهود لأنهم امناء

ووقف مرة أمام ضريح سيدنا الحسين في القاهرة وأنشد قصيدة  
 يخاطبه فيها استهلها بقوله :

حسين يا حسين أتى اليكم منيبا  
 وانتحى الحسن والحسينا

الشيخ محمد البدوي :

هو متخرج في الأزهر ودرس على الشيوخ العالمين المعروفين عlish  
 وحسن العدوي وكان قاضيا في المهدي ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م ) مارس  
 القضاء بزاخرة وصدق وعين شيخا للعلماء في عهد الحكم البريطاني وعندهما  
 توفي عام ١٩١١ م لم يخف الحاكم البريطاني سمعاده بموته فقد كان  
 يعتبره من المعوقين للسياسة البريطانية في السودان ويصفه أحد  
 الأدباء (١) السودانيين النابهين بقوله : -

« كان الشيخ محمد البدوي من الأئمة المنهجيين والعلماء المحافظين  
 على التقاليد المذهبية فهو من مدرسة الشيخ عlish وأمثاله قلم تعرف  
 عنه آراء تجديدية في الفقه الاسلامي ترجع محدثات العصر الى منابع  
 التشريع الاصلية واصوله المرنة الثابتة كما فعل الامامان الجليلان  
 الانقضي ومحمد عبده ولكنه عرف بتعزبه لحرفية النصوص من فقه امام  
 دار الهجرة مالك بن انس والمحدث الشريف ولكنه امام عصره فقد تفقه  
 عليه حفنة من العلماء وكانوا الشعلة التي ازاحت ظلمات الجهل في ذلك

(١) عبد القادر الشيخ ادريس ( أبو حائل ) في كتابه وفقات مع العباسي ص ١٠٣ .

المعهد الجائر الجاهل وكانوا اللبنة الاولى لهذه المؤسسة العلمية الشامخة  
- المعهد العلمي - التي بدأت تشق طريقها في المعهد الحديث وبفضل  
جهود علمائها المتصلة الى جامعة اسلامية ،

#### الشيخ المصطفى عبد الرحمن :

ولد حوالي عام ١٨٥٧ م وهو من ذرية العالم الاسلامي المعروف  
الشيخ إدريس ود الارباب هاجر الى الاناهر بعد ان درس على الشيخ  
الحسين الزهرام في الجزيرة ثم عاد الى البلاد فاقام مدرسة في كركوج في  
أعلى النيل الأزرق ثم التحق بالامام المهدي في قدير في غرب السودان  
واسهم في حصار الخرطوم ولكن بعد نجاح الثورة المهدية لم يرض على  
بعض أعمال الخليفة عبد الله خليفة المهدي ورجع الى مصر ووصل دراسته  
في الانهر مرة أخرى حتى نال الشهادة العالمية ثم عاد بعد هزيمة المهدية  
وقيام الحكم البريطاني وعين قاضيا لمديرية دنقلا في شمال السودان .  
وكان شاعرا واديبا مرموق المكانة .

توفي في قرية العليفون على النيل الأزرق عام ١٨٩٩ وكان عالما  
اديبا رشح لأن يكون قاضيا لقضاة السودان غير ان الاتفاق قد تم بين  
بريطانيا ومصر بأن يشغل ذلك المنصب قاض مصري وقبلا استمر  
القضاة المصريون في ذلك المنصب عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٤٧ م حيث تولاه  
قضاة سودانيون .

#### الشيخ محمد عمر البنا :

ولد عام ١٨٤٨ وبعد ان حفظ القرآن تزح الى الانهر حيث تخرج  
فيه وعندما عاد الى السودان انخرط في سلك الثورة المهدية وبائع  
المهدي ، وشغل منصبا قضائيا ومستشارا للخليفة عبد الله . وعندما  
هزمت المهدية عين مقتنشا للمحاكم الشرعية في فترة الحكم البريطاني  
وتوفي عام ١٩١٩ م وهو شاعر مطبوع وله قصيدة مشهورة خاطب بها  
توار المهدية بعد هزيمة جيش حاكم البريطاني في غرب السودان في  
نوفمبر عام ١٨٨٣ وصف فيها شجاعة المحاربين واستحسهم للزحف على  
الخرطوم عاصمة الحكم التركي حيث يقبع شرذون الحاكم البريطاني باسم  
الحديوي وقد جرت القصيدة على كل لسان وجاء فيها :

الحرب صبر والقتلاء ثبات والموت في ثمان الاله حياة  
ان الجهاد فضيلة مرضية شهوت بمعكم أجرها الآيات

قوم اذا حصى الوطيس رأيتهم  
ولباسهم سرد الحديد ولباسهم  
فى السلم تراهم ركبا سرجنا  
وتخالهم يوم اللقاء ضراغما  
يا مسيدا وبمع الانام بعلمه  
فانهض الى الخراطوم ان بسوجه  
نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم  
خذ جيشك المنصور لا تدفل بهم  
فتسوروا لهم الحسادق وافعلوا

### الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردفاني :

وهو حفيد الشيخ اسماعيل الولي فى كردنان وقد التحق بالأزهر  
وهو طالب صغير اذ رافق خاله الشيخ أحمد الأزهرى الى هناك حيث اتم  
تعليمه ومنحه علماء الأزهر اجازات علمية تشبهه بنبوغة ومنهم العلامة  
المصرى حسن الطويل كبير علماء الأزهر آنذاك .

تولى الشيخ اسماعيل التدريس فى الأزهر وقتما ثم عاد الى البلاد  
وعين مفتيا لدير كردفان وكان يقوم بالتدريس أيضا بجانب وظيفته فى  
القضاء وقد تخرج على يديه علماء كثيرون وكان أدبيا وشاعرا نال الجائزة  
الأولى فى مسابقة شعرية نظمها مجلة الجوائب المصرية وعندما قامت  
الثورة المهدية وحكومتها فى السودان ( ١٨٨٢ - ١٨٩٨ م ) التحق بالمهدى  
وعمل فى سلك القضاء وله مؤلف فى تاريخ المهدي سماه « سعادة  
المستهدى بسيرة المهدي » حققه العلامة السودانى الدكتور محمد ابراهيم  
أبو سليم وكتب له مقدمة ضافية ووصف الكتاب بأنه مصدر هام من  
مصادر تاريخ المهدية . كما سبق لمؤرخ عربى ان اعتبر الشيخ اسماعيل  
بمنزلة ابن الاثير وأبى الفدا وابن خلدون والمقريزى - لقد توفي الشيخ  
اسماعيل مسجونا فى منفاه فى جنوب السودان . ومن شعر الشيخ  
اسماعيل قصيدة انشدها عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ يرى الامام المهدي  
ويصف القبة التى دفن فيها المهدي جاء فى القصيدة :

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا      ونطقت بها الجوزاء عقد منقدا  
وقد نظم زهر النجوم قلائدا      لحيد علام حاز السبق مقسدا  
ولاحت بانوار الهداية شمسها      فاشرق منها للكون وانقشع الردى



وروضتها الزهراء بالفضل والندى  
لخبر الورى طه المتفتح أحسنه  
والفضل من في الخبر راح أو اغتنى  
مأثر فضيل ما أجسل وامجنا  
شفيع الورى في الحشر من طاب محتنا  
وأولاه أفضالا ونصرا مؤيدا  
ودمر جبنارا طغى وتمردا  
لدار بهما الفوز العظيم مخلصنا  
يذوب أسى والصبر عز وإبعدا

خلله منهاها ومجسكم صنعها  
ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث  
خلاصة صفو المجد من آل هاشم  
إمام له في كل مجد وسؤود  
محمد المهدي بشري محمد  
به الله أحسانا وأظهر دينه  
وقد أحرز الدين الحنيفي بالظبا  
والأ دعاه الله جل جلاله  
أجاب النداء فالقلب بعد فراقه

### الشيخ ابراهيم شريف الدولاى :

وهو من أسرة الدوايب المعروفة في كردفان في غرب السودان درس  
على جده ود دوليب ثم هاجر الى مصر والتحق بالأزهر ولما عاد الى السودان  
كانت الثورة المهدية قد نشبت ضده الحسك التركي فرافق المهدي الى  
الابيض عاصمة كردفان عام ١٨٨٢ م - وكان شاعرا أيضا وقد رثا المهدي  
بقصيدة جاء فيها :

ورفوء دمع مجاجرى المنجور  
أحشاؤها تصبل غسل تنور  
قد كان معصوماً عن المحظور  
بدقائق التبصير والتنبؤ  
عنه النهى في حيرة وقصور  
خلعت عليه ملابس من نور  
في مشهد بالأوليا معصور  
وسعت لمقصده صدقها المدخور  
وحشها الحشى ببال وسعير  
ومواطن الأذكار والتسكير

كيف التثام فسؤاى المنجور  
أم كيف يثلك الضنى عن مهجة  
أسف على المهدي من مهد الصبا  
لا زال في كنف العناية يفتدى  
حتى انتهى لقاءه الأعسل الذى  
واقامه المختار عنه خليفة  
ورقى الى كرسية مشسما  
تاقت الى الذات العلية روحه  
قمضى وأودع كل قلب حيرة  
تبكى المساجد والمحارب فقصده

وعين قاضيا شرعيا في عهد الحكم البريطانى على السودان وعضوا  
في مشيخة العلماء .

### الشيخ عمر الأزهرى :

ولد عام ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م في قرية الصوفى بالقرب من مدينة  
القضارف في شرق السودان حيث حفظ القرآن ودرس قدرا من الفقه

واللغة العربية ثم رحل الى مصر للدراسة في الأزهر وعندما عاد قام بتدريس مواطنيه وكان شاعرا وله قصيدة نالت إحدى جوائز مجلة الجوائب التي كان يصدرها أحمد فارس الشدياق في الاستانة ثم نقلت الى القاهرة وكان مطلعها :

سلوا عن قوادى مسيلات الذوائب      فقد ضاع من بين القلوب الذوائب  
فلا سلمت نفس من الحب قد خلت      ولا كان جفن دمعته غير ساكب

عين قاضيا في المهديّة وكذلك في عهد الحكم البريطاني في السودان وتوفي عام ١٩١٥ م وهو والد الشيخ الصديق الأزهرى العالم العامل المعروف في مدينة رفاعة عاصمة مديرية الجزيرة .

## ● فقهاء متصوفون

سلك أغلب الرواد السودانيين من متخرجي الأزهر أن لم يكونوا كلهم طريق التصوف متأثرين بأساتذتهم في الأزهر وبمن درسوا مؤلفاتهم من الفقهاء - والمتصوفين - . لم يكن طريق الصوفية في بادئ أمرهم سهلا معيدا فقد تصدى لهم الفقهاء وقام الخسلاف بينهما حتى اضحى عددهم مستحكما وصفه العلامة أحمد أمين بـ"بنيكة النكبات ومصيبة كبرى" ولقى المتصوفون أذى وحربا عنيفة إلى أن انتصر لهم الإمام الغزالي في أواخر القرن الخامس الهجري بكتابه أحياء علوم الدين واستطاع أن يسلك طريقا سببه الفقهاء وأهل السنة في التصوف حيث دعا للمحافظة على الشريعة الظاهرة مدعمة بالنية الحسنة وتطهير الظاهر كتطهير الباطن - لقد كان للإمام الغزالي فضل في إزالة العداء بين الفقهاء والصوفية وهذا يعتبر نقطة تحول كبرى في تاريخ الفكر الإسلامي .

وقامت الطرق الصوفية بعد موت الغزالي ١٠٥٩ - ١١١١ م وانتشرت بدرجة كبرى مستمدة قوتها من اتجاهاته ونزعت السنية وأسست زواياها وروابطها ومراكز العلم في البلاد الإسلامية كما فعل هو نفسه في بلاده .

كانت الطريقتان الصوفيتان اللتان تسيطران على المجتمع الإسلامي آنذاك هي القادرية ( الجيلانية ) وتنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م والمدفون في بغداد ، لقد كان فقيها درس عليه تلاميذه التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول

والنحو وكان يفتى على مذهبي الشافعي وابن حنبل وكانت فتواه تعرض  
على الفقهاء في بغداد فتعجبهم كل الإعجاب .

والطريقة الثانية هي الشاذلية وتنسب الى الشيخ أبي الحسن  
الشاذلي الذي توفي في صحراء عيذاب عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وهو  
في طريقه الى الحج ، كان الشيخ الشاذلي فقيها مالكيًا اشتغل بالعلوم  
الشرعية حتى آتت كتابه سنة وتفسيرًا وكان يخاطب أتباعه بقوله :

« اذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع  
الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى قد ضمن له العظمة في الكتاب  
والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الالهام ولا المشاهدة » .

لقد كان المجتمع المصري يميل بالفقهاء المتصوفين في عهدي المماليك  
و ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م الى ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م آل عثمان ٩٢٢ هـ /  
١٥١٧ م الى ١٢٥٠ هـ / ١٨٠٥ ومن قبيل المثال نذكر بعضًا من  
النايين (١) منهم ممن كان لهم أثر على المجتمع المصري والسوداني فيما  
بعد وهم الشيوخ :

#### تاريخ الوفاة

عن الدين عبد السلام ويسمى بسلطان العلماء	٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م
محي الدين النووي	٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م
الامام البيهقي صاحب البردة	٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م
ابن عطاء الله السكندري	٧٠٧ هـ / ١٣٠٨ م
تقي الدين السبكي	٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م
سراج الدين أبو حفص عمر الملقب	٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م
السراج البلقيني ويعتبر عالم المائة الثامنة	٨٠٥ هـ / ١٤٠٣ م
شهاب الدين بن حجر العسقلاني	٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م
بدر الدين العيني	٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م
جلال الدين السيوطي	٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م
عبد الوهاب الشعراني	٩٧٣ هـ / ١٥٦٦ م
ابراهيم اللقاني	١٠٤٠ هـ / ١٦٣٦ م
أبو عبد الله العرشي أول شيخ للازهر	١١٠١ هـ / ١٦٩٠ م

(١) راجع جيزة الأولياء - الجزء الثاني للسيد محمود أبو الفيض وكذلك عمر  
سلاطين المماليك للجنيد الثالث تأليف محمود رزق سليم .

وكان هؤلاء جميعهم فقهاء متصوفين . أما أهم الفقهاء الصوفيين (١) الذين درس عليهم أولئك الرواد من متخرجي الأزهر أبان الحكم العثماني وتأثروا بهم وحذوا حذوهم عند عدد منهم لبلادهم فهم :

#### تاريخ الوفاة

الشيخ زكريا الانصاري ويعتبر خاتمة فقهاء العصر ٩٢٥ هـ / ١٥١٩ م  
الملوكي

شمس الدين اللقاني

ناصر الدين اللقاني

عبد الرحمن الاجهوزي

٩٩٨ هـ / ١٥٩٠ م

محمد البنوفري

١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م

أحمد محمد العدوي الملقب بالدردير كان شيخا

للمالكية ويرصف بأنه إمام وقته وعصره

١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م

الشيخ الأمير

وهناك فقهاء متصوفون درس عليهم السودانيون في الأزهر في العصر الحديث الذي تلا الحكم العثماني نذكر منهم مفتي المالكية الشيخ محمد عيسى والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر ومصطفى الحضاوي وغيرهم .

لقد كان أولئك الرواد كاساتذتهم في الأزهر فقهاء صوفيين يتبعون للطريقة الشاذلية أساسا ويروي أن الطريقة الشاذلية كانت أول طريقة دخلت السودان على يد الشريف حمد أبي دناته صهر محمد بن سليمان الجزولي داعية الطريقة الشاذلية في المغرب والمتوفى ( من حوالى ١٤٦٥ م ) وذلك قبل قيام سلطنة سنار الإسلامية ١٥٠٤ م وهي بذلك قد سبقت الطريقة القادرية ( الجبلانية ) التي دخلت السودان على يد الشيخ تاج الدين البهارى الذى قدم السودان فى حوالى ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م .

ويقتنى أن الطريقة الشاذلية انتشرت في السودان أساسا بفضل أولئك الرواد من الفقهاء الذين درسوا في الأزهر وإذا رجعنا الى كتاب

(١) راجع جبهة الأولياء الجزء الثاني للسيد محمود أبو القيس وكذلك

عصر سلاطين الماليك المجلد الثالث تأليف محمود رزق سليم .

طبقات ود ضيف الله لوجدنا في سير كثير من الفقهاء ما يدل على انهم كانوا ينتسبون الى الطريقة الشاذلية . ومهما يكن من أمر ، فقد عرف عن الطريقتين الشاذلية والقادرية ( الجيلانية ) انهما تسييران على هدى الكتاب والسنة ولهذا كان أثر أولئك الرواد الفقهاء المتصوفين واضحا على المواطنين اذ انهم ارسوا قواعد التصوف الشيء الذي تدعو له الشاذلية والقادرية وكانوا بذلك واضعي هذا التقليد السليم الذي لم يدع مجالا للشعوذة أو النصب والعداء بين الفقهاء والمتصوفين كما هو الحال في بعض البلاد الاسلامية .

لقد انشأ الشيخ محمود العركي عدة مدارس على النيسل الأبيض في النصف الأول من القرن السادس عشر على غرار الزوايا والروابط التي يقيمها المتصوفون حتى اضحى النيل الأبيض كمبة لطلاب العلم والدرس ولكنها دمرت جميعها في عام ١٦٨٤ على يد قبائل الشلوك الجنوبية والشيخ محمود كان أول سوداني تذكره الوثائق درس في الأزهر على نحو ما ذكرنا وكان فقيها صوفيا وقد درس على أساتذة صوفيين في الأزهر . كذلك كان أولاد جابر أقطابا وأولياء وهذه هي الغاية الصوفية ولعل الاجازة التي منحها الشيخ عبد الرحمن بن جابر لتلميذه إبراهيم ولد رابعة وما حوته من نعت والقباب تشير بوضوح الى الأثر الصوفي والطريق الذي كان يسلكه الشيخ عبد الرحمن وما كان يطلبه من تلميذه أن يكون مريبا للمريدين وقنوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين .

انني لا أشك مطلقا بان الشيوخ الفقهاء محمود العركي وأولاد جابر كانوا صوفيين ينتسبون الى الطريقة الشاذلية على نحو ما كان عليه أساتذتهم في الأزهر .

كذلك كان الشيخ عبد الله العركي ( ١٥٧٠ م ) شيخ الطريقة القادرية ( الجيلانية ) في السودان وعميد أسرة العركيين المعروفة في الجزيرة في الاقليم الأوسط عالما صوفيا وكان ينشر للطريقة القادرية بروح العالم الفقيه وكان يتأدى في قومه واتباعه ويحذرهم الا يخوضوا في مسائل التصوف دون دراية الا بعد أن يناؤا قدرا كبيرا من العلم وكان يتخذ لنفسه طريقا مرضيا لأهل الفقه والتصوف اذ كان يتأى بنفسه عن شطحات بعض المتصوفين ويعتبر الشيخ عبد الله العركي أحد الذين ارسوا قواعد التصوف السني ونجد أثر ذلك الاتجاه عند قومه العركيين المتصوفين اذ يشترطون على اتباعهم ان لا يحفظ مختصر

خليل عن ظهر قلب لا يولى شيئا الطريقة القادرية - والشيخ عبد الله سافر الى الحجاز وأخذ يدرس للطلاب في مقام الامام مالك عدة سنين ثم عاد الى بلاده بناء على رغبة أهله ، لم تقف رسالة هذه البيوتات الدينية على نشر الاسلام وتعليم الناس أمور دينهم بل كانوا موثلا للفقهاء والضعفاء وكان يستجير بهم الناس وقت الشدة والضيق كما عملوا على توحيد الناس وتآلفهم وأصبح كل فرد في الطريقة أخا للأخر مما أضعف الرابطة القبلية الهمجية التي أثرت على العلاقات بين الناس: وقللت من حدة الصراع والخلاف بين القبائل فيما بينها وربطت الناس على أسس دينية قومية أوسع وأشمل من القبيلة .

وتكن ران على السودان في أواخر عهد سلطنة سنار جسسو من الاضطراب والفوضى فنشبت الحروب والغارات القبلية وانقرط عقد الأمن وأصبح الطريق الى مصر وعرا لا يأمن المسافر فيه على نفسه وسندت بذلك أمام المواطنين منافذ الهواء النقي الصالح الذي يأتيها من مصر ومع ما نتج من حالة البؤس والفقر نفشى الدجل والشعوذة .

ورغما عن ذلك ووسط ذلك الجو المضطرب كانت مدارس العلم التي انشأها أولاد جابر أولئك الرواد من متخرجي الأزهر تقوم بدورها خير قيام وقد شهد بذلك الرحالة السويسري بوركهاردت (١) ( ١٧٨٤ ... ١٨١٧ ) الذي زار السودان عام ١٩١٣ ولاحظ كيف كان الأهالي في منطقة الشايقية يقبلون على تلك المدارس وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والرياضيات والفلك كما لاحظ أن كثيرا من أبناء القبائل المجاورة يفدون الى تلك المدارس حيث يقضون فيها هناك عشر سنوات أو أكثر في تحصيل العلم ويقوم المواطنون هناك بإيوافهم وإطعامهم كما لاحظ ما كان يلقاه العلماء من احترام وتجلة من مواطنيهم وأن كثيرا من الأهالي يعرفون القراءة والكتابة .

كذلك لاحظ عندما سافر جنوبا الى بربر والدامر أن طلابا كثيرين من دارفور وكردفان وسنار يقصدونها لتلقى العلم في مدارسها وتوسع في ملاحظاته عن الدامر حيث (٢) أعجب بمعاملة أهلها ونظامهم وطابعهم ووصف الدامر بأنها بلدة نظيفة ذات شوارع منظمة يسودها الأمن والطمأنينة ولم يحاول أحد أن يجبي منه آتاوة أو أن يرهبه في بيع أو

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان من ٣٣ .

(٢) عبد المجيد عابدين - تاريخ الثقافة العربية في السودان من ٦٢ .

شراء ورأى البلدة يسودها جو من التقوى والصلاح وعلم أن الفضل في ذلك يرجع الى أن الرئاسة والسيادة في الدامر لرجال الدين الذين ينتمون جميعا الى أسرة المجاذيب نسبة الى الشيخ حمد بن محمد المجذوب وكان علماء المجاذيب قد تلقوا تعليمهم إما في الأزهر أو مسكة وهم ينتسبون الى الطريقة الشاذلية المجذوبية .

وكذلك كانت بقية الخلاوى والمدارس في توتي والليفون والجزيرة والنيل الأبيض حيث كان على رأسها علماء متصوفون ينشئونها على نفقتهم أو يشترك معهم في الاتفاق عليها أهل البلدة جميعا ولذلك لم يكن التعليم الديني في السودان منذ عهد سلطنة سنار ودارفور الى العهد التركي وإلى ما بعد ذلك تحت اشراف السلطة الحاكمة أو أي إدارة نظامية وإنما كان يقوم به الفقهاء أو الجماعات تطوعا وإحسانا واكتفى سلاطين سنار وولاة العهد التركي من بعدهم بتقديم بعض من التسهيلات واقطاع الفقهاء اقطاعات لهم للمعيشة والمأوى .

وعندما قامت المهديّة ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ) أحرقت الكتب ولم تبق الا على القرآن والصحيحين وأحياء علوم الدين للغزالي وكتب الشعرائي وتفسير البضاوي والجلال السيوطي وابطلت طباعة الحبال الطرقي الصوفية .

وعلى الرغم من أن فترة المهديّة كانت فترة حروب وجهاد الا أن خليفة المهدي عبد الله شدد على الناس لحفظ القرآن أو ذلك القدر من سورة ما يؤدون بها الصلاة وعكف الناس على القراءة والكتابة وحفظ القرآن حيث كان الجند يدرس مع حفيده والولد مسج أبيه وانتشرت مدارس القرآن في كل أنحاء البلاد وبلغ عددها في أم درمان عاصمة البلاد وحدها آنذاك ثمانمائة (١) .

وعندما سقطت دولة المهديّة في عام ١٨٩٨ واستتب الأمر لبريطانيا أعادت الطرق الصوفية الى ما كانت عليه وشجعت قيامها مثل ما فعل محمد علي باشا قبل ذلك فقد شجع بعضا من الطرق الصوفية للزواج الى السودان كالطريقة السعدية والرحمانية والبرهانية . وأخذت تقضى

(١) م . من يشير - تطور التعليم في السودان - ص ٥٥ .



رويدا رويدا على نظام الخلاوى والمدارس الدينية باعتبارها مؤسسات تدعو للتعصب الدينى وحلت محلها الكتاتيب والمدارس النظامية والتي لم يقبل الطلاب عليها فى بادئ الأمر بل كانوا ينظرون اليها كمراكز للتبشير وكان بعض من الأهالى يرفضون فتح مدرسة فى بلدتهم يسلم يعتبرونها كنيسة (١) لا مدرسة ونسوق مثالا لذلك أهالى جزيرة مقرات فى شمال السودان .

---

(١) نفس المصدر - ص ٨٤ .

## ● المرأة السودانية والتعليم الدينى قديما

أما عن تعليم المرأة فقد حرص أولئك الرواد من علماء السودان على تعليم البنت أسوة بالولد وكانت خسلاوى القرآن فى الشمال والجزيرة وسواكن وأرض البجا وكردفان ودارفور تجمع بين البنت والولد تعليما مختلطا ويروى أن أكثر تلاميذ العالم السودانى الشيخ حمد بن محمد بن على المشيخى المعروف بـ «أم مريوم» (١) (١٠٥٥ هـ - ١٦٤٥ م) والمتوفى ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م - من النساء حيث أن أتباعه يذكرون فى مدحه أنه علم نساء قبيلة فزارة وجعل منهن عالمات وفقهيات فى الدين • وكان فى مقدمة الدارسين أولاد وبنات أولئك العلماء حيث نجد كل نساء البيوتات الدينية يحفظن قدرا من القرآن إن لم يكن كله ويعرفن شئون دينهن معرفة تامة ومنهن من تعمقت فيه وظل هذا التقليد معمولا به منذ ذلك العهد •

ويسجل التاريخ أسماء نساء كثيرات فتحن المدارس وأخذ العلم عليهن كثير من الناشئة بنين وبنات وتسوق مثالا لذلك :

فاطمة بنت جابر أخت أولاد جابر العلماء الأربعة الذين درسوا فى الأزهر والذين كان لهم أثر واضح فى الحياة الدينية فى السودان كما ذكرنا آنفا فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى وتوصف فاطمة هذه بأنها كانت نظيرة لأخوتها فى العلم والدين وقد حفظت القرآن وعمرها اثنتا عشرة سنة وكانت تقوم بتعليم الصبيان فى مسجدتها بالدفار فى دنقلا

(١) ود ضيف الله - الطبقات - ص ٦٧ •

وتنطق عليهم من مالها وقد ولدت العالم السوداني محمد بن سرحان المعروف بصيغريون والذي هاجر من دنقلا جنوبا فأنشأ مدينة علمية بالقرب من شسندى عرفت بقوز العلم والتي أصبحت منارة للعلوم الاسلامية فى منطقة الجعليين كذلك كانت بنتها آمنة وكانت عالمة كما كانت آمنة ابنة عائلة أيضا اسمها قوته وكلهن مارسن تعليم الصبيان والبنات وتخرج على أيديهن من ذريتهن علماء نابهن تهنوا برسالة العلم فى دنقلا وشسندى واقليم الجزيرة \*

وهناك أيضا عائشة بنت محمد القدال بن ابراهيم المعروف بالغرضى وقد درس جدها الغرضى على عبد الرحمن حمدتو الذى درس فى الأزهر على الشيخ البنوفرى \* وكان والدها وجدها عالمان يشار اليهما بالبنان \*

لقد كانت لعائشة هذه مدرسة على النيل الأبيض لتعليم الصبيان بناتا وأولادا ومن بين من درس عليها الشيخ خوجلى العالم السودانى المعروف المتوفى عام ١١٥٥ هـ - ١٧٤٢ م والذي ورد ذكره وذكر أبيه الشيخ عبد الرحمن الذى درس على الشيخ على الاحهورى فى مصر \*

ونذكر أيضا بتول الغبشة (١) والدة الشيخ هجر وأخت الشيخ يعقوب جد أسرة اليعقوباب المشهورة بالعلم والتصرف وهو تلميذ الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذى درس فى الأزهر على الشيخ البنوفرى وكانت لها مدرستها الخاصة بها فى سنار لتعليم الصبيان وعرف عنها حفظها للقرآن وتجويده كما كانت ناسخة ماهرة للكتب مما زاد من شهرتها وعلو صيتها وكان فى البلاد علماء وبيوتات تضطلع بمهمة نسخ الكتب بغرض البيع أو التبرك \*

كما ظهر نساء أخريات فى أوقات متفاوتة نذكر منهن أمونة (٢) بنت عبود فى دنقلا التى تحدث عنها العلامة رفاعه رافع الطهطاوى وذكر أنها كانت تقوم باقراء القرآن الشريف والمتون وإدارة مكتبتين أحدهما للعلماء والثانى للبنات وكانت تنفق من كسبها بغزل القطن وتشغيله وكان منزلها كالتكية للمفقرات وإلصا صدين بيت الله الحرام \*

وكان فى قرية شركيله فى كردفان سيدتان هما عائشة (٣) وآمنة -

---

(١) من مقال للاستاذ الطيب محمد الطيب - نساء سودانيات شاركن فى صنع التاريخ - الكواكب المصرية  
(٢) و (٣) د. عبد المزين عبد المجيد - التجربة فى السودان ج ٢ ص ٥٦

انقطعنا لتعليم اولاد المسلمين القرآن الكريم في مسجد انشأناه خصيصا  
لهذا الغرض .

وفي قرية البشاقرة غرب على بعد حوالي ٥٠ ميلا جنوب الخرطوم  
كان بعض نساء القرية يعلمن الناشئة القرآن الكريم وقد نبغت منهن  
الجاز بنت اسماعيل حفيدة الفقيه محمد راد الله متخرج الأزهر وهو حفيد  
الشيخ العالم أرباب بن عون المعروف بأرباب العقائد مؤسس مدينة  
الخرطوم وكانت تحفظ القرآن ومختصر خليل وتقرأ للفقيه المحدث التابع  
ابن سيرين .

وكانت هناك في أرض الخلاوين بالجزيرة أم كلثوم بنت القرشي ابنة  
القرشي ولد الزين شيخ الامام المهدي وكانت تقيم داخلية لايواء البنات  
الطالبات حيث لا تغادر البنت الداخلية الا بعد ان تحفظ القرآن .

لقد ازدهرت خلاوى القرآن على طول السودان الشمالى وعرضه  
وكان للنساء نصيب كبير في نشر العلم في ربوع البلاد كما ذكرنا وما  
يجدر ذكره ان مدارس القرآن في السودان عرفت التعليم المختلط منذ  
عهد يعيد فقد كان الصبيان ... بنين وبنات ... يدرسون جنبا الى جنب  
ثم ينفرقون بعد ذلك لمواصلة التعليم عندما يبلغون سن المراهقة .

## ❁ الشعر السوداني

### ١ - في عهد سلطنة سنار :

بدأ الشعر العربي في السودان صوفي النزعة والاتجاه فقد كان ذلك « الشعر (١) في بواكيره وليد بيئة صوفية متدينة ذات حظ غير كبير من التنوع الثقافي » وكانت تتغلب عليه اللغة العامية ولكنه في مضمونه اکتملت فيه كل عناصر الشعر الصوفي من حيث المديح في الرسول ووصف مناقبه ومكارم أخلاقه وعزواته والدعوة إلى الزهد والتقشف والتحل بالآخلاق الحميدة وكان شعراء ذلك العهد - عهد سلطنة سنار - هم رجال الدين والتصوف أنفسهم ومهما يكن من شيء « فآدياء (٢) الصوفية هم الذين رحموا تاريخ الأدب العربي من تلك الوصمة وصمة التزلف بالمديح إلى الملوك والرؤساء والأمراء .. وهم الذين جعلوا السلامة من باب السلطان كالسلامة من باب الطبيب وكانت عندهم سلامة الأرواح فوق سلامة الأبدان ... وهم الذين عطروا الأدب العربي بأريج الكرامة والعزة والصيانة والعفاف وهم الذين وصلوا المشرق بالمغرب وحفظوا الاسلام بأذاعة المعاني الروحية والدوقية ... » .

ولم يبق لنا من شعر ذلك العهد الشيء الكثير الا قصيدة العالم الصوفي الشيخ فرح ود تكتوك المتوفى عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤ م والتي تحمل نفس تلك المعاني السامية التي تبعد الناس عن التزلف والتسبح بالسلطين وقد بدأها بقوله :

(١) د. احسان عباس - الشعر السوداني - نظرة تقييمية نقلا عن اصول الشعر

السوداني - عبد الهادي صديق ص ٨٠ .

(٢) نقلا عن التصوف الاسلامي ، د. زكي مبارك ج ١ ص ٣٣٨ .

يا وافتا عند أبواب السلاطين      ارفق بنفسك من هم وتحزين  
تأني بنفسك في ذل ومسكنة      وكسر نفس وتخفيض وتهوين  
إذا كنت تطلب عزاً لا فناء له      فلا تقف عند أبواب السلاطين

ثم أخذ شعر المديح يرتقي وتغلب عليه العامة في آخر العهد التركي والمهدية وظهر شعراء نوايح مثل قدوره وود تميم واب كساوي وحاج المساحي وود مسعد واب شريعة وغيرهم وكانت مدائحهم حافلة بالمفردات والكلمة المعبرة والمادة التاريخية والفقهية مما يبرهن على علو كعبهم في العلم والدين والتاريخ الاسلامي كمن سبقوهم في هذا المضمار ابن الفارض والنايضي والبرعي .

## ٢ - في العهد التركي

أما الشعر في العهد التركي فيمثل بداية مرحلة جديدة لشعر عربي فصيح ذي اتجاه ديني صوفي ينصرف في الغالب الى المديح النبوي وشعراء هذه الفترة من العلماء الذين تلقوا تعليمهم في الازهر الشريف وعادوا الى السودان للعمل بالتدريس والقضاء الشرعي . لقد كانت بداية الشعر العربي الفصيح في السودان على يد هذه الفئة من العلماء الذين تلقوا تعليمًا دينيًا ولغويًا في الازهر ويؤرخ أحمد الأدباء (١) السودانيين ان بداية الشعر الفصيح تلك تقع ما بين عام ١٨٦٠ الى بداية الحرب العالمية الأولى أي بعد أربعين سنة من قيام الحكم التركي في السودان ولم تكن اللغة العربية حتى ذلك الوقت لغة مصر الرسمية الى أن أصدر الخديوي اسماعيل قراراً بأن تصبح اللغة العربية لغة البلاد الرسمية بدلاً من اللغة التركية في شوال ١٢٨١ هـ / ١٨٧٠ م وقد كان هذا القرار ذا مغزى سياسي في مصر والسودان بل والعالم العربي من الوجهتين الأدبية والاجتماعية وفتح منافذ للغة العربية لتنمو وتنتشر .

لقد علق أحد الأدباء السودانيين على الشعر في العهد التركي بقوله :

« ف شعر (٢) العلماء اذن وهو بداية الشعر الفصيح في السودان لم يكن تطوراً طبعياً للشعر الشعبي شعر البطولة والفروسية الى التعبير

(١) د . محمد ابراهيم الشوش - الشعر الحديث في السودان .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨ .

باللغة القصصى وإنما هو شعر أفراد قلائل هيأت لهم ظروفهم الفردية اتصالا بالخارج وتعلما ازهريا دينيا مكنهم كل ذلك من نظم هذا الشعر وهو شعر فقهي وليس فيه من مظاهر القومية الا تلك المسحة الصوفية التي أشرنا إليها . . .

ان الشعر (١) السياسى فى هذه الحقبة قليل ومع قلته يصور الأحداث الشيرة داخل السودان ولكنه أعرب الى حد ما عن رضاء العلماء من الحكومة وشاطر مصر الشقيقة فى ثورتها العربية فوضع اللبنة الأولى للكفاح المشترك بين الشعبين السودانى والمصرى وهذا الشعر القليل يحمل خصائص لم يعرفها شعرنا من قبل .

لقد ارتفع (٢) الشعر فى ذلك العهد فى مستواه عن شعر سلطنة سنار إذ تحققت فيه لحه كبير سلامة اللغة وصحت التراكيب وارتقى عن أسبقه من حيث العبارة والفكرة واتسم فى مجمله باستقامة الموسيقى وان لم يخل من اضطراب .

### الشعر فى المهديّة :

تطور الشعر فى هذه الفترة الوجيزة وكان أبرز شعرائها هم من متخرجى الأزهر الذين وردت اسمائهم آنفا فى دراستنا عن سيرهم وقد ذكرنا نماذج من أشعارهم لتلقى ضوءا على ما كان عليه الشعر آنذاك حيث كان بطبيعة الحال شعر حرب وثورة وحماسة وبطولة ومدح للمهدى وقواده وظهرت شخصية الشاعر السودانى مستقلة متفردة ولعله من المناسب ان تذكر هنا أبياتا من قصيدة للعالم السودانى الشيخ محمد الطاهر المجذوب وهو من أسرة المجاذيب ذات الأثر الكبير فى السودان لذيوع صيتها آنذاك ولأنها تصنف بعضا من معارك الثورة المهدية فى هندسودب وهشيم وسواكن فى شرق السودان وتتغنى باقتصاراتهم على الجيش البريطانى ويقال انه ارتجلها ارتجالا .

---

(١) محمد محمد على - الشعر السودانى فى المارك السياسية ٩٨ -

(٢) عز الدين الأمين - تراث الشعر السودانى ص ٧٦ .

كيف ارتكبنا للمصائب	هندوب تعرف صبرنا
كيف أدعنا للمصائب	وعشيم تشهد عزنا
صيد الغصنفر لتغالب	يا طالا صدنا بها
كالرعد اذا ما؟ المزن صائب	جيشنا يرن سلاحه
انا لدى الهيجا تضارب	وسواكن تدري بنا
وقع الصواعق في المضارب	بالمشرفي كأنه
نبدى العجائب والغرائب	زمتا رصدنا نجوها
كالليث اذ نشب الخالب	وتشز في أوجافها
منها العساكر والكتائب	ولطالما برزت لنا
بل يسرة من كل جانب	من كل فج يمنة
ترمي بهم رمى الشواقب	فتجاذبتهم خيلنا
فوق العمائم والعصائب	والبيض تسلب فيهم
بين مصر تكتبها الجوائب	حتى آتت أخبارنا
في شأنه نلقى المعائب	نعبي لدين الله بسل

ويلاحظ هناك إشارة في قصيدته الى مجلة الجوائب التي كان يصدرها أحمد فارس السدياق في مصر وقد كانت تعنى كثيرا بأخبار السودان وكانت تنشر مقالات وقصائد لهم وكان مكاتبها في السودان الشيخ محمد عثمان حاج خالد وهو من أسرة العراب المعروفة وحفيد الشيخ حامد بن الفقيه سليمان المعروف باللين وهو أول من أحضر من مصر شرح عبد الباقي على خليل والشرابخيتي على العشماوية والشيخ محمد عثمان والد الامتاذ الدرديري القاضي أحد أقطاب الحركة الوطنية في السودان وعضو مجلس السيادة الذي حل محل الحاكم العام البريطاني وقد أرسل الخليفة عبد الله الشيخ محمد عثمان سفيراً له لدى الامبراطور منليك عاهل الحبشة آنذاك واستطاع ان يبرم اتفاقية دفاعية بين السودان والحبشة عام ١٩١٥ / ١٨٨٩ م .



● دور الأزهر  
أبان الحكم البريطاني  
( ١٨٩٨ - ١٩٥٥ م )

كانت بريطانيا منذ ان جشمت على صدر مصر عام ١٨٨٢ م تعدد  
العدة لاحتلال السودان ليكتمل به مخططها وليكون تحت قبضتها الطريق  
ممتدا من مصر الى الكاب في جنوب أفريقيا - كان الخديوى توفيق قد سد  
سرح الجيش المصرى في ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ باعسر الغزاة البريطانيين  
وذلك بعد ستة أيام من معركة التل الكبير التى هزم فيها الثوار المصريون  
وكون جيشا مصرية جديدا يدرجه ويقوده ضباط بريطانيون . وأمام الصراع  
الدولى المحموم والسباق نحو استعمار أفريقيا وخوفا على الا يؤدى احتلال  
السودان الى مضاعفات ومشاكل دولية بين بريطانيا ومنافستها القسوية  
فرنسا بالذات سبرت بريطانيا حملة لغزو السودان باسم مصر باعتبار  
السودان كان جزءا من ممتلكات الخديوى - وسميت « حملة استرجاع  
السودان » وكان السودان انذاك يخضع لحكم الثورة المهدية  
( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م ) وعين القائد العام للجيش المصرى الجنرال البريطانى  
السير هربرت كشمير قائدا لحملة الغزو يعاونه ضباط بريطانيون كبار  
وأخرون مصريون وسودانيون وكانوا جميعهم يعتبرون تابعين لخديوى  
مصر وكان الجنود كلهم مصريين مع فرقتين سودانيتين دربتا فى مصر  
خصيصا لهذه الحملة .

وكان كلما تم للجيش الفاتح احتلال مدينة أو منطقة يرفع عليها  
العلم المصرى واستمرت الحملة بطيئة عامين من الزمان وفى المعركة  
النهائية الفاصلة فى أم درمان عاصمة البلاد الحقت فرق بريطانية بالحملة

وفي ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ تم لها النصر النهائي على حكومة الثورة السودانية عقب معركة فاصلة وبعد مقاومة شهد التاريخ قليلا مثلها مما سجله الضباط البريطانيون الذين اشتركوا في المعركة او المراسلون الحربيون المرافقون للجيش الفاتح وكان النصر حقيقة حليفنا للسلاح الففك الذى استخدم واخترع ليستعمل خصيصا فى هذه الموقعة وهو مدفع المكسيم السريع الطلقات -

توجه قائد الفتح الجنرال كشمير الى الخرطوم ورفع العلم طائى والمصرى ولأول مرة على أنقاض السراى الذى كان يحكم ردان غردون باشا البريطانى الجنسية باسم خديوى مصر قبل ثلاث سن عاما منذ ذلك الوقت وكان النوار السودانيون قد قتلوا غردون هذا عندما سقطت الخرطوم فى أيديهم فجر ٢٦ يناير ١٨٨٥ .

املت بريطانيا على مصر اتفاقية فى يناير ١٨٩٩ ليحكم بمقتضاها السودان عرفت باتفاقية الحكم الثنائى - بريطانيا فعلا ومصر اسما : وكان قد ابتدع فكرتها اللورد كرومر ( ايفلن بيرنج ) معتمد بريطانيا وقنصلها العام فى مصر والذى كان يحكم قبضته على الإدارة فى مصر وهو من عائلة بيرنج البريطانية ذات الثراء والبهاء المريع فى بريطانيا - وعرف السودان منذ ذلك الوقت بالسودان الانجليزى المصرى وعين كشمير قائد حملة الفتح حاكما مطلقا على السودان .

لقد لقيت تلك الاتفاقية معارضة شديدة فى مصر باعتبار السودان أرضا مصرية وليس لبريطانيا حق فى المشاركة فى حكمه وخرجت جريدة اللواء بكلمات صارخ لمصطفى كامل فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٠٠ يعرب فيه عن سخطه وسخط طبقته على الاتفاقية ونظرته للسودان باعتباره جزءا من ممتلكات مصر ويرد اللورد كرومر (١) مبتدع الاتفاقية بقسوته : -

انجلترا وليست مصر هى التى قامت فعلا بفتح هذه البلاد - صحيح ان خزائن مصر تحملت الجزء الاكبر من عبء مصروفات الغزو وان القوات المصرية بقيادة الضباط البريطانيين ساهمت بجزء مشرف من مجهود الحملة - الا انه من الصحيح أيضا انه خلال فترة الاعداد وتنفيذ السياسة كانت القيادة الاعلى والطولى لبريطانيا ولذلك فانه من السخف الادعاء

بأنه كان يمكن للحكومة المصرية إعادة فتح السودان دون مساعدة بريطانية بالرجال والمال والقيادة العامة ومن ثم فإن ضم الأراضي المستعمرة لانتجلترا له ما يبرره الى حد ما » .

وكان الخديوي عباس حلمي (٢) قد زار السودان وفي احتفال كبير أقيم له في الخرطوم مساء ٤ ديسمبر ١٩٠١ ألقى كلمة قصيرة يرد فيها على كلمة ترحيب من الحاكم البريطاني وقائد الجيش المصري جاء فيها : - « .. العلمان الانجليزى والمصرى اللذان يتفقان الواحد بجانب الآخر هما اشارة الى الحكومة المشتركة التى أخذت على عاتقها حماية الاموال من الوقوع فى شرك أهل الظلم والفساد وابتداء عصر مدبوء وسعادة فى هذه الديار » .

لم تمط الاتفاقية بريطانيا حق مشاركة مصر فى حكم السودان بل اعطتها كل الوصاية على السودان فانفردت بحكمة واعترفت لمصر بحقوق اسمى فى السيادة على السودان . وهكذا أصبح كل وادى النيل مصر والسودان فى قبضة بريطانيا تحكمه عن طريق المعتمد البريطانى فى مصر والذي كان حاكم السودان البريطانى مسئولاً لديه . . . . .

وانتقل الجيش المصرى بكامل هيئته الى السودان وقائده العام هو حاكم السودان البريطانى واستمر الحال على ذلك حتى عام ١٩٢٤م حيث اغتيل فى مصر السير لى ستاك حاكم السودان وقائد الجيش المصرى وتحركت بريطانيا لتملى على مصر شروطاً قاسية على رأسها طرد الجيش المصرى والمصريين من السودان .

عكفت الادارة البريطانية الاستعمارية تبني أجهزتها وكان على رأسها حاكم بريطانى منحه الاتفاقية سلطات مطلقة فى حكم البلاد يعاونه شلة من البريطانيين فى كل المراكز الكبرى ويعمل تحت أمرتهم ضباط وموظفون مصريون .

كانت الادارة الاستعمارية تعلم عام اليقين ان البلاد التى ستحكمها ذات نزعة دينية شديدة وفجرت ثورة فريدة فى التاريخ الحديث ووقف أهلها يبايعون المهدي قائد الثورة على ترك الدنيا للأخرة وأقاموا حكماً ثيوقراطياً مدة ثلاثة عشر عاماً ولذلك كانت حذرهم كل الحذر ألا تقع

---

(٢) نديم شافير - جغرافية وتاريخ السودان - بيروت ص ١٣٢٨ .

فيما يمس عواطف الناس ومشاعرهم الدينية ولكنها كانت تضرب بكل قسوة أى تجمع ديني ينهض مناوئاً لهم .

لقد أتت الإدارة الاستعمارية لتقيم دولة علمانية بدلاً من الدولة البنيوقراطية التي كانت قائمة آنذاك فلجأت إلى سن القوانين المدنية وإقامة المحاكم المدنية إلى جانب المحاكم الشرعية التي تختص في نصر قضايا الأحوال الشخصية .

وفي التعليم تركت الخلاوى والزوايا الدينية كما هي وفتحت المدارس النظامية ليدرس فيها التلاميذ المواد العلمية كالحساب والجغرافيا والتاريخ والعلوم العامة مع قليل من سور القرآن والعلوم الدينية لتصبح غلبة التعليم العلماني على الديني هو أساس التعليم في السودان فقد كان اللورد كرومر صاحب القبضة الحديدية على وادي النيل آنذاك يخشى ان ذلك النوع من التعليم الذي كان يقوم أساساً على دراسة القرآن من شأنه ان يثير الحماس الديني .

استعانت الإدارة البريطانية في السودان في مجال القوانين بخبرتها وتجاربها في الهند وببرنامج التعليم بما كان يجسرى في مصر وتركزت مهام التدريس والقضاء الشرعي للمصريين كما كونت لجنة استشارية من علماء السودان لتقديم لها النصيح في كل ما يتعلق بالشئون الدينية والتعليم الديني في البلاد وهنا في مجال التدريس والقضاء الشرعي يتجلى أثر العلماء المصريين من متخرجي الأزهر ودورهم المحدود المقدر في وضع أسس النهضة العلمية في البلاد وكذلك دور رفقاءهم من العلماء السودانيين في اللجنة الاستشارية التي كونها الحاكم البريطاني كما نرى في الفصول القادمة وتبدأ بكلية غردون التذكارية وهي المؤسسة التعليمية الرئيسية التي تخرج فيها قادة السودان فيما بعد .

### كلية غردون التذكارية :

كان كيتشنر قائد حملة الغزو وسردار ( القائد العام ) الجيش المصري قد توجه للشعب البريطاني لانشاء كلية علمية تحمل اسم

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان من ٦٥ -

الجنرال البريطاني غردون الذى كان يحكم السودان باسم الخديوى تخليدا له كأحد بناء الامبراطورية البريطانية وكشهيد ضحى بدمه من أجل بريطانيا اذ قتله ثوار السودان فى الخرطوم فى صبيحة ٢٦ يناير ١٨٨٥ وتوالى التبرعات من شتى الأصقاع ووضع اللورد كرومر معتمد بريطانيا فى مصر وحاكمها الفعلى حجر أساس الكلية فى الخرطوم باسم الملكة فكتوريا فى يناير ١٩٠٠ واقتنح مبانها اللورد كتشتر رسميا عام ١٩٠٢ وأطلق عليها كلية غردون التذكارية وتمنى أن يرتكز عليها التعليم النظامى فى السودان الذى من شأنه أن يلبي حاجات السودانيين تحت اشراف بريطانيين لخلق طبقة منهم ترتبط فكريا ببريطانيا كما كان يرى أن قيام هذه الكلية سيعطى بريطانيا المركز الأول فى أفريقيا كقوة حضارية .

كذلك أفصح اللورد سالسيورى رئيس وزراء بريطانيا آنذاك فى الاجتماع الكبير الذى عقد لاختيار لجنة تنفيذية تشرف على تنفيذ مشروع الكلية بقوله :

« ان هذا المشروع فرضته علينا التزاماتنا الامبراطورية فهو محاولة لازالة ما بين الشعوب من حواجز واقامة رابطة من المعاونة الفكرية ونشر الثقافة الانسانية » .

وهكذا اكتملت لبريطانيا فى السودان كل مقومات الحكم وقيام ادارة حديثة قوانينها مستمدة من قوانين الهند ذرة الناج البريطانى كما كانوا يطلقون عليها كما وضعت أسس التعليم فى خدمة النظام وكان على رأس الادارة نخبة متمرسة من الضباط البريطانيين فى أول الامر استبدلوا بأخرين مدنيين فيما بعد .

غير ان الارتباط التاريخى الأبدى والروحى الذى يربط السودان ومصر كان له أثر أكبر وأقوى من تلك المخططات والنوايا فعامل اللغة العربية والدين والتاريخ المشترك جعل من الشعبين أخوة وذوى قرى هذا فضلا عن ان الشعبين كانا يقعان تحت وطأة الحكم الاستعمارى البريطانى ولذلك فان كل محاولات بريطانيا وسياستها التى كانت تقوم على أساس التفرقة بين السودان ومصر قد باءت بالفشل التام .

لقد استأثرت بريطانيا بكل شئ فى حكمها السودان فشغل البريطانيون كل الوظائف الكبرى وتركوا لمصر وظائف المأمير الذين يعملون

تحت امرة رؤساء بريطانيين وكذلك القضاء الشرعى وتدريس اللغة العربية والدين فى المدارس النظامية وكلية غردون بالذات .

وكان من حسن التوفيق ان الامام محمد عبده ذلك المصلح الدينى والوطنى الكبير قد عاد الى مصر من منفاه عام ١٨٨٩ بعد اشتراكه فى الثورة العربية وعين مفتيا للديار المصرية وقد اعتمدت عليه الادارة الاجنبية فى السودان لاختيار قضاء الشرع والمعلمين المصريين للسودان .

وتقتضى الأمانة التاريخية ان أنقل ماكتبه (١) اللورد كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن الامام محمد عبده مقارنة به مع آخرين من علماء مصر آنذاك .

« كان الشيخ محمد عبده عالما من نوع آخر واني لأصيف نوعا متميزا عن زملائه الذين وصفتهم آنفا . كان الشيخ محمد عبده أحد القوى القائمة فى حركة عرابي وعندما آتيت الى مصر عام ١٨٨٣ م كان فى محنة ومثلوم الصيت ولكن توفيقا ذا الطبع السمج عفا عنه أثر ضغط بريطانيا فعين قاضيا وادى مهمته تلك باقتدار وفزاحة . كان الشيخ محمد عبده صاحب أفكار عريضة متنورة وكان يعترف بالتجاوزات التى تشبأت فى ظل الحكومات الشرقية وكان يدرك ضرورة المساعدة الأوروبية لعملية الإصلاح بيد أنه لم يكن لينتمى لذلك النوع من المصريين المتفرنجين الذين كان يرى فيهم صورة سيئة للأصل . كان ضد الحديوى وضد الباشوات وليس معنى هذا أنه كان يعترض على رتبة الباشوية ولكنه من خلال تجربته لم يلتق الا بعدد ضئيل من الباشوات الكرام أصلا وفي الواقع كان الشيخ محمد عبده خياليا وغير عملي ولكنه كان وطنيسا مصريا قحدا وريضا كان من مصلحة القضية الوطنية المصرية اذا توفر عدد من أمثاله ... »

ثم يستطرد اللورد

« ان الأهمية السياسية لحياة الشيخ محمد عبده تكمن فيما يمكن وصفه بأنه مؤسس مدرسة فكرية فى مصر شبيهة جدا بتلك التى أنشأها فى الهند السيد أحمد خان مؤسس (٢) جامعة عليكره - ان الهدف المعلن لأولئك الذين ينتمون الى هذه المدرسة هو أن يبرروا طرق الإسلام للإنسان أى للإنسان المسلم وهم جيرونديو الحركة الوطنية لمصرية وهم يرسمون

(١) لورد كرومر - مصر الحديثة جزء ٢ ص ١٨٠ / ١٨١ .

(٢) ومن روادها زعماء الهند من المسلمين الذين أنشأوا دولة الباكستان . اقبال ومحمد على جناح وغيرهم .

كثيرا بتهمة الهرطقة لدرجة الاعتقاد بأنهم يعجزون من أن يستوعبوا معهم ولدى بعيد المسلم المحافظ الأمين وفي الناحية الأخرى فهم ليسوا متفرجين بالقدر الذي يشهد اليهم تعاطف المقلدين المصريين للأسلوب الأوربي فهم فيما يختص بإسلامهم دون المسلم المتزعم بالعقيدة كما وبالنسبة لتفريجهم دون المصريين المغالين في التفريج ولذلك تصبح مؤامتهم بالفئة الصعوبة غير أنهم يستحقون كل التشجيع والتأييد الممكن فمنهم الخلفاء الطبيعويون للمصلح الأوربي .

ان الوطنيين المصريين سيجدون في نجاح مؤيدي محمد عبده الأمل المرجو اذ يمكنهم أن ينفذوا شيئا فشيئا برنامجهم في خلق مصر المستقلة ذاتيا حقا .

وفي هامش نفس الصفحة يقول اللورد كرومر « كنت أمتح الشيخ محمد عبده لعدة سنوات كل تأييد في مقدوري بيد أن ذلك كان عملا عسيرا اذ إنه فضلا عن الخصومة الشديدة التي كان يراجهها من المسلمين كان أيضا لسوء الحظ في عداء مع الخديوي وقد استطاع أن يحتفظ بمنصبه كفتى باستناده على التأييد البريطاني القوي .

وفي تقاريرى السنوية تحدثت مرارا عنه مشيدا به وليس هناك من أسف يصدق على وفاته المبكرة أكثر منى .

### الامام محمد عبده وعلاقة قديمة بالسودان :

لم يكن الامام محمد عبده بعيدا عن الأحوال في السودان منذ ان كان مع أستاذه الثائر الاسلامي جمال الدين الأفغاني يلهجان الشعور الديني والوطني ضد الاستعمار البريطاني وكانا يكتبان في مجلة العروة الوثقى التي كانا يصدرانها في باريس دفاعا عن الثائر محمد أحمد المهدي والثورة السودانية ويروى أنهما كانا يتويان السفر سرا الى السودان لمساعدة المهدي وتنظيم سير الثورة فيه .

وفي تحقيق صحفي أجراه مندوب صحيفة بول مول (١) الانجليزية

---

(١) نشر الحديث في عددها الصادر يوم ١٧/٨/١٨٨٤ نقلا عن التريية في السودان

جزء ٢ ص ٩٧ للدكتور عبد العزيز عبد المجيد .

مع الامام محمد عبده في أحد زيارته للندن وكانت الشرورة المهدية في السودان في عنقوانها سأل مندوب الصحيفة الامام محمد عبده :

« اليس السودانيون قوما متعصبين ؟ » وكان رد الامام « ليس السودانيون أكثر تعصبا مني فحينما كنت أعلم الفلسفة في القاهرة كان الكثيرون من الطلاب المصريين يخشون حضور دروسى بينما كان هناك أربعة وثلاثون طالبا من السودان يحضرون جميعا ليستمعوا لى . انهم ليسوا متعصبين » .

وكان مع الامام محمد عبده عدد من السودانيين يدرسون معه في مصر على جمال الدين الأفغانى في الأزهر منهم الشيخ البشير ود نعمة العالم السوداني المعروف في رفاة على النيل الأزرق والذي كان نابغة في الفلسفة .

ويرى ان الامام محمد عبده كان قد اقترح (١) على أستاذه جمال الدين الأفغانى في باريس أن ينشأ مدرسة يختارن لها التلاميذ من نجباء الناشئة في الأقطار الإسلامية ومن يتوسمان فيهم الخير ثم يرسلهم على منهج قويح ويعدانهم للزعامة والاصلاح وبعد عشر سنين تخرج المدرسة عددا من التلاميذ المستعدين لترك أوطانهم والسير في الأرض لنشر الاصلاح المطلوب ولكن الاقتراح لم يرق لجمال الدين فرفضه - ولما عاد الامام محمد عبده الى مصر من منفاه وأصبح مفتيا لمصر وجد الجو ملائما لتنفيذ رأيه ذلك فعلا استطاعت مدرسة محمد عبده أن تفرض وجودها ونسبهم مساهمة ايجابية بطريقة وأخرى في الحركة الوطنية فيما بعد أى بعد وفاته عام ١٩٠٥ ومن ذلك المدرسة على سبيل المثال محمد قريد وسعد زغلول وعدلى يكن وعلى شعراوى ولطفى السيد وطه حسين ومصطفى عبد الرازق ومصطفى المراغى ومنصور فهمى ومصطفى صادق الرافعى ومحمد شاكر ومصطفى المنفلوطى وعبد الوهاب النجار ومحمد الحضرى وكلهم لعبوا دورا مرموقا في الحياة السياسية أو الاجتماعية في مصر .

### الامام محمد عبده واختيار علماء للسودان :

اما عن السودان فقد خصه الامام محمد عبده برعايته واهتمامه بعد

(١) محمد سعيد عبد الجيد ( محمد الأفغانى ) - نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغانى من ٥٥ نقلا عن كتاب رشيد رضا لابراهيم العدوى من ٦٩ سلسلة اعلام العرب .



أن أصبح مفتيا لمصر فاختار له المخلصين والناهين من تلامذته أو من تأثروا به ليعملوا في سلك القضاء الشرعى والتدريس .

يقول السيد محمد رشيد رضا أحد تلاميذ الامام محمد عبد المقربين « كانت حكومة السودان تعتمد على الأستاذ الامام في اختيار قضاة الشرع له من علماء مصر ولا سيما قاضى القضاء فيختار لها خير قضاة الشرع علما وأخلاقا وإدارة ومعرفة بحال الزمان كأصحاب الفضيلة الأساتذة الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد هارون والشيخ محمد مصطفى المراغى .

ومن حسن المصادفة أن هؤلاء الثلاثة الذين تولوا منصب قاضى القضاء فى السودان كانوا على أتم المودة والصداقة ول بعضهم وشيعة رحم مع بعض ) والشيخ اسماعيل خليل وكذلك كان سائر القضاة الشرعيين وبعض أساتذة مدرسة غردون من مريديه كالشيخ محمد الحضرى والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من خواص الأساتذة الشرعيين المصريين المتبعين لطريقته فى الإصلاح .

أما عن وظائف تدريس اللغة العربية والدين فقد تولاهما أساتذة ازهريون ما زالت ذكراهم العطرة خالدة الآن اختارهم الامام محمد عبده من خيرة تلاميذه منهم محمد الحضرى مدرس التاريخ الاسلامى وعبد الوهاب النجار الأديب والفقوى المعروف وقد اختيرا للتدريس فى الجامعة المصرية بعد عودتهما لمصر كما نذكر الشيخ محمد الجداوى العالم الأزهرى الذى ألف فى الفقه والميراث وفيهم العالم العلامة وحجة اللغة العربية الشيخ عبد الرؤوف سلام ومنهم الشيخ ماضى أبو العزائم المتصوف والمتخصص فى التفسير والحديث وغيرهم من رجال الأزهر الذين بلغوا قرابة الخمسين معلما وتخرج عليهم الرعيل الأول من السودانيين والذين كانوا قد حفظوا القرآن ودرسوا بعضا من أصول اللغة والأدب العربى فى خلاوى ومساجد مناطقهم .

لم ترضى الارساليات المسيحية عن نشاط أولئك العلماء الازهريين والدور الذى قاموا به فى تدريس الطلاب السودانيين فى كلية غردون فقد نشر بحث فى مجلة الارساليات العالمية تقول فيه إحدى (١) الارساليات : —

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم فى السودان من ٩٣ تقلا عن بحث نشر بمجلة الارساليات ١٩٠٧ عن الجنرال غردون والتعليم فى السودان .

« ان كلية غردون التذكارية بأسرها يجب القضاء عليها بوصفها كلية اسلامية تحما ودما من ناحية دينية ٠٠٠٠ ومن المؤكد ان اسم كلية غردون اسم على غير مسمى ولا يمكن الا أن يكون سبيلا لحداد الشعب المسيحي في بريطانيا العظمى وأن الجنرال غردون لم يخلد له ذكر في هذه الكلية بل خلد النبي محمد »

ولعل تسمية الكلية مدرسة محمد الروحية في أعالي النيل تكون أنسب لأنها بكل تأكيد تقوم بتدريس الشريعة والقرآن أكثر من أي علم آخر ٠٠٠

واستطرد كاتب البحث يهاجم تعيين الأساتذة المصريين للمدارس النظامية وكلية غردون لأنهم من متخرجي الأزهر الذي يقول عنه أنه « معروف في جميع أرجاء العالم ليس بأنه أكبر معهد ديني وحسب بل من أعظم وأشد المعاهد الدينية تعصبا للإسلام » .

اختار الامام محمد عبده الشيخ محمد شاکر عام ١٩٠٠ ليكون أول قاض للقضاة في السودان وهو من تلاميذه ويعتبر من النخبة الممتازة التي تخرجت في الأزهر وبعد عودته لمصر من السودان عين وكيلا للأزهر وعضوا في هيئة كبار علماء مصر وقد قطع شوطا في طريق اصلاح الأزهر مترسما خطى الشيخ محمد عبده ثم أسكتت الحماية (١) البريطانيه التي فرضت على مصر ابان الحرب العالمية الأولى صوت الاصلاح الذي كان ينادى به الشيخ شاکر حتى جهر به مرة أخرى فيما بعد الشيخ مصطفى المراغى الذي أصبح شيخا على الأزهر عام ١٩٢٨ - لقد ناصر الشيخ محمد شاکر الحركة الوطنية أيام سعد زغلول وله مؤلفات وبحوث عدة .

وللشيخ شاکر (٢) يعود الفضل في وضع أسس القضاء الشرعى في السودان فهو الذي وضع لائحة ترتيب المحاكم الشرعية التي تناولت بالتفصيل شروط اختيار القضاة والموظفين لهذه المحاكم واختصاصاتها وتقسيمها الى غير ذلك من المسائل التنظيمية كما وضع اللائحة النظامية للمحاكم وهي تتناول بعض المسائل الاجرائية التي تتعلق بالسير في الدعاوى ولائحة الرسوم وقد أدمجت لائحتنا الترتيب والنظام عندما تولى الشيخ مصطفى المراغى منصب قاضى القضاة . والشيخ محمد شاکر هو

(١) عبد الحليم الجندي سلسلة اعلام الاسلام الامام محمد عبده ص ١٦٩ .

(٢) د - خليفة بابكر الحسن - بحث عن الشريعة الاسلامية والنظام القانونى في السودان نشر في كتيب الاسلام في السودان .

الذي اقترح انشاء مدرسة القضاء الشرعى بكلية غردون والتي تخرج فيها انقضائة السودانيون واصبح عميدها العالم السوداني الشيخ هاشم أبو القاسم من متخرجي الأزهر واستمر الشيخ شاكر يخدم العلم في السودان حتى بعد عودته الى مصر فقد استعان به وبإرائه الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم شيخ العلماء في انشاء معهد علمي في السودان على غرار الأزهر الشريف وظل علماء السودان يحفظون له هذه اليد حتى وفاتهم وقد أطلقوا على لائحة تنظيم معهد أم درمان العلمي لائحة الشيخ شاكر .

ثم اختار محمد عبده الشيخ مصطفى المراغي ليكون قاضيا في مديرية دنقلا في السودان عام ١٩٠٤ ثم أصبح قاضيا للقضاة منذ عام ١٩٠٨ الى ١٩١٩ ، والشيخ المراغي درس على الامام محمد عبده فتون الحكمة وقروع الفلسفة ويعد من أنجب وألصق تلاميذه به كما يعتبر الشيخ المراغي أحد قادة الإصلاح الديني في الأزهر .

كان للشيخ المراغي دور كبير في تطور المعهد العلمي في أم درمان فقد كان وثيق الصلة بالشيخ أبي القاسم مؤسس المعهد الذي استعان به مرارا في كثير مما يهم المعهد في طوره الأول وعندما ترك الشيخ المراغي السودان عاثا لمصر كان يتمثل بقول القائل : -

خليل بالسوياء عوجا فلا أرى بها منزلا الا جديب القيس  
تلق برد نجد بعد ما لعبت بنا تهامة في جهامها التقيس

ولم تنقطع صلته بالسودان وعائلته الى أن توفاه الله . كذلك كان لكل اصحاب النفيلة من العلماء المصريين الذين شغلوا منصب قاضي القضاة دور ملحوظ في تطور المعهد وتقدمه منقل نشأته الى أن استوى جامعة اسلامية .

وفي عام ١٩٠٥ زار الامام (١) محمد عبده السودان قبل وفاته بقليل ليرى بنفسه ويقف على مجهود تلاميذه من العلماء وما غرسوه في نفوس الطلاب السودانيين . فدخل قصور الدراسة في كلية غردون وشهد طرفا من القضايا الشرعية في المحاكم وأصدر بعض الفتاوى

---

(١) السيد محمد رشيد رضا - تاريخ الشيخ محمد عبده .

واتصل ببعض علماء السودان وناقشهم وناقشوه وعاد الى مصر راضيا مرضيا حيث توفي في نفس العام .

وهكذا وضع الشيخ محمد عبده تقليدا سليما بان يختار للسودان قضاة مصريين من علماء مصر النابذين من متخرجي الأزهر واستمر هذا التقليد معمولا به قرابة نصف قرن الى عام ١٩٤٧ م حيث تولى اول سودانى من الذين درسوا على العلماء المصريين ذلك المنصب وهو الشيخ احمد الطاهر .

ونذكر من أولئك القضاة الشيخ محمد الأمين قراعة من أسرة قراعة المعروفة في مصر والذي أصبح عضوا في المحكمة الشرعية العليا في مصر بعد عودته من السودان . ومنهم الشيخ محمد نعمان الجارم وقد وضعه أحد العلماء السودانيين في قصيدة احتفاء بشقيقه على الجار عند زيارته عام ١٩٣٧ بقوله :

ومنه حظينا بأبي الفقه محمد الجارم نعمانه  
إباس الدكاء شريح القضاء على البيان وسجانه

ومن القضاة المصريين الذين شغلوا منصب قاضي القضاة نذكر الشيخ حسن مأمون الذي أصبح شيخا للأزهر فيما بعد وقد أسهم في تطوير المعهد العلمى في أم درمان وفي انشاء المعاهد الاقليمية في القطر .

لقد قدم أولئك القضاة الى السودان قدوم مسد وكانوا كلهم يؤدون رسالتهم باخلاص وصدق وأسهموا مساهمة تامة في وضع نظام القضاء الشرعى وترقيته في السودان باعتبارهم سلطة التشريع العليا في المحاكم الشرعية كما ساهموا في كثير من أوجه الحياة العلمية في البلاد .

تولى منصب قاضي القضاة في السودان من المصريين أصحاب  
الفضيلة :

- الشيخ محمد شاكر من ١٩٠٠ الى ١٩٠٤
- » محمد هارون من ١٩٠٤ الى ١٩٠٨
- » مصطفى الراغى من ١٩٠٨ الى ١٩١٩
- » محمد امين قراعة من ١٩١٩ الى ١٩٣٢
- » محمد نعمان الجارم من ١٩٣٢ الى ١٩٤٠
- » حسن مأمون من ١٩٤٠ الى ١٩٤٧ م .

« لقد حظيت كلية (١) غردون بنخبة ممتازة من الأساتذة المصريين الذين جمعوا بين الوطنية والعلم فشاركوا في تعليم السودانيين وادكاه الروح الوثابة المطلعة الى العلم والحرية كانوا سنداً لحركة الوعي الوطني التي كان الطلبة السودانيون في كلية غردون من طلابها بما تالوا من معرفة فتحت أمامهم باب الأمل في التقدم والحق بركب الأمم المتحضرة ولعل هؤلاء الأساتذة لم يحاضروا أولئك الطلبة في علم السياسة ولم يلقوا عليهم دروساً في الوطنية أو القومية ولم يحدثوهم عن مسألة تقرير المصير مباشرة في تلك الفترة المبكرة من الزمن ولكنهم دون شك اذكروا روحاً شابة وبعثوا عزيمته وزادوا نار الثورة ضد الاستعمار خطياً جعل الجذوة مشتعلة حمل المشعل فيها السودانيون وكان هؤلاء الأساتذة يصمدون عن شيء يحدثونه في مصر منذ العقيد الأول من هذا القرن وكان عدد هؤلاء الأساتذة كبيراً في الكلية فقصده بلغ خمسين مدرسا أو يزيه وكان أول ناظر لكلية غردون الأستاذ أحمد هدايت » .

لقد أصبحت كلية غردون صرحاً شامخاً ومنازة كبرى للعلم في السودان وأخذ طلابها ينهلون من الثقافة الغربية على أساتذة بريطانيين يفوصون في نفائس الثقافة العربية وأدائها بفضل الأساتذة المصريين من متخرجي الأزهر الذين فتحوا لهم تلك الآفاق وأخرجوهم من العزلة الفكرية التي كانوا يعانون منها في دراساتهم السابقة وعلموهم أن دعوة الاسلام لا تتعارض مع التعليم العلماني ومفاهيم الحياة العصرية وهذا هو جوهر تعاليم الامام محمد عبده كما كانوا لهم القدوة الحسنة بما تحلوا به من صفات العلماء وما كانوا عليه من تفقه في العلم وسمو في الأخلاق فأحبوهم وأكرمهم وظلت ألسنتهم تلهج بشكرهم وفضلهم الى أن رحلوا عن الدنيا وخرج جيل من بعدهم مزوداً بالعلم ومتأثراً ومنفاعلاً بما كان يجري في مصر والعالم من نهضة فكرية وكان منهم قادة الحركة الوطنية الذين حققوا للبلاد استقلالها وسيادتها الوطنية ولم تكن كلية غردون اذاً كما أراد لها واضعوها ومؤسسوها من دهاقنة الاستعمار البريطاني وبناء الامبراطورية البريطانية مثل أخواتها في المؤسسات العلمية الأفريقية التي أنشئت لنفس الغرض وتخرج فيها فئة من المتعلمين الأفريقيين الذين ارتبطوا ببريطانيا وجنانيا وفكريا واتخذوا من رجالها مثلهم الأعلى .

(١) نقلاً عن الرابطة الثقاتي بين مصر والسودان ص ١٠٧ للدكتور إبراهيم الحادلو .

## • الأساتذة المصريون والنشاط الاجتماعي

لم يقتصر أساتذة كلية غردون وكانوا أساس من المصريين الأزهريين رسالتهم في محيط التدريس والقضاء الشرعي بل قاموا بنشاط محمود في الحياة العامة بين المواطنين وقد برز ذلك النشاط بوجه خاص في الصحافة السودانية على صغرها ورغم ما كانت تفرضه الإدارة الأجنبية • من قيود ورقابة على مواد الصحافة •

لقد كانت هناك مجلة الرائد التي أنشأها تاجر اغريقي عام ١٩١١م استجابة لرأي بعض متخرجي كلية غردون وكان يحرره الصحفي اللبناني هو عبد الرحيم قليلات وكان يسهم في تحريرها (١) أساتذة كلية غردون وخاصة الشيخ عبد الرؤوف سلام المصري وفؤاد الخطيب السوري وكانا يدرسان الأدب العربي في كلية غردون •

كان هؤلاء الأساتذة يوجهون الصحافة نحو العالم الاسلامي تأكيداً لتبعية السودان للخلافة العثمانية كما كانوا يعملون لربط السودان بالعالم العربي بعد أن ظهرت أهداف السياسة البريطانية ليزل السودان عن العالم الاسلامي العربي ولذلك كانوا يشجعون الكتاب على السير في هذا الاتجاه ويفسحون المجال لمجاراة فحول الشعراء العرب وتشطير وتخمين قصصائهم وينتهزون أي فرصة مواتية لاستقلالها في هذا الاتجاه مثال ذلك عندما هبطت الطائفة التركية اندريد ارض مصر عام ١٩١٤ وكان يقودهم للمرة الاولى في تاريخ المسلمين شابان مسلمان من الترك ... لقد كان هذا حدثاً هاماً في مصر

والسودان والبلاد الاسلامية آنذاك فأهابت صحيفة الرائد بإيحاء  
من هؤلاء الاساندة بالشعراء السودانيين لتشطير بيتي شسوقي في  
استقباله للطائرة وتخليداً لتلك المناسبة يقول شوقي :

يا ادرميد الاطيرى مبلغه  
رسائل الشوق من عهرو الى عهرو

الى الذي خفقت في الأرض رايته  
واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

وقد أسرع السودانيون للاستجابة للنداء مدفوعين بمقيدتهم  
الدينية ونظرتهم للسلطان العثماني كخليفة لكافة المسلمين مما توجب  
طاعته تباروا في تشطير البيتين وفاز بالمرتبة الأولى الشيخ محمد عمر  
البناء متخرج الازهر بقوله :

« يا ادرميد الاطيرى مبلغه »  
خليفة الله عنا اصمدك الخبر

بلغيه من الاسلام قاطبة  
رسائل الشوق من عهرو الى عهرو

الى الذي خفقت في الأرض رايته  
وعزتها مسيوق الله بالظفر

مست على الأرض ظلالا تعادله  
واليوم تخفق فوق الشمس والقمر

وفاز بالمرتبة الثانية الأستاذ أحمد محمد صالح من الرعيل الاول من  
متخرجي كلية غردون إذ يقول في تشطير البيتين :

(( يا ادرميد الاطيرى مبلغه ))  
خليفة الله عنا اصمدك الخبر

حييت سابعة في الجبو حاملة  
(رسائل الشوق من عهرو الى عهرو)

((الى الذي خفقت في الارض رايته  
وها بها الخلق من بدو ومن حفر

اعلامه خفقت في المشرقين معا  
(واليوم تخفق فوق الشمس والقمر))

وفاز بالمرتبة الثالثة الشيخ حسن عثمان بدرى وهو يقبول في  
تسطيره :-

« يا آدميد الأطسرى مبلغه »  
روح ابن فرناس ما أوتيت من ظفر  
وورفى فوق نجم السعد حسامة  
« رسائل الشوق من عمرو الى عمر »  
« الى الذى خفقت فى الأرض رايته »  
يحفظها النصر من يدو ومن حضر  
ناقت الى القبة الزرقاء فارتفعت  
واليوم تخفق لفرق الشمس والقمر

وظلت « الرائد » تلتزم هذه السياسة والاتجاه وأخيرا لم يطق  
صبر الادارة البريطانية فابعدت رئيس تحريرها قليلات من السودان  
وخلفه فى تحريرها أحمد خريجي كلبية غردون وهو الشيخ حسين  
شريف الذى يعتبر بحق الصحفي السودانى الاول ثم توقفت عن الصدور  
عام ١٩١٩ م لقد كانت الرائد ترسل قيسا من النور ادى الى وعى  
سياسى وبداية للنهضة التى قادها الوطنيون قيسا بعد وبنا عليها  
سودانهم الجديد .

وكما أفاد السودان من بقاء الاساتذة المصريين بين ظهرانيهم مرة  
من الوقت نهلوا من فيض علمهم وتأثروا بأرائهم السياسية كذلك  
كان لوجود الضباط المصريين أثر واضح أيضا فى غرس بذور النهضة  
الوطنية فى السودان منذ أن انتقلوا الى السودان عام ١٨٩٨ م الى أن  
أبعدوا عنه عام ١٩٤٢ م خاصة الذين كانوا يتعاطفون مع الحركة الوطنية  
المصرية وكان منهم عدد كبير من أنصار الثورة العربية وأعضاء الحزب  
الوطنى وتروى الوثائق السرية أن قيادة الحزب المصرى انتقلت للضباط  
المصريين فى السودان بعد رحيل محمد فريد الى أوروبا وكان من قادة  
الحزب فى السودان البكباشى قطين والد الدكتور أحمد فطين الطيب  
المصرى المعروف وكان منهم الشاعر حافظ ابراهيم الذى قال عنه  
رصيفه أحمد شوقي فى مراثيه له :

(٦) د - جعفر محمد هلى يفتيت - الادارة البريطانية والحركة الوطنية ص ٤٣ .



يا مانح السودان شرح شجاعه  
ووليه في السلم والهيجاء  
لما نزلت على خمائله نسوى  
نبيع البيسان وراء نبيع المساء  
قلوبه السيف الحسام وزدته  
قلما كصبر الصعدة السمراء

وكان منهم محمد فتوح صديق البطل السوداني علي عبداللطيف  
رئيس جمعية اللواء الأبيض واحد قادة الحركة الوطنية في تاريخ  
السودان الحديث .

وكان منهم حمدي سسييف النصر الذي أصبح وزيرا للدفاع في  
حكومات الوفد والذي لم تنقطع صلته بالسودان وكان يعتبر أبا (١)  
للطلاب السودانيين في مصر . وكان منهم عبد الخالق حسن مأمور  
أم درمان ، وقد توفي فيها فبكاه السودانيون قاطبة لفضله ومواقفه  
الوطنية والإنسانية دفاعا عنهم ومؤازرة لهم وشيعت جنازته في موكب  
ضخم انتهى بمظاهرة صاخبة كانت تهتف بحياة مصر وسقوط  
الاستعمار البريطاني وكانت تلك المظاهرة بمثابة الشرارة للثورة الوطنية  
عام ١٩٢٤ م .

وكان منهم اللواء محمد فاضل متخرج الأزهر وكان أدبيا وشاعرا  
- ترك اللواء فاضل - أثرا محمودا في انعاش الحركة الأدبية والسياسية  
في مدينة عطبرة في شمال السودان مقر عمله آنذاك في سلاح المهندسين  
وعطبرة هي مدينة العمال والوظفين وهؤلاء هم الذين قامت على  
أكتافهم أول حركة عمالية مرهوبة الجانب كما كانت أحد معاقل مؤتمر  
الخريجين العام قائد الحركة الوطنية منذ الثلاثينات .

وعندما قام طلاب المدرسة الحربية السودانيون بمظاهرة حربية  
في الخرطوم في أغسطس عام ١٩٢٤ وقدموا للمحاكمة وقف اللواء  
فاضل مدافعا عنهم رغم ما كان يشيعه البريطانيون في جو رهيب .

لقد قامت في البلاد بطبيعة الحال حركة وطنية قوامها متخرجو  
المدارس بما فيهم ضباط الجيش وكانت تتجاوب مع الثورة المصرية

(١) د. إبراهيم الحردلو - الرباط الثقافي بين مصر والسودان ص ١١١ .

فقامت الجمعيات السياسية وحفلة البلاد بمظاهرات في كل مدن السودان وبالذات في الخرطوم تهتف بسقوط الاستعمار وتنادى بوحدة مصر والسودان واعتقل قادة الحركة وعلى رأسهم المناضل الضابط السوداني على عبد اللطيف . وفي ٩ أغسطس تحرك طلاب المدرسة الحربية في مظاهرة مسلحة نحو منزل على عبد اللطيف الذي كان معتقلا آنذاك وأدوا التحية العسكرية على شرفة ثم جابوا شسوارع الخرطوم وانتهوا الى السجن حيث كان على عبد اللطيف هناك وكانوا يهتفون بحياته وحياة مصر .

لقد كانت الادارة البريطانية تنظر بعين القلق والفرع من نشاط الموظفين والأساندة والضباط المصريين ونعاطفهم مع الوطنيين السودانيين وكانت تضع خططها لابعادهم جميعا من السودان وأنتها الفرصة مواتية حينما اغتيل السيرى سستاك حاكم السودان البريطاني وقائد الجيش المصرى في القاهرة في ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤ . قامت بريطانيا شروطا قاسية على مصر وأهمها سحب الجيش المصرى من السودان في خلال ٢٤ ساعة ثم أسرع اللورد اللينى المندوب السامى البريطانى في مصر فابرق حاكم السودان البريطانى لتنفيذ أمر الجلاء ولكن القائم مقام احمد رفعت قائد سلاح المدفعية المصرية رفض الاستجابة للامر وأصر أن يأتيه الأمر من ملك مصر .

وفي مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢٤ تحرك ستة ضباط سودانيين على رأس قوة قوامها ١٢٠ جنديا قاصدين الخرطوم بحرى للانضمام لسلاح المدفعية المصرى ولكنهم قبل أن يصلوا طوق الجيش البريطانى سلاح المدفعية المصرى وفتح جسر النيل الأزرق ليحول دون اتصال القوة السودانية بالمدفعية المصرية وتصدت قوة من الجيش البريطانى لهم وكان يقودها الجنرال هدليستون الذى أصبح حاكم السودان مؤخرًا فى الأربعينات وطلب من الفرقة السودانية أن تعود أدرجها الى ثكناتها ولكنها رفضت الأمر والتحمت مع القوة البريطانية وأصلتها نارا حامية محتمية بالمستشفى العسكري ولم يستطع الجيش البريطانى أن يقضى على الفرقة السودانية الا بعد أن استعمل الأنوار الكاشفة لتنبير للمدافع الثقيلة من ثكنات الجيش البريطانى . ولكن المقاتل السودانى كان يبتدى على مكان العدو من حيث أوهضت الأنوار الكاشفة فيقذف رصاصة عليه ويصيب من جنده مقتلا ولكن العدو ذك المستشفى العسكري دكا ويموت تحت الأنقاض قائد الفرقة السودانية عبد الفضيل

الماط وسلم ما بقي منها بعد أن نفذت ذخيرتها وقد وصف الشاعر حسين منصور تلك المحنة بقصيدة جاء فيها :

وقف الجيش وقفسة ليس تنسى  
وأجساد الوقوف عند اللقاء  
ضحكك الموت بينه ساعة العجز  
وحبسا ملوحسا بالقصفاء  
صائحا للامام صبيحة زهو  
صائحا للسوراء في الأعماق  
فاذا أومضوا لكشف وميض  
بسم الموت بسمه استهزاء  
ورأى المستجلى الطريق اليهم  
شاكرا أن هدوه بالاضواء  
يا لها ليلسة ويسوما عروسا  
تركا الشعب ساخطا للسماء  
يسأل الله رحمة ومغفرا  
كاملا في الحقوق حتى البقاء  
عساش أهل الجنوب أخوة مصر  
في الشجايا وعاش كل فدائي

وفي يوم ٢٨ نوفمبر وصل البكباشي أمين هيمى على طائرة جربية يحمل أوامر الملك فؤاد لقائد المدفعية بالانسحاب من السودان .

وفي ٥ ديسمبر نفذ حكم الاعدام بالقسرب من ثكنات الجيش البريطاني على الضباط حسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم وسليمان محمد واستبدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد على الضباط على البنا كما حكم غيايبا على الضابط السيد فرج بالاعدام اذ انهم لم يعثروا عليه ، وكان قد سبح على النهر وسافر متكررا الى مصر مع المدفعية المصرية .

وقد أشار لأولئك الشهداء الشاعر السوداني توفيق صالح جبريل فى قصيدة أرسلها لصديقه توفيق البكرى الذى هرع الى مصر قبل حوادث ١٩٢٤ مع لقيف من الطلاب السودانيين ليتلقوا العلم هناك جاء فيها :

توفيق : أين بشير (١) ؟ قد ضحيتها  
 وفقتنا السودان خير كفاح  
 هاجرنا والأمن غير ميسر  
 بريوعنا والعلم غير متاح  
 لا تبتئس أن المساءم أن تقس  
 متأملا لشبهة الأفراح  
 أعلمنا ما كان بعدكما وما  
 فعلت باهلينا يد السيف  
 اودى بأربعة (٢) صدور في الوعى  
 يا ويحهم القوا صدور رماح  
 وهضوا بسر الختم (٣) بعد صفيه  
 رب اللواء الأبيض الوضاح  
 للسجن للتشريد لا جبرية  
 ما اللود عن أوطانهم بجناح  
 أن خلد التاريخ ذكر بطولة  
 للعاملين فما لهم من ماحي  
 أما عن المعلمين المصريين والموظفين المدنيين الآخرين فقد أصدر  
 السكرتير الإداري البريطاني وكان بمثابة وزير الداخلية أمرا بطردهم  
 جميعا من الخدمة وإعادهم إلى مصر  
 ولم يسمح للمعلمين المصريين الدخول للسودان إلا بموافقة سلطات  
 الأمن وبعد أن يكتبوا تمهيدا للعمل في المدارس غير الحكومية وكان جل  
 أولئك المسجون لهم من المسيحيين المصريين  
 لقد كان المعلمون المصريون لا سيما الأزهريون منهم كما وصفهم  
 أحد (٤) المؤرخين السودانيين أعمدة التعليم في السودان .

(١) بشير هو بشير عبد الرحمن أحد الطلاب السودانيين الذي أتى مصر وتوفيق  
 البكرى والدودي أحمد السماعيل لتلقى التعليم في مصر .  
 (٢) الأربعة هم الضباط الذين حكم عليهم بالإعدام بعد ملحبتهم العسكرية في  
 نوفمبر ١٩٢٤ وفيهم الضابط الذي قاد الملحمة وقتل فيها .  
 (٣) سر الختم شقيق الشاعر وب اللواء هو المناضل علي عبد اللطيف .  
 (٤) شراد صالح شراد - تاريخ السودان الحديث ص ٢٢٢ .

## ● التعليم الدينى

### لجنة العلماء السودانين :

فى عام ١٩٠١ أى بعد سنتين من اتفاقية الحسكم الثنائى بين بريطانيا ومصر عين الحاكم العام البريطانى لجنة من بعض علماء السودان تكون مهمتهم استشارية له كما ورد فى الخطاب أدناه الذى أرسل لل أعضاء اللجنة .

#### حضرة :

انه نظرا لما أحرزتموه من ثقتنا بكم ووفوقنا بعالميتكم وفضلكم قد ارتحنا الى انتخابكم لتكونوا عضوا للجنة الرئيسية لجماعة العلماء فى جامع أم درمان التى يكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف فى الجامع المذكور وللنظر فى تقرير من يصلح للتدريس بهذا الجامع وفى شئون الطلبة فيه وتكون أيضا موضع استشارتنا ورؤساء الحكومة السودانية فقط فى الشؤون الدينية وكل ما يختص بالعلم والعلماء دون أن تكون مكلفة بأن تبتكر النظر فى أى موضوع من تلقاء نفسها بل متى عرض عليها من قبلنا أو من أى رؤساء الحكومة أمر من هذا القبيل كان عليها أن تحرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاقتضاء التى لها الخيار بموجب ما تقرره اللجنة وعلى اللجنة الا تهمل احاطة الحكومة السودانية علما بكل ما يحدث من الحوادث التى يهم الحكومة الاطلاع عليها دينية كانت أم علمية على السواء وبالأجمال بكل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم .

ولنا الأمل الوطيد في أن تقوموا بهذه المهمة التي عهدت إليكم  
أحسن قيام يكون من نتائجها ترقية شأن العلم وطلبه وصيانة الشعائر  
الدينية فإن ذلك هو الغرض الذي ترمى إليه الحكومة الساعية فيما فيه  
سعادة البلاد وأهلها .

تحريرا في الخرطوم في ١٣ يونيو ١٩٠١ م الموافق ٢٦ صفر ١٣١٩ هـ

### ونجيت

سردار وحاكم السودان العام

وتكوين هذه اللجنة من علماء الاسلام في البلاد والاستعانة بها في  
مهمتها التي انيطت بها يعيد الى الأذهان ما فعله محمد علي باشا حينما  
أرسل ثلاثة من علماء الأزهر كل يمثل مذهباً من المذاهب الثلاثة المالكي  
والشافعي والحنفي في مقدمة جيشه الذي غزا به السودان كما ذكرنا  
من قبل .

كانت لجنة العلماء تلك التي عينها الحاكم العام تتكون من الشيخ  
محمد البدوي رئيساً لها وقد ورد ذكره سابقاً .

ومن أعضائها :

### الشيخ النذير خالد :

وكان قاضياً للقضاة في آخر حكم المهدي ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ م )  
وقد تلقى علومه على الشيخ الأمين العزيز كبير علماء السودان آنذاك  
وعلى العالم الشيخ حسين المجدي الدمياطي متخرج الأزهر .

كان الشيخ أمين قراعة قاضي القضاة المصري في السودان يزور  
الشيخ النذير مراراً ويشهد بعضاً من دروسه ويصر على الجلوس مع  
الطلاب ويروي أنه كان يقول « لم أر رجلاً عالماً مثل الشيخ النذير » .  
اتصل بالامام محمد عبده عند زيارته للسودان وناقشه في كثير من  
المسائل الفقهية .

### الشيخ محمد عبد الماجد :

درس على عدد من العلماء فقد حفظ القرآن عسى أبيه الشيخ  
عبد الماجد في سنار ومنهم العالم أحمد بن ابراهيم بن عيسى الأنصاري  
ومن العلامة الشيخ محمد ود الجيل العمراوى اللذين ورد ذكرهما ومنهم

الشيخ عبد الله الخراساني من تلاميذ جمال الدين الأفغاني وكان الشيخ محمد يتولى السفر للأزهر ولكن ظروفًا عائلية حالت دون ذلك .

بنى الشيخ محمد عبد الماجد جامعًا في أم درمان وكان يدرس فيه العلم وتخرج عليه عدد كبير من علماء السودان ولم ينقطع عن التدريس أبداً إلى أن توفي عام ١٩٢٩ . كان يدرس شرح العلامة الدردير على مختصر خليل المالكى وكان يختتمه للطلاب مرة كل سنة كما كان يدرس ألفية بن مالك في النحو من شرح بن عقيل ويعقبها أحياناً بشرح التلخيص والسموكتية والجواهر المكنون في علم البيان وأحياناً يشرح جمع الجوامع في علم الأصول وبالتهذيب في علم المنطق والكافي في علمي العروض والقوافي ويشرح نظم المقولات للعلامة السباعي وكان يدرس الرسالة بشرح أبي الحسن وتفسير الجلالين بحاشية الصاوي وكان أيضاً يدرس كتباً في فقه الشافعية والحنفية وغيرها واستمر جامعاً هذا يتوافد عليه الطلاب إلى يومنا هذا وقد تولى بنوه التدريس فيه من بعده وخاصة ابنه العلامة الراحل الشيخ خليل .

#### الشيخ إبراهيم شريف الدولابي :

الذى سبق ذكره آنفاً .

#### الشيخ محمد الأمين الضريو :

وهو ابن الشيخ الأمين الضريو كبير علماء السودان في آخر فترة الحكم التركي درس الشيخ محمد على العالم المصرى الأزهرى الشيخ حسين المنجدى الدمياطى فى الخرطوم وعلى الشيخ محمد البدوى متخرج الأزهر وشيخ الإسلام فى السودان وكان عالماً فى الفقه والتفسير والنحو والبالغة والميراث وكان كثير الشبه بوالده الشيخ الأمين الضريو ويقال انه لو ولد فى زمن مضى وعاصر فقهاء المدينة لراد عددهم به وقد وصفه أحد الشعراء (١) فى قصيدة منها :

والى محمد انتهى علم الكتاب وكان فى كل العلوم اماماً

وقد درس عليه عدد كثير من العلماء منهم ابنه الشيخ الأمين أستاذ

---

(١) إبراهيم عبد الرزاق شيخ الإسلام الفكى الأمين الضريو ص ٦٢ .

الشرية فى الجامعة الاسلامية والقاضى يوسف ابراهيم التور أحد علماء  
السودان الأقداد .

#### الشيخ الباهر اسماعيل الولى .

وقد تلقى تعليمه على والده الشيخ اسماعيل صاحب الأثر المحمود  
فى نشر العلم فى غرب السودان وجبال التوبة .

كان كل واحد من هؤلاء العلماء يقيم معهدا فى بيته للتدريس مثلما  
كانت العادة الجارية فى السودان منذ عدة قرون وقليل من العلماء من  
كان يدرس فى المسجد .



## ● المعهد العلمى بالسودان

رأت تلك اللجنة المختارة من العلماء أن ترسل بعوثا سودانية الى الأزهر لزيادة حصيلة الطلاب من العلم ليعودوا لبلادهم ويتولوا مهنة التدريس فيها غير أن الحاكم البريطانى والجنرال ونجت لم يكن راضيا على هذا الرأى اعتقادا منه بأن ذهاب السودانيين للأزهر وتلقيهم الدراسة هناك قد يجعلهم يتشربون بأراء وأفكار معادية للإدارة البريطانية فى السودان ولكنه مع ذلك كان يفضل إرسالهم الى الأزهر عسى أن يؤتى بعلماء مصريين من الأزهر للتدريس فى السودان وأخيرا اتفق على حل وسط وهو إعادة تنظيم وتطوير التعليم الدينى بجامعة أم درمان الكبير .

وبعد وفاة الشيخ محمد البدرى عام ١٩١١ م خلفه فى شياخسته العلماء الشيخ (١) أبو القاسم أحمد هاشم الذى درس فى الخرطوم على العالم الأزهرى المصرى الشيخ حسين المجيدى الذى ورد ذكره مرارا آنفا . وعند قيام الثورة المهدية انتحق بها ثم عين كاتباً وكاتماً لأسرار قائدها المهدي والخليفة عبد الله من بعده .

وبعد سقوط دولة المهدية وقيام الحكم الثنائى على البلاد عين قاضياً شرعياً وزيادة على ذلك كان يعلم الناس ويدرسهم العلوم الاسلامية فى وقت فراغه وراحته . والشيخ أبو القاسم فضلا عن علمه الجم كان أدبياً وشاعراً يشار اليه بالبينان . كان أول عمل قام به الشيخ أبو القاسم

---

(١) عن تاريخ الشيخ ابي القاسم واجع القائل فى اخبار وآثار شيخ الاسلام ابي القاسم أحمد هاشم لابنه عبد الحميد ابي القاسم .

فى منصبه الجديد شيخنا للعلماء ان جمع أولئك الذين كانوا يقومون بالتدريس فى منازلهم أو فى مساجد متفرقة جميعهم فى جامع أم درمان الكبير ودعا طلاب العلم لأن يؤموه ويدرسوا فيه على أولئك المعلمين وأصبح يطلق عليه المعهد العلمى ثم استصدر لائحة لتنظيم الدراسة فيه مقتبسا لها من لائحة الأزهر الشريف ووضع منهج الدراسة على غرارها وبذلك قررت دراسة جميع العلوم التى تدرس فى الأزهر فى مختلف المراحل وقد استعان الشيخ أبو القاسم بالشيخ محمد شاكر الذى كان قاضيا لقضاة السودان ( ١٩٠٠ - ١٩٠٤ م ) ثم عاد الى مصر وكيلًا للأزهر .

كانت الإدارة البريطانية فى السودان تحرم على السودانيين الذهاب الى مصر لتلقى العلم هناك كما لم تسمح لعلماء الأزهر من المصريين بالتدريس فى المعهد العلمى وقد ظل المعهد العلمى منذ انشائه عام ١٩١٢ مغلقا دون الأزهر بالرغم من إلحاح الشيخ أبى القاسم شيخ العلماء ومنشئ المعهد .

ثم خطا الشيخ أبو القاسم خطوة أخرى وهى انشاء مكتبة عربية للمعهد ولما لم تكن الإدارة البريطانية توافق له بالاتصال مع مصر أو عز لابته مدثر أبى القاسم الطالب بالأزهر آنذاك أن ينشر نداء مديلا باسمه يهيب بالمصريين خاصة وبالمسلمين عامة للمساهمة فى انشاء المكتبة . فعلا نشر الطالب مدثر النداء باسمه فى مجلة المقطم وسرعان ما تدفقت الكتب النفيسة من الهيئات المصرية والأفراد الكرام . كانت أول دفعة منها ٨٢١ مجلدا بعثت به الجمعية الخيرية المصرية واستمر تدفق الكتب النفيسة للمعهد منذ ذلك الوقت حيث حفلت المكتبة اليوم بمئات المجلدات .

تخرجت أول دفعة من حملة الشهادة العالمية عام ١٩٢٤ فى عهد الشيخ أبى القاسم واستمر المعهد العلمى يؤدى رسالته العلمية رغم الصعوبات والعواقب ويتخرج منه فوج اثر فوج . . ثم أنشئت معاهد اقليمية فى أنحاء القطر بفضل همة شيخ المعهد آنذاك الشيخ أبى دقن وتعاون قضاة القضاء المصريون فيما بعد وخاصة الشيخ حسن مأمون . لقد بلغ عدد هذه المعاهد اليوم أكثر من مائة معهدا .

فى عام ١٩٣٦ بعث طلاب المعهد بمذكرة يطالبون فيها باصلاح المناهج الدراسية وارسال البعث الى الأزهر والاستعانة بمدربين

مصريين من الأزهر ليقوموا بمهمة التدريس فيه وبناء أروقة لهم لسكن الطلاب القادمين من الأقاليم ولكن مذكرتهم لم تلق استجابة من قبل السلطات مما دفع الطلاب للقيام باضراب عن الدراسة .

وعندما اشتد ساعد الحركة الوطنية أولى قادتها اهتماما خاصا بالتعليم وحظي التعليم الديني والمعهد العالمى بتنصيب كبير من ذلك الاهتمام فقد كان المعهد العلمى فى نظر أولئك القادة مركزا اسلاميا كبيرا بل المؤسسة الدينية المركزية لكل القطر .

رفع مؤتمر الخريجين العام وكان التنظيم السياسى الرئيسى فى البلاد مذكرة فى يوم ٢٦ أبريل عام ١٩٣٩ نادى فيها باصلاح المناهج ومنح الطلاب شهادة عالميه كشهادة الأزهر والاتصال المتين بالأزهر (١) الشريف وتشريد بيت لسكن الطلاب وقيام لجنة عليا لإدارة المعهد وأخيرا اقترحت المذكرة الاتصال بالأزهر ليتولى إدارة المعهد والصرف عليه اذا لم تستطع الحكومة الاستجابة لتلك المطالب - كذلك تحرك طلاب المعهد ومشيعته يؤيدون مذكرة المؤتمر كما بعث علماء السودان بمذكرة تشمل نفس المطالب تقريرا ولم يكن أمام الحكومة الا أن تهتم بتلك المذكرات فقبلت مبدئيا بعض ما جاء فيها كاعادة تنظيم المعهد وتعيين لجنة لإدارته ومضاعفة الميزانية المخصصة له والاستعانة بمدرسين من الأزهر ولكنها رفضت اقتراح بناء بيت للطلاب كما رفضت رفضا باتا أن يكون المعهد العلمى تابعا للأزهر مثلما اقترحت مذكرة المؤتمر .

وفى عام ١٩٤٣ انتدب فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله الأستاذ السودانى فى كليات الأزهر للعمل فى القسم العالى بالمعهد ولماؤة شيخ علماء السودان على النهوض بالحركة التعليمية فيه . استمر الشيخ محمد المبارك يضطلع بمهمته فى مساعدة شيخ العلماء منتدبا من الأزهر الشريف منذ عام ١٩٤٣ الى عام ١٩٥٣ وقد ظهر جليا أثر الشيخ المبارك فى تقدم المعهد العلمى ونهضته الحديثة .

وفى هذه الفترة من الزمن وعلى اثر مطالب الحركة الوطنية واهتمامها بشئون المعهد العلمى قدمت السودان فى أواخر عام ١٩٤٧ بعثة مصر مكونة من خمسة من أوائل الشهبادات الأزهرية وخيرة مدرسيه للعمل بالتدريس فى المعهد العلمى . وكانت أول بعثة علمية

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم فى السودان ص ٢٨٦ .

للمعهد أى بعد أكثر من ثلاثين عاما من انشائه عام ١٩١٢ وانفتح الباب  
الذى ظل مغلقا أمام أساتذة الأزهر للعمل فى السودان فتوالت عليه  
بموت الأزهر -

وفى عام ١٩٥٦ أعيد انتخاب الشيخ المبارك من الأزهر الى المعهد  
العلمى شيخا للعلماء وفى عهده تطور المعهد وخططا خطوات واسعة  
فى سبيل التقدم ويعتبر الشيخ المبارك الثانى اثنين من علماء السودان  
اللذين لهما الفضل الأكبر فى تاريخ المعهد العلمى هذه المؤسسة الدينية  
الكبرى هما الشيخ أبو القاسم مؤسس المعهد وواضع لمبنته والشيخ  
محمد المبارك عبد الله صاحب اصلاحه وتطوره وشموخه حتى أصبح  
جامعة اسلامية كبرى .

لقد تولى مشيخة العلماء فى السودان أصحاب الفضيلة :

- الشيخ محمد البدوى من عام ١٩٠١ الى ١٩١١
- « أبو القاسم أحمد هاشم مؤسس المعهد من ١٩١٢ الى ١٩٣٢
- « أحمد محمد أبو دقن من ١٩٣٢ الى ١٩٣٨
- « أحمد الهاشمى دفع الله منتدبا بالانابة من ١٩٣٨ الى ١٩٤٣
- « أبو شامة عبد المحمود من ١٩٤٣ الى ١٩٥١
- « هاشم أبو القاسم من ١٩٥١ الى ١٩٥٥
- « الأمين محمد الأمين الضرير بالانابة من ١٩٥٥ الى ١٩٥٦
- « محمد المبارك عبد الله من ١٩٥٦ الى ١٩٦٣

وكلهم أما تخرجوا فى الأزهر كالشيخين محمد البدوى وهاشم  
أبى القاسم ومحمد المبارك عبد الله أو ممن درسوا على متخرجين من  
الأزهر كبقية الشيوخ الأفاضل - وجدير بالذكر كان شيخ العلماء هو  
فى نفس الوقت شيخ المعهد العلمى .

وهكذا أخذ المعهد العلمى ذلك الطور الشامخ يحمل المشعل ويؤدى  
رسائله العلمية ويتخرج فيه من نواحي البلاد وعلمائها رجال تباؤوا  
منزلة كبرى فيها وأسهموا فى نهضة الوطنية والثقافية كالأزهر تماما  
وليس هذا هو الحال لاحصاء أولئك فمدرسو اللغة العربية والدين فى  
المدارس الثانوية والكثير من مديريها وبعض القضاة الشرعيين وكتبة  
الحاكم وغيرهم من خريجي المعهد .

وفى كل أطوار تقدم المعهد منذ انشائه كان لأصحاب الفضيلة العلماء المصريين الذين شغلوا منصب قاضى القضاة دور ملحوظ خاصة الشيوخ محمد شاكر ومصطفى المراعى وحسن مأمون وظلوا على اتصال به حتى بعد مغادرتهم البلاد اذ كانوا يقدمون له كل عون من هناك .

ومن هنا يتضح لنا جلليا أثر الأزهر ومتخريجيه وبعوثه العلمية فى تقدم المعهد والحركة الدينية فى السودان واني لانقل بالحرف الواحد ما كتبه العالم (١) السودانى الأزهرى محمد المبارك عبد الله فى كتابه « مذكرات وذكريات فى معهد أم درمان العلمى - طالبا واستاذا وشيخا للعلماء » عن أثر البعوث الأزهرية فى نهضة المعهد .

... كانوا أهم العوامل فى نهضة المعهد الحديثة وتطويره الى جامعة أسهموا فى تعديل المناهج وطرق التدريس ونظام الامتحانات وادخلوا الأعمال التحريرية والتطبيقية وانعشوا المحاضرة والخطابة والانشاء وأفاد المعهد منهم خيرا كثيرا - وأفاد منهم شباب المدرسين الذين آخوهم وأحبوهم وتعاونوا على رفع مستوى الدراسة بالمعهد فضلا عن طلاب المعهد كما أفاد المجتمع السودانى منهم ثقافة عامة فى المعارف الاسلامية والعربية وتوجيها وتوعية وبصيرة بالدين ومقاصده بما كان لهم من محاضرات وندوات فى الأندية وأحاديث ودروس فى الاجتماعات الخاصة وبما كان لهم فى الصحافة والاذاعة من مقالات وكلمات ثم توالى البعث بعدهم من الأزهر واتصل المعهد به اتصالا وثيقا » .

هذا ولم تقف وسائل المعهد العلمى على السودان وحسب بل وفد اليه طلاب العلم من كثير من البلاد الافريقية من الصومال ويوغتندا والاستغال والسودان الغربى وأثيوبيا وارترىا ودرسوا فيه وارتقوا من متله وعادوا الى بلادهم ينقلون علمهم وخبرتهم لأهلهم هناك وحقيقة كان السودان منذ القرن السادس عشر الميلادى قبلة لطلاب العلم فى جوامعه وخلابه من البلاد الأفريقية المجاورة .

---

(١) محمد المبارك عبد الله . مذكرات ص ٥٠ .

## ● جامعة أم درمان الإسلامية

أخذ معهد أم درمان العلمى يسير خطوة الى الأمام تلو الأخرى منذ انشائه عام ١٩١٢ كما ذكرنا حتى اكتملت له مراحل الثلاثة - الابتدائية والثانوية والعالية وكان منذ انشائه يستوى الأزهر الشريف ويستمد من قيضه الشر فأصلح برامجه التعليمية وما قتيه يعمل على تطوير القسم العالى الى كليات للتخصص فى شتى فروع الثقافة الإسلامية فأنشأ عام ١٩٥٧ قسمين ، أحدهما للتشريعة الإسلامية وآخر لغة العربية مستعينا بأساتذة أجلاء من علماء الأزهر الشريف وما لبث القسم العالى أن تطور الى كلية إسلامية عام ١٩٦٣ م ثم ارتقى فأصبح جامعة إسلامية وقد حدد قانونها الصادر عام ١٩٧٠ م وظيفتها فى الآتى : (١) .

١ - تعمل الجامعة الإسلامية على بناء الذات السودانية بدراسة التراث العربى الإسلامى واثراء الحياة السودانية بمحتويات الحضارة العربية الإسلامية وتوظيف خصائصها لخدمة المجتمع السودانى ودراسة اللغة العربية وعلومها .

٢ - تقوم الجامعة بتدريس الطلاب للقيام بأية واجبات تخصصية فى ميادين اللغة والدين والقانون والإدارة وفى الدور الذى يخصه لها المجلس القومى .

---

(١) تكملة إلى الجامعة الإسلامية .

٣ - تقوم الجامعة في إطار برامج الدولة بالبحث الأكاديمي والنظر في قضايا المجتمع من خلال المطلقات الفكرية الإسلامية المتفاعلة مع احتياجات البيئة .

٤ - ترمي الجامعة في إطار خط الدولة حركة نشر وأحياء التراث الإسلامي في القارة الأفريقية وتقيم روابط التعاون مع مختلف المؤسسات النظرية في العالم الإسلامي .

وهكذا قامت جامعة أم درمان الإسلامية وكان للأزهر وإساتذته فضل وافر لا يحصى وتحققت بذلك الأمنية التي كانت تعمل في ضمير الأمة والتي كان أول من نادى بها فضيلة الشيخ محمد الأمين قاضي القضاة المصري على السودان ( ١٩١٩ - ١٩٣٢ ) منذ عام ١٩١١ في خطاب أرسله لفضيلة الشيخ أبي القاسم أحمد هاشم عندما عين شيخاً للعلماء السودان وكانت تربطه به صداقة ومودة يقول الشيخ قراعة في خطابه :

« أهنيك بالمنصب الذي صادف أهله وكانى انظر اليك في مقر الأيام القريبة وقد انشأت بالسودان جامعة إسلامية على غرار الأزهر الشريف تمد هذا البلد بعلماء شريوا من منهل الملب الصافي وتطوا بإخلاقك أخلاق العلماء (١) » .

هذا وقد اختير الدكتور كامل الباقر أول مدير للجامعة الإسلامية وهو حفيد الشيخ اسماعيل الولي ومن أسرة درس إقطابها في الأزهر كما ذكرنا وكان والده مدرسا في معهد أم درمان العلمي ، كما درس هو نفسه في ذلك المعهد وتخرج في كليات الأزهر وواصل تعليمه في كليات بريطانيا حيث حصل على الدكتوراه - لقد وضع الدكتور كامل الباقر أسسها وتقاليدها ودفع بها قدما حتى أصبحت اليوم جامعة كبرى مثل مثيلاتها في السودان والبلاد الأخرى .

---

(١) عبد الحميد أبو القاسم - النفائس في أخبار وآثار شيخ الإسلام أبي القاسم أحمد هاشم .

## ● يد الأزهر البيضاء تمتد الى نيجيريا عبر السودان

### العلماء السودانيون فى كانو

لم يقتصر اثر كلية غردون وفضل أساتذتها المصريين فى توجيه الطلاب السودانين توجيهها علميا صحيحا ابانه ليس ثمة تعارض بين الدين والتعليم النظامى العلمانى ولا على فتحها لأفاق جديدة نحو الثقافة الاسلاميه ولم يقف ذلك الاثر على السودان بل امتد ليستظل بظله المسلمون فى نيجيريا .

كان هناك تشابه كبير بين السودان ونيجيريا فالمسلمون أغلبية فى كلا البلدين ويسكنون مناطق معروفة ثم كان البلدان يرزحان تحت سيطرة الحاكم البريطانى كما شسهد تاريخهما ثورات دينية جادة اتخذت طابع الجهاد باسم الدين ففى غرب أفريقيا وشمال نيجيريا قامت ثورة الجهاد التى أعلنها عثمان ذاك فوديو وسلالته من بعده فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كما نشبت ثورة مماثلة فى السودان بقيادة محمد أحمد المهدي فى آخر القرن التاسع عشر .

وعلى مر الأجيال كانت الصلة قوية بين السودان ونيجيريا وغرب أفريقيا فقد كانت جموع الحجيج تأتى منها ميممة الأراضى المقدسة عبر السودان وكان منهم من أقام فى السودان كما كان بعض من العلماء السودانيين من سنار يذهبون الى هناك بدعوة من سلاطينها وحكامها ليعلموا الناس تعليما دينيا ولذلك ظل السودان منذ تاريخه القديم والى



يومنا هذا أحد مجارى الثقافة الى غرب أفريقيا وكانت وما زالت الهجرة منه  
واليه وغيره قائمة اما طلبا للعلم أو السفر الى الاراضى المقدسة وغيرها  
من الأسباب .

وعندما وقعت نيجيريا تحت نير الحكم البريطانى قطع (١) الحكم  
المستعمرون عهدا مع المسلمين فى نيجيريا على الا يتدخلوا فى شئونهم  
الدينية وألا يسمحوا للتبشير المسيحى ليقوم بنشاط، فى بلادهم خشية منهم  
أن تنشب ثورات دينية أخرى وتتأثر مصالح بريطانيا الاستعمارية من  
جرائها وكانوا قد طبقوا عليهم سياسة الحكم غير المباشر التى ابتدعها  
اللورد فردريك لوقارد الذى كان حاكما عاما على نيجيريا .

وبعد الاتفاق بين الإدارتين الاستعمارية فى السودان ونيجيريا  
رؤى ان يستفاد من خبرة المعلمين والقضاة السودانيين الذين تخرجوا فى  
كلية غردون فى اللغة العربية فارسلت أول بعثة من المعلمين وكانت تتكون  
من السادة الأساتذة محمد عثمان ميرغنى وعبد العال حمور ومحمد نور سيد  
أحمد وكان كل هؤلاء الأساتذة من الذين تلقوا علومهم على يد معلمين  
مصريين متخرجين من الأزهر .

اضطلعت تلك البعثة بوضع أسس تعليم نظامى علمانى تدرس فيه  
العلوم العصرية جنبا الى جنب مع دروس اللغة العربية والدين وكان  
المواطنون هناك يدرسون علوما دينية فقط على أيدي مهاجرين أفريقيين  
وعلى أسس بدائية .

عادت البعثة السودانية بعد أن أدت مهمتها بنجاح وقد شددت اليها .  
اهتمام السكان فى نيجيريا الذين طالبوا ببعثات أخرى . ثم ارسلت  
بعثات قوامها قضاة شرعيون من السودان منذ عام ١٩٣٤ الى منتصف  
الستينات .

كانت البعثة الأولى تتكون من أصحاب الفضيلة البشير الریح  
ومحمد صالح سوار الذهب والنور التتقارى وهؤلاء جميعهم من متخرجى  
مدرسة القضاء الشرعى فى كلية غردون التى اقترح فكرتها فضيلة الشيخ  
محمد شاكر قاضى القضاة المصرى ( ١٩٠٠ - ١٩٠٤ ) وقده درس هؤلاء

---

(١) د. حسين إبراهيم حسن . انتشار الاسلام فى القارة الأفريقية ص ٢٥٤ نقلا  
عن تاريخ نيجيريا لبرنز .

القضاء على أساتذة مصريين من الأزهر هم الشيوخ الجداوى والشرقاوى  
والمراعى أخو الشيخ مصطفى المراعى .

وتوالت بعثات القضاء الشرعيين الى شمال نيجيريا وظل الشيخ  
البشير الريح قطب رحاها منذ عام ١٩٣٤ . وثقة فى تلك البعثات واعتراقها  
بفضلها اختير أحد أفرادها وهو الشيخ عوض محمد أحمد ليصبح قاضى  
لقضاة شمال نيجيريا .

لقد أدت تلك البعثات مؤامتها بجه وإخلاص مما جعل سكان شمال  
نيجيريا يلهجون يذكروهم والثناء عليهم مثل ما فعل السودانيون مع  
أساتذتهم المصريين . كما ذكرنا فى مجال آخر . لقد فتحو فى مدينة  
كانو مدرسة العلوم العربية تدرس فيها اللغة العربية والشريعة الإسلامية  
والدين ليتخرج منها قضاة للمحاكم الشرعية ومدربين للغة العربية والدين  
فى المدارس الحكومية وأصبح بفضل تلك المدرسة كل قضاة شمال  
نيجيريا ومدرسىها من خريجيها وأوقف تعيين المهاجرين والعلمين  
المحليين .

لقد أدى المعلمون والقضاة السودانيون الذين درسوا فى كلية غردون  
فى الخرطوم على أيدي علماء مصريين من الأزهر نفس الدور الذى قام به  
العلماء المصريون فى السودان . وهو التوفيق بين الدين ومطالب الحياة  
العصرية وهذا هو جوهر دعوة الامام محمد عبده وغدت بذلك كانوا عاصمة  
نيجيريا مركزا من مراكز الثقافة الإسلامية فى غرب أفريقيا بعد ان تأهل  
علماءها وتسلموا الأمانة بأنفسهم .

## ● احصائية عددية عن الطلاب السودانيين في الأزهر

أقبل الطلاب المسلمون على الأزهر باعتباره قبلتهم العلمية وكما  
قال شوقي :

ان الذى جعل العتيق مشابه جعل الكنانى المبارك كوثرا  
العلم فيه منساهلا ومجانيسا ياتى اليه النزاع يبتغون القرى  
يافتية المعهور سسار حديثكم ندنا بافواء الدروب وعنبوا

لا نعرف على وجه التحقيق تاريخ دخول السودانين للأزهر حيث  
لا تتوفر أدنى معلومات عنهم وعن غيرهم من الطلاب الوافدين ولكنهم منذ أن  
عرفوا طريق الأزهر وفدوا اليه وجاوروه وكان مما شجع هؤلاء المجاورين  
وإؤلئك من البلاد الإسلامية بناء أروقة أعدت لسكن الطلاب البعيدين من  
القاهرة والوافدين من البلاد الأخرى . ولعل أقدم حديث عن أولئك  
الطلاب وأروقتهم ما جاء فى خطط المقرئى فى القرن التاسع الهجرى -  
الخامس عشر الميلادى ، فقد ذكر أن عدد الطلاب الفقراء الملازمين للمسجد  
بلغوا فى عهده ٧٥٠ طالبا وهو هنا يشير فقط للفقراء الذين تضطروهم  
ظروفهم للمجاورة فى الأزهر - ثم لا نجد أى معلومات عنهم الا ما ورد فى  
كتاب الذيل للمقرئى تأليف عبد الحميد تافع فى القرن التاسع عشر  
فى معرض ذكره عن الأروقة وعند طلاب كل رواق والخبز المخصص لكل .

وعن السودان ذكر فى الذيل على المقرئى أن عدد طلابه ٨٥ طالبا  
٥٠ طالبا فى رواق سنار و ٣٥ فى رواق الدكارنه ويقصد دارفور .

لم تستطع الحصول على إحصائية كاملة بعدد الطلاب السودانيين في الأزهر منذ أحمد بهيود فقد كانت حلقسات الدراسة مفتوحة لكل طالب ولم تكن هناك سجلات تقيد عدد الطلاب والإحصائيات أدناه توضح عدد الطلاب السودانيين المقيد في سنوات متفرقة وهي بالرغم من أنها لا تحوى سجلا كاملا لعددهم إلا أنها تلقى ضسوها على كثرتهم مقارنة بالطلاب العرب من البلاد الأخرى .

في عام ١٩٤٣ بلغ عدد الطلاب المقبولين في (١) المدارس المصرية كالآتي :

٣٦ طالبا في الجامعة  
٩٥ المدارس الثانوية  
٤٦٣ الأزهر

---

٥٩٤ المجموع

وفي عام ١٩٤٥ أسست الحكومة المصرية بيتا لإقامة الطلاب السودانيين في القاهرة مع منحهم إعانات شهرية مما شجع الشباب السوداني للهجرة الى مصر طلبا للمعلم وكان عددهم .

٢٩٨ في جامعتي فؤاد وفاروق ( القاهرة والاسكندرية اليوم )  
٢٥ المعاهد العليا  
٤٦٦ الأزهر

---

٨٧٨ (٢) المجموع

---

(١) محمد عمر بشير - تطور التعليم في السودان ص ٢٦٩ .  
(٢) نفس المصدر ص ٣٠٧ .

عدد الطلاب الوافدين  
على الأزهر الشريف

من البلاد العربية والبلاد الأخرى

نسبة السودانيين	مجموع الوافدين	البلاد الأخرى	البلاد العربية	السودان	العام
٪٣٩ر٢٥	٢٥٤٨	٦٤٦	٩٠٢	١٠٠٠	٥٢/٥١
٪٤٥ر٦٥	٢٨٤٨	٦٤٦	٩٠٢	١٣٠٠	٥٣/٥٢
٪٥٩ر١٦	٤٠٨٢	٧٥٥	٩١٢	٢٤١٥	٥٤/٥٣
٪٥٦ر٨٩	٤٢٩١	٨٣٢	١٠١٨	٢٤٤٩	٥٥/٥٤
٪٤٥ر٥٥	٣٢٩٣	٧٨٤	١٠٠٩	١٥٠٠	٥٦/٥٥
٪٤٨ر٨٣	٣٠٧٢	٨١٥	٧٥٧	١٥٠٠	٥٧/٥٦
٪٤١ر١٢	٢٥٢٧	٧٨٨	٦٣٤	١١١٥	٥٨/٥٧
٪٣٧ر٥٥	٢٧٨٨	١٠٠٦	٧٣٥	١٠٤٧	٥٩/٥٨
٪٣٥ر٩٧	٢٩٣٠	١٠٨٢	٧٩٤	١٠٥٤	٦٠/٥٩
٪٣٢ر٣٥	٣٠١٧	١١٨٧	٨٥٤	٩٧٦	٦١/٦٠
٪٢٧ر٥٣	٢٧٢٥	١٢٠٥	٧٨٧	٧٣٣	٦٢/٦١
٪٢٠ر٩٤	٢٨٨٤	١٤٤٤	٨٣٦	٦٠٤	٦٣/٦٢
٪١٨ر٣٩	٣٦٢٦	١٩٦٨	٩٩٤	٦٦٤	٦٤/٦٣

ويلاحظ تناقص عدد الطلاب السودانيين منذ عام ٥٧/٥٦ إذ كان عددهم ١٥٠٠ إلى ٦٦٤ في عام ٦٤/٦٣ والسبب في ذلك تحويل بعضهم إلى المعاهد الدينية التي افتتحت في السودان آنذاك .

(١) الأزهر تاريخه وتطوره - الأوقاف - ص ٥٧٠/٥٧٤ .

## الطلاب السودانيون وغيرهم

جامعة الأزهر  
عام ١٩٦٣/١٩٦٤  
كلية الشريعة

المجموع	الفرق الدراسية				
	(٤)	(٣)	(٢)	(١)	
٧٦	٢٦	٢٧	١٩	٤	السودان
١٢٦	٢٦	١٦	٤٤	٤٠	الدول العربية
١١٣	٢٣	٣٤	٢١	٣٥	دول أخرى
٣١٥	٧٥	٧٧	٨٤	٧٩	

نسبة الطلاب السودانين لطلاب البلاد العربية = ٦٠٪

نسبة الطلاب السودانين لكل الطلاب الوافدين = ٢٤٪

### كلية الدراسات العربية

٢٢٥	٥٨	٥٢	٧٢	٤٣	السودان
١٤١	١٤	٢٨	٤٨	٥١	الدول العربية
٢٨	٤	٢	٤	١٨	دول أخرى
٣٩٤	٧٦	٨٢	١٢٤	١١٢	

(١) الأزهر - تاريخه وتطوره - ص ٥٧٧ .

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ١٥٩٥٪

نسبة الطلاب السودانيين لكل الطلاب الوافدين = ٥٧٪

### كلية أصول الدين

السودان	١٩	١٢	٥	١٦	٥٢
الدول العربية	١١	٣	٢	١	١٧
دول أخرى	٢١	١١	١٩	١٥	٦٦
	٥١	٢٦	٢٦	٣٢	١٣٥

نسبة الطلاب السودانيين لطلاب البلاد العربية = ٣٠٥٨٪

نسبة الطلاب السودانيين للطلاب الوافدين = ٣٨٥٪

بلغ عدد الطلاب السودانيين في عام ٨٣/٨٢ في كليات الأزهر -  
علمية ونظرية - ١٢٤٥ طالبا .

ومن الملاحظ ان عددا كبيرا من الطلاب السودانيين تلقوا ويتلقون العلم في الأزهر منذ القدم والى يومنا هذا ولعله مما يلفت النظر النسبة الكبرى للطلاب السودانيين بالمقارنة مع غيرهم من الطلاب فقد ظل الأزهر كعبة العلم يهاجر اليها الطلاب من السودانيين وظلت مصر كطبعها دائما ابدا تفتح زراعيها خانية عطوف لهم ولغيرهم في أزهرها ومعاهدها العلمية .

هذا ويخصص الأزهر زيادة على ذلك متعا دراسية للطلاب السودانيين من الجنوب وجبال النوبة وهي المناطق التي يغلب على أهلها الوثنية وقليل منهم المسيحية حيث تقوم الرسائل المسيحية بنشاط وافر هناك .

والآن ينتظم الطلاب الوافدون بما فيهم السودانيون في الدراسة ويقومون في مدينة انشئت خصيصا لاقامتهم وانتقالهم من الازقة العتيقة ولا يخفى على القارئ الأثر الكبير الذي تحدثه هذه المدينة في لم شملهم وتعاونهم وتعارفهم في مجتمع علمي مثالي وبذلك تخدم غرضا اسمى وهو تدعيم الروابط بين الشعوب وتوثيقها .

أقبل الطلاب السودانيون في الأزهر على الدرس والتخصص سبيل  
بجد واجتهاد منذ أن عرفوه والتحقوا به . ووصفت مجلة الوقائع المصرية بعض  
الذين كانوا يترددون عليها فهم بانهم غاية التهذيب والتجابه والاستقامة .  
وكذلك ما جاء في الانجازات التي منحها لهم أساتذتهم من علماء الأزهر .  
كما قال عنهم أستاذ مصري (١) :

« والحق أنه كلما حدث أى اتصال بين أبناء السودان وغيرهم من  
متقفي أبناء العرب كان الأولون سباقين للاستفادة والتعليم . . . . .  
هذا وقد تولى بعض منهم مهنة التدريس في الأزهر نذكر منهم على  
مختلف العصور .

#### الشيخ محمد بن أحمد البدوي (٢) :

وهو حفيد الشيخ عيسى بن بشارة الانصارى الخرجى عميد الأسرة  
المعروفة في أرض الجزيرة في الاقليم الأوسط في السودان . كان الشيخ  
محمد ووالده الشيخ أحمد البدوي يواصلان دراستهما معا في الأزهر على  
علمائه ونذكر من أولئك العلماء الشيخ إبراهيم الباجورى الشافعى شيخ  
الأزهر المتوفى عام ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م والشيخ أحمد جيل الحنفى  
والشيخ عليش المالكى المتوفى ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م وقد منح الشيخ  
محمد ووالده أجازات مشتركة من أساتذتهم ما عدا الشيخ عليش فقد  
منح كلا منهما أجازة مستقلة .

وتدل هذه الأجازات ان الشيخ محمد ووالده تفقها في المذاهب  
الثلاثة الشافعى والحنفى والمالكى .

لقد عمل الشيخ محمد مدرسا في الأزهر وظل في وظيفته تلك نحو  
ثمان سنوات حيث توفى في مصر .

ومن السودانيين الذين تولوا مهنة التدريس في الأزهر الشيخان  
أحمد الازهرى وابن أخته اسماعيل عبد القادر الكردفانى اللذين ورد  
ذكرهما آنفا .

---

(١) د. عبد العزيز عبد المجيد - التربية في السودان ج ٢ ص ٣٧ .  
(٢) عز الدين الأمين - قرية لترايح وأثرها العلمى في السودان ص ٧٤ .



### ومنهم الشيخ محمد نور الحسن :

ويعرف في الأزهر بالشيخ نور وهو من أسرة دينية معروفة في السودان نزح إلى الأزهر في عام ١٩١٢ وأكمل تعليمه فيه وبرع أساساً في علوم اللغة العربية - وكان زميلاً للشيخين شلتوت وعبد اللطيف دراز في الدراسة -

اختير مدرسا في الأزهر ثم وكيلا له كما كان عضوا في المجتمع اللغوي وتوفي في مصر عام ١٩٧١ ودفن في مصر مع الشيخ شلتوت بناء على وصيته -

### الشيخ محمد المبارك عبد الله :

ولد في أم درمان عام ١٩٠٥ وبعد أن حفظ القرآن في الخلوة في العاشرة والتحق بالمعهد العلمي في أم درمان ثم سافر إلى مصر والتحق بالأزهر عام ١٩٢٣ على نحو ما ذكر هو في وصفه لرحلته إلى مصر وحصل على شهادة التخصص القديم في عام ١٩٣١ وهي ما تعادل الدكتوراه -

عين مدرسا في الأزهر وانتدب إلى السودان للتدريس في المعهد العلمي وكلية الدراسات الإسلامية على نحو ما ذكرنا سابقا .

## ● شعراء السودان يلهمون بذكر أساتذتهم المصريين

حفظ السودانيون ذلك الصنع والعمل الجليل في قلوبهم بكثير  
من الامتنان وحفظ الجميل وتغنى بذلك الفضل شعراؤهم وكتابه واني  
لاسوق مثلا لذلك العرفان بالجميل أبياتا من شعر بعض ممن درسوا على  
اولئك الأساتذة .

يقول الاستاذ عبد الله عبد الرحمن في قصيدته « العروبة » مشيرا  
الى أساتذته المصريين ذاكرا محاسنهم وفضلهم على بلاده وأثرهم الواضح  
في رفعها ونهضتها .

وكانت لنا في غابر الأمس نهضة  
مباركة لا اللهو منها ولا الدد  
فعبد الزوف والخطيب كلاهما  
له بيننا الفضل الذي ليس يجحد  
هما حركتهما النفوس وانشرا  
علوما على أضوائها اليوم نصعد  
وطالما هزنا النفوس بطيب  
من القول يرصاه الوليد وأحمد  
ولاحبا على الخرطوم نجوى معارف  
به وعوادي الدهر اذ ذاك تولد

وفي اليوم قد شابت وشب وليدها  
 ومازستها منا كبير وامرد  
 وذلك عهد قد سعدنا بظلمه  
 لسوان الكريم الخ في الدهر يسعد  
 فآليت لا أنسى له فصل نوده  
 على ولاحسان مني موجد  
 أولئك الكتاب أساس نهضة  
 وكثر تمسين للثقافة يرقى  
 هم العائشون في نفوس كثيرة  
 وفي كل قطر من صانعهم بسد  
 تخيرهم بين الانعام لفصلهم  
 واكبرتهم أن كنت للناس اتقد

كما يقول في قصيدة أخرى .

يانسيما يختسار بين رياضي  
 راويًا عن أريجهم اغتسلاله  
 قف رويدا واجمع الزهر واحمل  
 لرجال العلوم مني رساله  
 لرجال العلوم في أرض مصر  
 واهبني الضاد حسنها والجزاله  
 قل تهدي الكرام بجمعها النادى  
 بيدورا ويختصونهم هاله  
 لكم الود في البلاد مقيما  
 ما اظن الزمان يطوى ظلاله  
 انما مصر والمصرية والسودان  
 شمع أبي الاله انفصاله

وتقتطف ابياتا من قصيدة للشاعر السوداني عبد الله حسن  
 الكردي يتحدث فيها عن امر المصريين ويحث لتبرهم بعد ان ابعثوا  
 من السودان عام ١٩٢٤ م .

اهرامهم فوق السماء مكانه  
 وهم ميامين السورى اخيار  
 فى كل جامعة لهم نشء سسما  
 بذكاء فكر طار منه شرار  
 وبكل حى للمعاهد ضجة  
 فالعلم بين ربوعهم انهار  
 انى يجيد الفصل عن اوطانهم  
 والفصل ليس له سواهم دار  
 انى لاذكرهم بقلب واجسد  
 مكار ليل او تلاء نهارد  
 واحن مثل النكسات لقرينهم  
 وحنين مثلى فى البعاد مزار

ويقول الاستاذ مطلوب جلال الدين وهو يستقبل الاديب المصرى  
 الكبير على الجارم فى مايو عام ١٩٣٧ عند زيارته للسودان فى مهمة رسمية  
 له تتعلق بانشاء كلية اللغة العربية فيه وكان البريطانيون قد ارادوا  
 ان يعيدوا قنرا من العلاقات بين مصر والسودان بعد اتفاقية ١٩٣٦ .

اتيح الصيفا لاخته  
 فماد الشقيق لوطانه  
 ولاقى الحب حبيبا وثنا  
 نعيم السرور بليانه  
 وجاشت صندور بزفراتها  
 وفاض الفؤاد بتحنانه  
 اعنت لنا ذكريان مضت  
 لعند السرور واقصرانه

ولنفرد مجالا اوسع للاستاذ محمد سعيد العباسى الذى تفتى  
 بفضل مصر وخرج بايديها عليه وعلى السودان وكان قد التحق بالازهر  
 ثم بالكلية الحربية فى مصر ودرس على العالم اللغوى عثمان زياتى وقد  
 اهدى ديوان شعره لاستاذه ورد عليه الاستاذ زياتى بقوله :  
 " ... "

« ولا ادري والله كيف اعتذارى عندك في تأخير الرد وقد طوقتني  
بجملكم وشملتني بفضلكم اذ تذكركم استاذكم على طول العهد وبعد  
الشقة واني لاطيب نفسا ان اكون تلميذا لكم في حفظ الجميل ورعاية  
الود والثبات على العهد ... وقد تفضلتم بارسال كثير من قصائدكم  
التي يفوح منها عبير الاخلاص والتي يدل كل حرف فيها على شاعرية  
مطبوعة تشير كل قافية الى ذوق جميل وكل شطر الى نفس كبيرة  
وكل بيت الى مجد عامر وكل قصيدة الى حسن متبع من الاخلاق  
العالية والخصال الرقيقة .. » .

ومن قصائده المديدة في حب مصر والنفي بفضلها وفضل  
اساتذته تقتطف بعضا من الأبيات :

واها مصر واوقسات سسمت بها  
لقد تفضت ولما اقضى من ارب  
يغوتني الصبر ان غالبت دونكم  
حر اشياقي ودمعها جد منسكب  
عندي لكم يسد فضل لست اجدها  
يد الزناني مولى العلم والحسب  
سريت في ضموئه حينما يقوم من  
عودي ويفسح لي من صدره الرحب  
وفي قصيدة اخرى يقول :

ان يسودي عنكم فمما من  
مذهب الحب والوفاء ان اورى  
لو يكون الخيار حكما لا اخترت  
نزوجا عنكم ولا فيسد تسير  
ربي قدر لمصر طالع اسعاد  
وهي لمصر اصلاح امر  
ويقول في قصيدة اخرى :

بنو الكنانة ما اشهى الحديث لهم  
الى النفوس وما اسلام قيمها  
زدني سؤالا ازدك اليوم معرفة  
بهم فما كان ذو جهل بهم علما

هم الكرام فكم فيهم اخو نفسه  
 حلو الشمائل تنبى كفه .. كرمه  
 بشوا العساف بالسودان فازدهرت  
 به وشادوا منار العدل فانظمتنا  
 ولا وربك ما كانوا لنا ابدا  
 بقاسطين ولا كنا لهم خديما  
 عندي لهر وللفسر الكرام يد  
 والحر من بات يرعى العهد والدمما

ويقول في قصيدة اخرى :

اسفرى بين بهجة ورشاقة  
 وارينا يا مصر تلك الطلاقة  
 انت للقلب مستراد وللعين  
 جمال وللشمم بياقة  
 انت عندي اخيت الخيفسه  
 ما اسمك ديننا وما اجل اعتناقه  
 انت ذكرتنى ولسنت بنساس  
 در ندى رضىمت منك فواقه

وفي قصيدة اخرى يقول العباسي :

ولو كان لى علم ما فى غيد  
 لما بعث مصر بسوسودانيه  
 ودعتها امس لا عن قبلى  
 ولم تكن النفس بالسباله  
 لها ولا بنسائها الاكرمين  
 اباد بنايرة اسسيه  
 بروحى وليسيت تهاب الردى  
 كباثعة دونها شاره  
 فاني من غرس نعمائها  
 غراس هو الثمر الدايه

وما بالقليل اتسبابي لها  
 فساني حمادها السراوية  
 بنى مصر حياكموا ذو الجلال  
 بعرف تحياته الزاكية  
 بيسكم غدت اليوم أم اللغات  
 محبته في حلال صافيه  
 حملتم بمصر وبأشهرقين  
 رسالة آدابها العاليه  
 بلوننا الكرام فكانوا البناء  
 وكنتهم به جسر الزاوية

ومن المناسب أن نذكر تعليق الدكتور زكي مبارك تحت (أ) عنوان  
 جاتبي « نعمة سودانية » مثيرا إلى قصيدة العباسي التي أهداها  
 إليه :

« كان من توفيق الله أن نلقت إلى الأدب السوداني بعض  
 الالتفات فيه أتيت لي فرصة للتعرف إلى ما هناك من روائع لو  
 نشرت لبهرت شعراء مصر والشام والعراق أقول هذا وأمامي قصيدة  
 للشاعر محمد سعيد العباسي قصيدته خفيفة الروح حن فيها إلى  
 أيامه في مصر فقال :

ولو كان لي سلام ما في غد  
 لما بعث مصر بسودانيه  
 واستمر في سرد القصيدة كاملة حتى قول العباسي :  
 بلوننا الكرام فكانوا البناء  
 وكنتهم به جسر الزاوية

ثم استطرد الدكتور زكي مبارك « أيها الشاعر الذي حيا مصر  
 حياك الله وحياك فقد طوقت جيد مصر بقلائد صنعت من حبات القلوب -  
 أهذا شعر أم سحر ؟ - هو فرق الشعر وفرق السحر - هو الهام جاءت  
 به فطرة كريمة الأصل في بلاد أبنائها أصلاء .. »

(١) مجلة الرسالة العدد ٤٨٢ عام ١٩٤٢ قلا عن وفقات مع العباسي - عبد القادر  
 الشيخ إدريس أبو حالة ص ٢٠٥ .

وليعرف السودانيون أننا لا نقبل أن يكونوا أولى منا بأى حال  
وسنعارض هذه القصيدة بقصائد رسنريهم أن مصر تجزيهم صدفا  
يصدق واخلاصا باخلاص - آيتنا الأرواح الشوارد بأعلى النيل أيها  
الحافظون لامجد الاسلام بالوادي السحيق هل تعرفون مكانكم فى  
أنفس المصريين .

وهناك من اشادوا بفضل مصر على السودان الأستاذ احمد  
محمد صالح الشاعر والمربي الكبير فى كثير من قصائده نذكر بعض  
أبيات من إحدى قصائده :

مصر وما مصر سوى  
وطن القساوة والأسود  
وهنارة الأدب الرفيع  
وكعبلة العلم المفيد  
وزعمية الشوق الفدى  
فى الجهاد وفى الجهد  
هى مؤئل للمستجير  
ومنهىل عذب السورود  
وعلى جنوب النيل كم  
قاضت إياها بجود  
جئنا وبين ضلوعنا  
شوق العميد الى العميد

هذه قطوف مما جادت به قرائح بعض من شعراء السودان الذين  
تلقوا العلم رأسا على معلمهم المصريين فى اللغة والدين ولتذكر جزءا  
يسيرا من قصيدتين لشاعرين من الجيل الثانى الذى نشأ وتثقف على  
سودانيين درسوا على اساتذة مصريين بعد أن أبعسده المصريون من  
السودان اثر حوادث عام ١٩٢٤ والشاعران من متخرجى المعهد العلمى  
فى أم درمان يقول التجانى يوسف بشير .

عادنى اليوم من حديثك يا مفسر  
رئى وطسوفت بى ذكسرى  
وهفنا باسمك الفؤاد ولجت  
بلسمان على الخواطر سكرى  
انما مصر والشقيق الاخ السودان  
كانا لخافق التيسل صلدوا



حفظنا مجده القديم وشادنا  
 منه صنيتا ورفعا منه ذكرى  
 افلسنا الفسى هوى جومتنا  
 سر حسة الفكر فى اواصر اخرى  
 كيف بنا قومنا نابعده بين فكرين  
 شادنا وسادنا البعض ازرا  
 كيف قولوا بجانب النيل شطيه  
 ويجسرى على شواطئ اخرى  
 كلمنا انكروا ثقافة مصر  
 كنت من صنعها يراعا وفكسرا  
 جنت فى حشدها عسرا فحيا  
 الله مستودع الثقافة مصر  
 نضر (١) الله وجهها فهى ما تزاد  
 الا بمسدا على وعسرا

والآيات الآتية من قصيدة الشاعر الناصر قريب الله يستقبل بها  
 وفدا من الكنائس فى الثلاثينات بعد قطعة فرضها الاستعمار البريطانى  
 بين مصر والسودان .

قال الشاعر :

هذه الامنيسات يساعين قرى  
 واسكبي الشنو يا براعة شعري  
 فهنا الشعر يستمد قواه  
 من جمال على ابتسامة نمر  
 يا شباب الكنيسة اليوم عيد  
 عباد فى حلتى سرور وبشر  
 عادنا والقلوب مسكلى اشتياقا  
 لم يدع شوقها مكانا لصبر  
 فمساعيكم التى غمرتنا  
 لم تعادل لى نساء يشكر

(١) كان الشاعر ينوى السفر الى مصر ولكن ظروفه اضيقته عن تحقيق مطلبه .

جعلت حبنا الكنازة فرضا  
شسان كف التدى بقلب حر  
وبمصر لنا قلوب اقسامت  
انحسرونها بانحساء مصر  
لمصر والسودان صمنو شقيق  
وبدا النيل شاهد حين يجرى  
فصر ان السودان عاش ربيبا  
فى حماها فنال اطيب ذكر  
فاقطعوا السمن الكابد لنا  
اخوه فى الهناء ومس القسمر  
عصمة السدين وحسدتنا وما عن  
عصمة السدين وحسدها من معز

## ● هؤلاء قالوا عن أثر الأزهر على السودان

### شعر العلماء :

— وفي العهد التركي ظهرت طبقة العلماء واخذت تلعب دورا هاما في الحياة الثقافية ، فقد شهد الحكم التركي نزوح افراد قلائل الى الأزهر او له ... ولعل من المهم ان نلاحظ ان بداية الشعر العربي الفصيح في السودان كانت على يد هذه الفئة من العلماء الذين تلقوا تعليما دينيا ولغويا في الأزهر وقضوا فترة من حياتهم خارج السودان .

د . محمد ابراهيم الشوش

في الشعر الحديث في السودان صفحة ( ١٥ )

— اما عمق الصلة بين سنار وعلماء الأزهر فامر لا سمسيل الى الجدل فيه فان اعظم علماء سنار تخرج في الأزهر الشريف .

محمد محمد علي

الشعر السوداني في المعارك السياسية

١٨٢١ - ١٩٢٤ م صفحة ( ٢٤ )

— ولاهل السودان رغبة شديدة في تحصيل العلوم حتى لقد يقصد بعضهم الأزهر الشريف في مصر ويقضي السنين الطوال في تحصيلها وقد أنشئ لهم رواق في الأزهر منذ عهد طویل يعرف برواق

السناريين .... وكلهم عادوا الى السودان فأنشأوا فيها مدارس للعلم .

### نصيم شسقيز جغرافيا وتاريخ السودان صفحة ( ١٦٨ )

— فالعهد التركي كان من اظلم العهود على السودان ثقافيا ولولا بيوتات العلم والدين والافراد القلائل الذين شقوا طريقهم الى الازهر الشريف وحرسوا على تلك العلوم على ايدي بعض الاساتذة العائدين من الازهر الشريف لما بقى شيء من التراث العربي .

### محمد أحمد محجوب الحركة الفكرية في السودان صفحة ( ١٢ )

لقد ظل الازهر الشريف منارا للوعي والاشماع لاولئك السذج كان لديهم شحف وتعلق بدراسة قواعد الدين الحنيف والفقه الاسلامي اكثر من التعلق بالروحانيات وعلم الباطن والكشف ومن ثم فان من الخطأ الزعم بان السودان كان معزولا عن العالم الخارجى او عن مصر بصفة خاصة .

### محمد عمر بشمسير — تاريخ الحركة الوطنية في السودان صفحة ( ١٥ )

ولعل أول ما بدأ من علاقة ثقافية بين مصر والسودان يشكل واضح لا يخطئ كل مطلع على تاريخ هذه العلاقة كان في العهد السنارى من مملكة القويج الاسلامية منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى في هذا العهد نجد الوفود من السودانيين ترد مصر قاصدة موردها العذب ذلك هو الازهر الذى أصبح جامعة اسلامية فينبهلون من العلم ما أمكنتهم ظروفهم وما وسعت قدراتهم — ثم نجد وفودا من العلماء المصريين يفسدون الى السودان على طول الطريق وبعده متجشمين الصعاب فيقيمون في السودان متخذين لهم تلاميذ ومعجبين من الدراسين يحيطون ويأخذون عنهم العلوم ربما يأخذون عنهم معارف أخرى عن الحياة في مصر ولا بد ان هؤلاء العلماء كانوا يشجعون تلاميذهم على الهجرة الى مصر ليأخذوا العلم

من مصدره ويردوا الحوض الروى فى مكانه فاما هم الا سواقى على شاطئ  
البحر .

**د ابراهيم الحارثي**  
**الرباط الثنائى بين مصر والسودان**  
**صفحة ( ٥ )**

الذى يهمنى قبل الدخول الى الطرق الصوفية ان نذكر ان اثر مصر  
كان علميا اكثر منه صوفيا خالصا فكان من يذهب من السودان الى الازهر  
يعود بحصيلة ممتازة من الفقه والتوحيد واللغة وكان من يهاجر من مصر  
الى السودان فقيها قبل ان يكون متصوفا او فقيها متصوفا لا متصوفا فقيها  
فى حين ان الطابع الصوفى كان يغلب على من جاءوا من المغرب او العراق  
او الحجاز . . .

**الدكتور عبد القادر محمود**  
**الطوائف الصوفية فى السودان**  
**صفحة ( ٩ )**

**دارفور :**

كان الفور ولا يزالون من أكثر سكان السودان حماسا لدينهم وكانوا  
فى تاريخهم الطويل اصلب المسلمين عودا أمام هجمات الغزاة وضربات  
الفاطحين ولم تكن قناتهم قط أو تفتت عزائمهم أبدا بل كانوا دائما رجال  
صبر وجهاد فى دين الله ودفاع عن حياض الوطن وكانوا قلعة حصينة  
ترغف عليها راية الاسلام وانه من تقرير الحقيقة ان نذكر هنا ان دارفور  
كانت دائما أول من يثور على الظلم والطغيان وآخر من يستسلم لجيوش  
الفاطحين ويصدق ذلك فى جميع العهود دون استثناء ولكن لابد لهذا من  
سبب - كل ذلك كان بفضل القيادة الرشيدة والتوجيه المخلص الذى  
كان يبذله علماء دارفور من خريجي الازهر وانتشار الوعي الدينى بين  
طبقات العامة .

**محبوب زبابة**  
**الاسلام فى السودان صفححة ( ٨٧ )**

كان بعض السودانين يذهبون الى الازهر ثم يعودون بعد تحصيل العلم والاحظ ان الأثر المصرى فى نشر الثقافة الاسلامية فى السودان قد يتميز بعض الشيء عن غيره بأنه ذو طابع علمى فى معظمه ، أعنى ان الذين تأثروا بالثقافة المصرية فى ذلك العهد اتجهوا الى تعليم الناس الفقه والتوحيد واللغة وغيرها من العلوم .

د . عبد المجيد عابدين

تأريخ الثقافة العربية فى السودان صفحة ( ٥٩ )

ولا تغفل فى مجال الحديث عن الحياة الفكرية فى هذا العصر ان نذكر متعلمي الازهر وخريجيه من السودانين ومنهم من حصل على أعظم الاجازات العلمية .

عز الدين الأحمى

تراث الشعب السودانى

صفحة ( ٤٤ )

كذلك تطلع الفونج ( حكام سنار ) الى الازهر فكان الملك بادي الاول ( ١٦١١ - ١٦١٦ م ) على صلة بعلماء الازهر وكان يرسل اليهم الهدايا والصلوات وكان السودانىون يلتحقون بالازهر ثم يعودون الى بلادهم يعلمون اللغة والتوحيد والفقه حتى لقد أصبحت مملكة سنار المركز العلمى لشرقى السودان وغربه .

د . حسن إبراهيم حسن

انتشار الاسلام فى الآارة الأفريقية صفحة ( ٢٢٩ )

ان التعليم الدينى فى السودان وهذه الكلية قمته فى حصيلته وتفصيله وفى نشأته وإدراكه قبض من الازهر فالسودانيون أخذوا يقدون على الازهر يجددون العهد بمصادر معارفهم ويلتحقون بمركز الثقافة الاسلامية الشامخ الذى انتهت اليه عليها ليعودوا يعلمون العقائد والفقه والتفصيل والحديث والعلوم العربية - فمنهم من كان المشاعل بعينه ان عادوا من شمال الوادى عملا بقوله تعالى : لولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون .

الآية ١٢٢ من سورة التوبة .....

ومنهم من أثر البقاء في القساورة ليقوم بالتدريس والتعليم بعد  
ان تعلم . . .

ان كلية الدراسات العربية والاسلامية لن تفسى الفضيل الذي  
اوليتموها حين تفضلتم بالموافقة على اعارة صفوة مختارة من اساتذة جامعة  
الازهر ومعاهده وحين تفضلتم فوافقتم على منح طالباتها ست منح للدراسات  
العليا بكلية البنات الاسلامية وهي تخرج دوا هذه الرعاية الكريمة ومواصلة  
المدد في اعارة الجهادة من علماء الأزهر ومنح نوايح الخريجين فيها منحا  
للدراستات العليا بجامعة الأزهر وستكون لزيارتكم هذه اعظم الأثر في  
تقوية الروابط الثقافية الازلية الابدية ان شاء الله .

واذا كان النيل المبارك قد دأب يحمل في مسيرته من الجنوب الحبيب  
والرخاء والحياة الى الشمال فقد دأب الشمال ممثلا بصفة خاصة في الأزهر  
الشريف ان يجزى الجنوب ما يعادل الحياة من المعارف الانسانية السامية  
والثقافة الاسلامية العالية .

لقد اشرق على السودانين في مطلع هذا القرن وجه الامام الشيخ  
محمد عبده وقد اخذ الاستعمار يحكم عليهم القيود المرهقة فأوحى اليهم  
بالعزة الاسلامية وكانت زيارته شرارة الحركات التحريرية فيما بعد  
فلتكن زيارتك الكريمة بعثا لروح الاصلاح الديني الذي عمل له وامتاز به  
الامام محمد عبده ودعما لنهضة التعليم الديني في السودان وعونا على  
احياء التراث الاسلامي والحفاظ على القيم الاسلامية .

من كلمة الأستاذ محمد المبارك غير الله .

شيخ علماء السودان ومدير كلية الدراسات العربية والاسلامية -  
تحية للامام الأكبر محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق عند زيارته  
للسودان .

## خاتمة

فى مستهل القرن السادس عشر للميلاد وعلى وجه التحديد عام ١٥٠٤ قامت فى السودان دولة سنار وكان أصحابها يطلقون عليها السلطنة الزرقاء (١) كذلك سميت سلطنة الفونج الى الاسرة الحاكمة .

قامت دولة سنار بفضل تحالف القبائل العربية النازحة التى استوطنت السودان مع أسرة سودانية حاكمة كانت تقطن فى الجزء الجنوبي الشرقى على حدود اثيوبيا ويزعم شيوخ تلك الاسر انهم ينتمون أصلا الى بنى أمية تركوا ديارهم بعد سقوط دولتهم وقيام دولة بنى العباس واختلّف المؤرخون فى أصلهم هذا ولكن السائد صحة زعمهم بأنهم يرجعون الى بنى أمية لقد قضى ذلك التحالف على الدولة المسيحية فى السودان وأصبحت البلاد جميعها تدين بدين الدولة الجديدة وهو الاسلام والسودان الجنوبي بالطبع لا يدخل فى هذا النطاق اذ لم يستكشف الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى الجهد التركي على السودان .

لقد قامت دولة سنار الاسلامية قبل أقل من خمسة قرون وما يقرب من ألف عام من قيام الدولة - الاسلامية فى مصر وهذا تاريخ حديث بالنسبة لدخول الاسلام فى مصر أو أى بلد عربى آخر ولذلك يمكننا القول ان بلدنا حديث عهد بالاسلام .

---

(١) الزرقاء يقصد بها السوداء .



ظهرت الدولة السودانية الإسلامية الى حيز الوجود بعد ما حلت بالعالم الإسلامي كوارث عدة على رأسها سقوط بغداد في المشرق وخرقة والاندلس في المغرب وبعد ان تمزق الى دويلات ثم حكم التركي العثماني على صدره وسمى سلاطين آل عثمان ليتولوا زعامة الأمة الإسلامية ويروى ان السلطان سليم القائد التركي بعد ان تم له فتح مصر قدم الى سواكن وهم يغزو سنار (١) خاطبه ملكها عبارة دونقس يدعوه الى الطاعة فرد عليه بما مفاده ( اني لا أعلم ما الذي يحملك على حربى وامتلاك بلادى فان كان لأجل تأييد الاسلام فاني وأهل مملكتى عرب مسلمون ندين بدين رسول الله وإن كان لغرض مادي فأعلم أن أكثر مملكتى عرب بادية وقد هاجروا الى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم تجمع منه جزية سنوية ) وأرسل له مع الكتاب انساب قبائل العرب الذين فى مملكته جميعه له الامام السمرقندى أحمد علماء سنار ويقال ان السلطان سليم عدل عن غزو سنار بعد ان وصله الكتاب والانساب وأخذها معه ولا تزال فى خزانة اسطنبول .

استمرت دولة سنار أكثر من ثلاثة قرون شهدت فيها وعاصرت احداثا جساما حيث انتقل مركز الثقل الحضارى الى أوروبا بعد عصر النهضة وما صاحبه من تطور كبير فى ميزان السياسة والثقافة والفكر وتسلمت أوروبا مقود السياسة الدولية بعد ان ظل قرونا عند المسلمين .

ان تاريخ الثقافة العربية الإسلامية فى بلادنا جزء لا يتجزأ من تاريخها فى البلاد العربية الإسلامية الأخرى ولعل من أبرز ظواهر الحضارة العربية انها لم تنقطع بل ظلت تواصل سيرها على مدى عدة قرون فى ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وفى تبادل ثقافى إسلامى متصل فكانت الكتب تنسخ وتنتقل من المشرق الى المغرب وإلى السودان فى أفريقيا وكان العلماء والفقهاء ينتقلون من بلد عربى وإسلامى لآخر يؤدون دورهم ورثة الانبياء وينشرون العلم فى كل بلد دخلوا اليها وكان المسلمون وهم مدفعون بتعاليم القرآن وحديث الرسول صلعم يهاجرون من بلادهم طلبا للعلم كان الدرب مطروحا وممهدا دون حواجز سياسية أو دينية أو لغوية من فارس والعراق الى الشام ومصر والاندلس وأصبحت للثقافة الإسلامية ولغة العربية مكانتها وسيادتها واضحا الإسلام دين العقل ووسيلة لتوحيد تلك الشعوب

(١) نعيم شقير - تاريخ وجغرافية السودان - جامعة بيروت ص ٢٨٩

واكتلافها وأساس حضارة تقدمية نهل منها الغرب وتفتحت عيونهم ومداركة عليها .

ازدهرت الثقافة الإسلامية في السودان بفضل هؤلاء العلماء الوافدين اليه من الأزهر أساسا والبلاد العربية الأخرى وبفضل العلماء السودانيين الذين تخرجوا في الأزهر وأنباهم وتلامذتهم الذين أخذوا العلم منهم وأصبح السودان موئلا لكثير من العلماء والمواطنين العرب الذين تركوا ديارهم في المشرق لتعسف الحكام وفقرهم ومن المغرب خاصة تحت سيطرة المسيحيين الكاثوليك على الاندلس وتكليفهم بالمسلمين واجباؤهم على اعتناق المسيحية وطرد ما يقرب من نصف المليون الذين أثروا أن يظلوا على دينهم وهاجر كثير من هؤلاء أولئك الى البلاد العربية ومنها السودان ولقروا من المعاملة الكريمة وحسن الوفادة مما جعلهم يتخذونهم مستقرا لهم .

لقد شيدت في البلاد مساجد كبرى وخلاوى وزوايا في الشمال وأرض الجزيرة والنيل الأبيض يؤمها الطلاب وقد تفرغ أولئك الرواد من العلماء والفقهاء وانقطعوا لتعليم الناس وارشادهم وكانوا قد عرفوا علم الكلام والمنطق وأصول الفقه على مذهب مالك وبعضهم على مذهب مالك والشافعي كما وقفوا على الكتب المتداولة لكبار العلماء الاسلاميين في زمانهم ومن سبقهم كان الطالب يبدأ بحفظ القرآن أولا حفظا جيدا مجودا ثم يتجه لدراسة علوم الفقه على مذهب مالك وعلم التوحيد واللغة العربية واللغة العربية وأدبها بالإضافة الى العلوم الاخسرى كرياضيات والذلك والتاريخ الاسلامي ومنهم من لم يكتف بذلك بل يذهب الى مصر لينهل من ازهرها الشريف ثم يعود عالما مرموقا .

وكان العلماء يؤلفون الكتب في العقائد والشروح والجواشي وكانوا ينسخون الكتب الكبرى ويوزعونها لتعم الفائدة وقد لاحظ الرحالة السويسري بيركهاردت الذي زار السودان عام ١٨١٣ أنهم ينسخون الكتب في خط ائبق لا يقل روعة عن المخطوطات التي راها في القاهرة غير ان كتبهم التي ألّفوها أو نسخوها أو احتفظوا بها في خزائهم فقدت أما في حملة الدكتور دار الدموية المسعورة على طول البلاد وعرضها انتقاما لمقتل اسماعيل باشا قائد الجيش التركي الذي فتح البلاد عام ١٨٢٢ م وقمعا للنورة التي أشعلت البلاد ضد الحكم التركي الجديد حيث ترك الناس ديارهم وتفرقوا أبدى سببا أو بسبب تآكل الكتب وتلفها حتى أنت الثورة المهدية ( ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ) فقضت على البقية الباقية من الكتب واحرقت بأمر الامام المهدي .

وحرق الكتب هذا ليس جديداً في التاريخ الاسلامي فقد أحرق المالكية في اسبيلية والأندلس مكتبة ابن حزم الأندلسي في القرن العاشر للميلاد بل حتى احياء علوم الدين للفغزالي أحرق في قرطبة .

لقد ظهر علماء سودانيون علاصيتهم في الداخل والخارج وقصدهم طلاب العلم من شرق أفريقيا وغربها ومنهم من ذهب الى غرب أفريقيا يعلم الناس هناك وأصبحت سنار مركزاً رئيسياً للعلم في أفريقيا وكانوا على اتصال مع وصفائهم في الأزهر يجادلونهم ويعرضون عليهم بعض القضايا التي يختلفون عليها .

لقد حفلت البلاد بحركة علمية عظيمة بلغت أوجها في القرن السابع عشر وكان الملوك والسلاطين يقدقون على العلماء ويجزلونهم العطاء ويستجيبون لكل مطلبهم وقامت تلك البيوتات الدينية بنشر العلم والثقافة الاسلامية القائمة على الكتاب والسنة تحافظ عليها هذا ومازال كثير من تلك البيوتات الدينية تضطلع بذلك الدور الى يومنا هذا ثم شهدت بلادنا علاقة أوثق بمصر بعد أن خضعت البلاد لحكم محمد علي وأسرته وأصبح الطريق الى الأزهر سهلاً مطروقاً وحل بلادنا مصريون أزهريون منهم من حظى بالسفر الى أوروبا ضمن مبعوثي محمد علي باشا الى هناك ودخل ما يسمى بالتعليم النظامي الذي كان يحمل طابعا حضاريا وثقافة جديدة على أسس ما كان يجري في أوروبا وسار ذلك التعليم جتياً الى جنب مع التعليم الديني .

ثم قامت الثورة المهدية متأثرة بما كان يجري في العالم الاسلامي من ثورات ودعوة الى العودة الى منابع الاسلام الأولى ونظرة اجتهادية الى اقامة مجتمع اسلامي معاف وانخرط في صفوفها كثير من العلماء - السودانيون الذين تخرجوا في الأزهر وشغلوا فيها مناصب كبرى كما أيدها وساندها الامامان جمال الدين الافغاني - ومحمد عبده وعطف عليها كثير من علماء الأزهر وقتل في سبيلها والدعوة لها أحد علماء الأزهر الذي قفى الى الخرطوم بعد اشتراكه في الثورة العربية وهو العالم الأزهرى أحمد العوام ولكن الثورة المهدية لم تسر الى غايتها التي من أجلها قامت ولقيت نحيها أمام الاخطبوط الاستعماري البريطاني .

لقد أتى الحكم البريطاني على السودان بعد معركة كررى المعروفة في سبتمبر سنة ١٨٩٨ .

أتى يحمل معه ثقافتين متباينتين ثقافة هي نتاج الثورة الصناعية

الأوربية وأخذ يفرضها على الناس بطرق شتى فيها الترغيب وفيها الترهب  
وثقافة شرقية دينية سبغها الاساندة المصريون على نحو ما ذكرنا وتعلق  
السودانيون في بادية الأمر بثقافتهم الاسلامية الموروثة ولكن شيئا فشيئا  
وآثر السيطرة الأوربية على الدول المستعمرة وفرض لغة الحاكم سيطرت  
الثقافة الأوربية على مصر والبلاد العربية وكانت مصر دائماً أبدا نافذة  
السودان للفكر والثقافة العالمية وخرجت المطابع تقذف كتبها ومؤلفاتها - سا  
وظهر في مصر مثقفون درسوا في الأزهر أساسا يعجبون بالثقافة الأوربية  
الجديدة كطه حسين وأحمد الزيات وزكي مبارك والمنفلوطي والكثير غيرهم  
وكان هناك الكاتب الكبير عباس محمود العقاد وتأثر جيل من السودانيين  
بهم وساروا في خطاهم مقلدين لا مجددين . وأقبلوا على اتهام الكتب  
الانجليزية والترجمة من اللغات الأخرى ووجدوا بذلك موردا ثقافيا آخر  
غير ما ألفه آباؤهم .

ولعلني انتهز هذه الفرصة لانتقل لكم بالحرف الواحد بعضاً من مقدمة  
الاستاذ محمد فريد أبو حديد عام ١٩٤٨ لديوان الشاعر السوداني محمد  
سعيد العباسي مما يوضح ثقافة السودان ولغته العربية المخالصة التي  
تلقاها عبر مجاز محددة أولها وأساسها الأزهر الشريف .

يقول الأستاذ أبو حديد :

وكننت قد رأيت نخبة من فضلاء أدباء السودان قرأت لهم وسمعت  
منهم وكننت في كل مرة أزداد إيمانا أن الصور التي تلمع في شعرهم تبعث  
عن فن أصيل وعن نبع فياض بل لقد ذهب بي الخاطر أحيانا إلى أن الملح  
في شاعر السودان أدبيا أبعد أصلا في العروبة من سائر الأدباء .

لقد سمعت في شعر السودان البدوي وفي أمازيجه الشعبية من  
صبيح الإلفاظ ومن صور التعبير ما لا يتوفر إلا لقوم لهم لسان عربي أصيل  
من أرومة يهودية عريقة - لقد سمعت في السودان من شعراء الشعب  
قوما ينطقون لغة عامة الناس بما لا يدركه في غير السودان إلا المتأدب المتوفر  
على دراسة اللغة فهو ينشد للناس بلغة عامية متحدنا عن الشبان والأسد  
والرحال والمسارب وما أظن عامة شعب عربي آخر تدرك لهذه الإلفاظ معنى  
من ذلك ذهب بي الخاطر أحيانا إلى أن أهل السودان العربي إنما ينطقون  
بلسان قديم ويفتخرون العربية من أصل أصيل عبر البحر الأحمر .

## ملاحق

### الاجازات العلمية

#### الاجازة الاولى : (١)

منحها العالم السوداني الشيخ عبد الرحمن بن جابر الذي درس على الشيخ البنوفري في مصر لتلميذه الشيخ ابراهيم بن أم رابعة .

« ..... أما بعد فان الأخ الفقيه الصالح المتأدب المتواضع الشيخ ابراهيم بن أم رابعة استحق السيادة والامامة عندي فجعلته قطبا في مكانه ولسانا في عصره وترجمانا في أوانه ومريسا للمريدين وقدوة للمسترشدين وملجأ للفقراء والمساكين مظهرا شمس المعارف بعد غروبها فاذنته في كل ما حقق نقله وسمعه مني ان يفشييه ويعلمه الناس مخلصا وقد اذنت له باشهارها واشهار ما فيها وتشجيع ما أشرنا اليه ..... تاريخ اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية (٢) »

#### الاجازة الثانية : (٣)

أجازها الشيخ على الاجهوري شيخ الاسلام ببصر ائذاك لطالبه الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم والد العالم السوداني المعروف الشيخ خوجلي وقد جاء في الاجازة .

« ..... أما بعد فقد قرأ على الشاب الفاضل والتحرير الكامل الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي ملاح الكباني نسيا والبري بلدا عقيدتي التي ألفتها في أصول الدين والتصوف وشرحها قراءة جيدة نافعة ان شاء الله وحضر قراءتي في مختصر العلامة الشيخ خليل في فقه المالكية في نحو نصف الكتاب المذكور قراءة بحث وتحقيق دلت على نباهته وفقهه

(١) ود . د . ضيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق ص ٢٢ .

(٢) الموافق ١٥٧٤ م .

(٣) ود . د . ضيف الله - الطبقات - نسخة ابراهيم صديق ص ١٦٦ .

بـالكتاب المذكور وقد استخرت الله واجزته بما ذكر وبجميع ما يجوز لـ  
روايته بشرطه سائلا منه ألا ينساني من الدعاء بسعادة الدارين والدعاء  
بالرحمة لامواتنا وأموات المسلمين جعله الله من العلماء العاملين ووفقه  
لما يحبه ويرضاه في القول والعمل وجعله من عباده المخلصين ونفع بعلمه  
المسلمين بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين  
• - كتب في آخر ذي الحجة ختام سنة ثلاثين بعد الألف » (١) .

### الاجازة الثالثة : (٢)

منحها الشيخ محمد عlish للشيخ أحمد البدوي وكان الشيخ عlish  
شيخا على المالكية بالازهر • وقد ناصر الثورة العربية حيث مات سبعينا  
عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م : يقول الشيخ عlish •

« ... قد من الله على بصحية الشيخ المبارك أحمد بن الشيخ محمد  
ابن الشيخ أحمد بن الشيخ عيسى السناري المشهورين بالعلم والصلاح  
والبركة مدة عديدة وشاركني في كتب عديدة في فنون من العلوم الشرعية  
وآلاتها ولما أراد العود الى وطنه التمس مني الاجازة فلما منه اني من أهل  
ذلك وأنا متيقن اني لست ممن سلك تلك المسالك ولكن جبر خاطره  
وجراء بركته حملاني على اجابته فقلت اجزت أخى المذكور بما سمعه مني  
وغيره مما اجازني به أشياخي ضاعف الله لهم الأجور موصيا له بملازمة  
التقوى فانها للفلاح السبب الاقوى والا ينساني من صالح دعائه في  
جلواته وخلواته ضارعا للمولى الكريم ان يمن علينا بالخير العظيم وان ينجيننا  
من الفتن والأهوال وان يصلح لنا ولاخواننا الأحوال وأن يختم لنا بخاتمة  
السعادة وأن يجعلنا ممن لهم الحسنى وزيادة الذين دعواهم فيها سبحانه  
اللهم وتمحيثهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » •

وقد حصل هذا العالم السوداني على اجازتين أخريين واحدة في  
الفقه الشافعي من الشيخ ابراهيم الباجوري شيخ الازهر المتوفى عام  
١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ والاخرى من الشيخ أحمد حلي الحنفي •

(١) الملاحق ١٦٢٢ م •

(٢) عز الدين الامين - فريضة كثرانج واثراها المجلس على السودان ص ٧٦ •

## المراجع

### اللغة العربية

- ١ - الاسلام والحضارة - محمد كرد علي
- ٢ - التمدن الاسلامي  
الجزءين - الرابع والخامس - جرجي زيدان  
مطابع مؤسسة دار الهلال  
١٩٦٨
- ٣ - الازهر تاريخه وتطوره - وزارة الاوقاف المصرية  
الاتحاد الاشتراكي العربي  
دار مطابع الشعب
- ٤ - تاريخ الازهر في القب عام - سنه قراعه  
مكتب الصحافة الدولى  
يوليو ١٩٦٨
- ٥ - مصر الاسلامية - محمد عبد الله عثمان  
مطبعة لجنة التأليف  
١٩٦٩ - الناشر  
مكتبة الخانجي القاهرة
- ٦ - مصر في فجر الاسلام - سيده كاشف
- ٧ - تاريخ الجامع الازهر - محمد عبد الله عثمان
- ٨ - كتاب الطبقات - للفقير محمد شيف الله  
نسخة ابراهيم صديق  
المكتبة الثقافية  
بيروت

٩ - كتاب الطبقات جامعة الخرطوم - للفقير محمد ضيف الله - تحقيق وتقديم د . يوسف فضل

دار الطباعة للتأليف والنشر  
جامعة الخرطوم ١٩٧١

١٠ - تاريخ السلطنة السنارية - تقديم وتحقيق الشاطر بصيلي

والادارة المصرية - مخطوطة

أحمد بن علي كاتب الشونة

وزارة الثقافة والارشاد

المصري - ١٩٦١

١١ - جغرافية وتاريخ السودان - نعوم شقير

دار الثقافة - بيروت

١٢ - مشيخة العبدلاب - محمد محي الدين

١٣ - التربية في السودان - د . عبد العزيز عبد المجيد

ج (٢) و (٣) - المطبعة الاميرية

القاهرة - ١٩٤٩

١٤ - السودان في قرن - د . مكي شبيكه

١٥ - النداء في دفع الاقتراء - محمد عبد الرحيم

١٦ - السودان بين يدي - ابراهيم فوزي

غردون وكشمير

١٧ - تاريخ السودان الحديث - ضرار صالح ضرار

١٩٦٤

١٨ - تاريخ سودان وادي النيل - د . شوقي الجمل

ج (٢) مكتبة الانجلو المصرية

١٩٦٩

١٩ - حركة الترجمة في مصر في - جاك تاجر

القرن التاسع عشر

٢٠ - مناهج الالباب المصرية في مباحث الادارة العصرية - طبعة ثانية

١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م رفاعة رافع الطهطاوى

٢١ - تطور القضاء في السودان - حسين سيد أحمد المفتي



- ٢٢ - قرية كترانج وأثرها العلمي - عز الدين الامين  
على السودان - دار الطباعة  
جامعة الخرطوم - ١٣٩٥/١٩٧٥ م
- ٢٣ - جهاد في سبيل الله - اعداد عبد الله محمد احمد  
الخرطوم ١٩٦٥
- ٢٤ - شيخ الاسلام - ابراهيم عبد الرزاق  
الفكي الامين الضريع  
مكتب النشر - الخرطوم
- ٢٥ - ثقات اليراع - محمد عبد الرحيم
- ٢٦ - وقفات مع العباسي - عبد القادر الشيخ ادريس  
دار الفكر السودانية ١٩٧٠ ( ٢٩٥٠ )
- ٢٧ - تطور التعليم في السودان - محمد عمر بشير  
مترجم عن الانجليزية - دار الثقافة  
بيروت - ١٩٧٠
- ٢٨ - تاريخ الثقافة العربية - د . عبد المجيد عابدين  
في السودان - دار الثقافة  
بيروت - ١٩٦٧
- ٢٩ - اصول الشعر السوداني - عبد الهادي الصديق  
المجلس القومي لرعاية الآداب  
والفنون - الخرطوم
- ٣٠ - التصوف الاسلامي - د . زكي مبارك  
ج (١) و (٢) - المكتبة المصرية  
حيداء - بيروت
- ٣١ - الشعر الحديث في السودان - د . محمد ابراهيم الشوش  
معهد الدراسات العربية -  
جامعة الدول العربية ١٩٦٢
- ٣٢ - تراث الشعر السوداني - عز الدين الامين  
معهد البحوث والدراسات العربية  
جامعة الدول العربية ١٩٦٩

- ٣٣ - الشعر السوداني في المعارك السياسية - محمد محمد علي  
١٨٢١ - ١٩٢٤ - مكتبة الكليات الأزهرية - مطبعة النهضة  
القاهرة ١٩٦٩
- ٣٤ - تاريخ الحركة الوطنية في السودان - محمد عمر بشير  
الدار السودانية للكتب  
١٩٧٨ - مترجم عن الانجليزية
- ٣٥ - نابغة الشرق - السيد جمال الدين الأفغاني - محمد سعيد  
عبد المجيد دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ( سعيد الأفغاني )  
القاهرة - ١٩٦٧ م - ١٣٨٦ هـ
- ٣٦ - الامام محمد عبده - سلسلة اعلام الاسلام - عبد الحليم الجندي  
دار المعارف
- ٣٧ - الاسلام في السودان - وزارة الشؤون الدينية  
مكتبة الثقافة الاسلامية والاوقاف - جمهورية السودان
- ٣٨ - الادارة البريطانية والحركة - د . جعفر محمد علي بخيت  
الوطنية في السودان  
مترجم عن الانجليزية  
دار الثقافة - بيروت - ٧٢
- ٣٩ - تاريخ الشيخ محمد عبده - السيد محمد رشيد رضا
- ٤٠ - الرباط الثقافي بين مصر والسودان - د . ابراهيم الحارثي  
دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٧ -
- ٤١ - النقائس في أخبار وآثار - عبد الحميد أبو القاسم  
شيخ الاسلام أبو القاسم أحمد هاشم  
دار جامعة الخرطوم للنشر  
مطبعة جامعة الخرطوم
- ٤٢ - مذكرات وذكريات - محمد المبارك عبد الله  
مطبعة محمد علي صبيح ١٩٧٢  
الجزء الاول

- ٤٣ - انتشار الاسلام في - د . حسن إبراهيم حسن  
القارة الافريقية  
مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣
- ٤٤ - الحركة الفكرية في السودان - محمد أحمد محجوب
- ٤٥ - الطوائف الصوفية في - د . عبد القادر محمود  
السودان - مطبعة مصر ( السودان )  
١٣٩١ هـ - ١٩٧١
- ٤٦ - مع التعليم الديني في السودان - محمد المبارك عبد الله  
الجزء الثالث - المجلس الاعلى .  
للمشئون الدينية والاداريات  
الخرطوم - رجب ١٤٠٠ هـ - يونيو ١٩٨٠
- ٤٧ - دراسات في تاريخ السودان ج (١) - د . يوسف فضل  
دار التاليف والترجمة والنشر -  
جامعة الخرطوم - ١٩٧٥
- ٤٨ - مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في  
العصور الوسطى - حققها وكتب حواشيها د . مصطفى محمد  
مسعد  
مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم  
١٩٧٢
- ٤٩ - امتداد الاسلام والعروبة - د . مصطفى محمد مسعد  
الى وادى النيل الاوسط - مستخرج من  
مجلة الدراسات التاريخية - الجمعية المصرية العدد الثامن ١٩٥٩
- ٥٠ - اولاد جابر - د . سرالحتم عثمان
- ٥١ - العربية في السودان - عبد الله عبد الرحمن  
دار الكاتب اللبناني  
بيروت ١٩٦٧
- ٥٢ - الاسلام في السودان - محجوب زياده  
سلسلة اقرا -

- ٥٣ - سعادة المستهدى بسيرة -  
المهدى - للشيخ اسماعيل عبد القادر د . محمد ابراهيم أبو سليم  
الكردفاني
- ٥٤ - جبهة الاولياء ج (١) و (٢) - السيد محمود أبو الفيض  
مؤسسة الحلبي وشركاه  
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م
- ٥٥ - عصر سلاطين الماليك - محمود رزق سليم  
وتناجه السلي والأديبي - المجلد  
الثالث - المطبعة النموذجية  
الحلمية الجديدة ١٩٤٩ - الناشر  
مكتبة الآداب بالجاميز
- ٥٦ - ديوان توفيق صالح جبريل
- ٥٧ - الشعر القومي في السودان - د . عز الدين اسماعيل  
دار العودة - بيروت
- ٥٨ - الدعوة الى الاسلام -  
سير توماس ارنولد  
مكتبة النهضة المصرية  
١٩٧٠ واسماعيل النحراوى
- ٥٩ - البيان - مجلة ثقافية  
العدد العاشر ١٩٧٨  
وزارة الشؤون الدينية  
والاوقاف السودانية  
عدد خاص عن القرآن الكريم
- ٦٠ - صانعو التاريخ العربى -  
فيليب حتى - دار الثقافة -  
بيروت ١٩٦٩
- ٦١ - مملكة الفرنج الاسلامية - د . مكي شببيكه  
معهد الدراسات العربية  
جامعة الدول العربية  
١٩٦٣ / ١٩٦٤

٦٢ - تاريخ اللغة العربية في مصر - د . أسعد مختار عمر  
الهيئة المصرية العامة للكتاب  
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

٦٣ - السلالات العربية في السودان - التيجاني عامر  
دار الفكر - الدار السودانية

٦٤ - ديوان العباسي  
مطبعة الكيلاني الصغير - مصر - للشاعر محمد سعيد العباسي  
١٩٤٨

اللغة الانجليزية :

- Islam in the Sudan — J. S. Trimingham Frank Cass dcolia, 1963.
- The Influence of J. S. Trimingham Islam Upon Africa. (Longman) — 1968.
- A History of Islam : In West Africa — J. S. Trimingham (Oxford Paper lacks). Oxford University Press 1970.
- The Arabs in History ; Arrow Books — — Prof Beranard Lewis Anchor Press 1954.
- Modern Egypt — Earl of Cromer Vol. 11. McMillan and Colta, 1908.
- A History of The Arabs. H.A. MacMichael in The Sudan, Vol. 1 and 11. Frank Cass and Co Ltd.
- A Biographical Dictionary — of The Sudan. Richard Hill F. Cass and Colia — 1967.
- Travels in Nubia - John Lewis Burckhardt London - 1819.



# الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
العرب ووادي النيل	٥
السودان وبداية انتشار الاسلام	١٤
نواة التعليم الدينى المنتظم	١٩
الرواد السودانيون من متخرجى الأزهر	٢٦
العلماء المصريون الأزهريون فى السودان	٣٢
مؤلفات العلماء السودانين	٣٤
الأزهر والقضاء والفتاوى فى سلطنة سنار	٤١
سلطنة دارفور والأزهر	٤٤
الحكم التركى فى السودان	
( ١٨٢١ - ١٨٨٥ م )	٤٩
اغتيال اسماعيل باشا	٥١
الطلاب السودانيون يقبلون على الأزهر	٥٥
متخرجو الأزهر السودانيون فى العهد التركى	
[ ١٨٢١ - ١٨٨٥ م ]	٥٨
مدرسة الخرطوم الابتدائية	٦٣
احتفال مدرسة الخرطوم فى الوقائع المصرية	٧٠
القضاء فى العهد التركى	٧٢
علماء سودانيون نوابغ درسوا على متخرجى الأزهر	٧٥
متخرجى الأزهر فى الثورة المصرية [ ١٨٨٥ - ١٨٩٨ ]	٨٢
فقهاء متصوفون	٨٩
المرأة السودانية والتعليم الدينى قديما	٩٦

الموضوع	الصفحة
الشعب السوداني	٩٩
دور الأزهر ابان الحكم البريطاني [ ١٨٨٩ - ١٩٥٥ م ]	١٠٣
الأساتذة المصريون والنشاط الاجتماعي	١١٦
التعليم الديني	١٢٣
المعهد العلمي بالسودان	١٢٧
جامعة أم درمان الاسلامية	١٣٢
يد الأزهر البيضاء تمتد الى نيجيريا عبر السودان	١٣٤
احصائية عديدة عن الطلاب السودانيين في الأزهر	١٣٧
شعراء السودان يلهجون بذكر أساتذتهم المصريين	١٤٤
هؤلاء قالوا عن أثر الأزهر على السودان	١٥٣
خاتمة	١٥٨
الملاحق	١٦٣
المراجع العربية	١٦٥
المراجع الأجنبية	١٧١



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٨٨٠٣

ISBN ٢ - ٥١١ - ٠١ - ٩٧٧ -





هذا الكتاب الأول من نوعه يصدر عن دور الأزهر الشريف في قطر  
شقيق - السودان الأمر الذي ظل خافيا على كثير من المواطنين في وادي  
النيل والبلاد العربية .

والكتاب تسجيل مبدئى لما قام به العلماء الأزهريون - سودانيون  
ومصريون - في نشر الثقافة الإسلامية في السودان .

ولعل مما يلفت النظر الإشادة الطيبة والثناء المستطاب الذي ظل  
الأدباء والشعراء السودانيون يؤكدونه نحو أساتذتهم الأزهريين اعترافا منهم  
بجميل صنعهم منذ الزمن الغابر وإلى يومنا هذا .

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)